بسم الله الرحمن الرحيم

جمهوريّة السـودان
جامعة أم درمان الإسلاميّة
كليّة الدراسات العليا
كليّة اللغة العربيّة
قسم الدراسات النحويّة واللغويّة

الإعلال والإبدال عند اللغويين

دراسة صوتيّة صرفيّة

بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه
في علم اللغة

إعداد الباحث
عثمان محمد آدم عبد المحمود

إشراف البروفيسور
بكري محمّد الحاج

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعلى:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

النمل: 19

إهـــــــــــــــداء

ـــ إلى روح والدي الطاهرة إن شاء الله.

ـــ إلى أمّي، والذين شملني عطفهم وحنانهم.

ـــ إلى زوجي وأبنائي.

ـــ إلى الذين هم في الثغور إخلاصاً للعربية.

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد وفاءً .

شـــــــــكر

سبحانه الذي وفقني إلى إخراج هذا البحث من غير قوةٍ مني ولا حـــول، فلـــه الحمد في الأولى والآخرة، حمداً وثناءً عظيمين يليق بجلاله.

والشكر لجامعة أم درمان الإسلامية، هذا الصرح العملاق الذي أتاح فرص العلم للقاصي والداني، وجميع القائمين عليه، رئيساً، وعمداء، ورؤساء أقســـام، ومســـجلين، ومعاونين.

وكذا الشكر لجامعة الملك فيصل ــ تشاد ــ ممثلةً فـــي رئيســـها البرفيســـور/ عبدالرحمن عمر الماحي وجميع مساعديه.

وكذلك الثناء على القائمين بالمكتبات العلمية في تشاد والسودان.

كما لا يفوتني أن أقدم أجزل العرفان وأكمله لأستاذي الفاضل ومشرفي الســـابق البروفيسور/ عبد الحليم محمد حامد، الذي نمّى فكرة هذا البحث، وساعد فـــي اختيـــار موضوعه، وتقويم خطته، والوقوف على جزءٍ منه، حفظه الله وسدد خطاه.

ثم إن الشكر الخالص والثناء الصادق لأستاذي ومشرفي البروفيســـور/ بكـــري محمد الحاج، فإنّه رغم الصعاب لم يبخل عليّ بعلم ولا وقتٍ أو تصويبٍ، فأرشدني إلى كثيرٍ من الأمور أفادت الباحث، وكان لها أثرٌ بالغ في تقويم وإصلاح ما اعوجّ من هذه الرسالة، حيث قضى وقتا ليس بالهيّن في تتبّعها وقراءة كلّ فصولها، كلمةً كلمةً، حتى خرجت بهذه الصورة، بارك الله في عمله وعمره، وجعل الجنة مأواه.

والشكر مقروناً بالعرفان للنفر القليل ــ أحبتي وزوجي ــ لمتابعتهم الصادقة في إعداد هذا البحث بالدعاء المتواصل، فكانوا خير مشجع لي، وأقـــوى دافـــع فـــي هـــذه المهمة.

فاللهمّ أجزل ثوابهم جميعاً، واجعلنا من المستشعرين لعظمة نعمائك.

مقدمـــــــــة

الحمد لله وله الثناء كلّه على ما خلقنا وعلمنا، وجعلنا ننطــق ونبحــث، والصــلاة والسلام على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه ومن سلك نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن هذا البحث المعنون ب:

الإعلال والإبدال عند اللغويين
ـــ دراسة صوتية صرفية ـــ

هو عمل يمثل خطوةً على طريقة المتقدمين للدراسة الصوتية الصرفية التــي تقــرأ الأبنية واشتقاقاتها قراءةً داخليةً واعيةً ؛ إذ كانوا يستضيئون في ذلك بالملاحظــة الذاتيــة والعقل والاستقراء، فتبين من خلال التتبع لآرائهم: سيبويه في الكتــاب، والزجــاجي فــي الإبدال والمعاقبة والنظائر، وابن جني في سر صناعة الإعراب، أن لهم آراءً في التحليل الصوتي بقدر غير هيّن في ظاهرتي الإعلال والإبدال، حاولت عرضها ومناقشــة بعــض مقولات المحدثين حولها، مبيناً جهدهم الكبير في هذا الشأن، وفاءً لرسالتهم وحقّهم علينا، فإنّهم قد أودعوا مؤلفاتهم ما استطاعوا الوصول إليه بما سمحت لهــم ظــروفهم العلميــة ووسائلهم الأولية، وكان هذا حدثاً عظيماً أدركوه في عصورهم المبكرة، ونتائج علميّــة ـــ أكّدتها التجارب الحديثة ـــ لم نستطع الانفكاك أو الاستغناء عنها إلى يومنا هذا. إنّه عمــل ينصفهم بتجلية ما تنبهوا إليه عمّا يكون بين مستوى الصوت والصرف من علاقة نتيجــة للتغييرات العارضة داخل الأبنية في اللغة العربية.

أهداف البحث:

يهدف هذا العمل إلى الآتي:

١ـــ تتبع آراء المتقدمين (من خلال المؤلّفين الثلاثة) من علماء العربيــة فيمــا يتعلــق بظاهرتي الإعلال والإبدال ـــ تلك الأفكار التي كانت مبثوثةً في كتب أُلّفت فــي ميــادين مختلفة من العلوم العربية، ودراستها دراسةً وصفيةً.

٢ــ التنبيه إلى حجم الجهد المقدّم في سبيل التحليل الصوتيّ لتلك التغيّرات التي تصيب الكلمات في العربية للتعرّف على المنطلقات المشتركة بين المتقدمين والمحدثين، وتحديد مواطن الاختلاف ساعياً إلى ترجيح ما أراه صواباً.

٣ــ بيان دقّة اللغويين المتقدمين في تقعيدهم لقواعد الإعلال والإبدال ودراساتهم حول هاتين الظاهرتين، والمعطيات الصوتيّة التي قدّموها ضمن قضايا كلية تمتزج فيها الموضوعات المطروحة .

٤ــ إفادة الباحث نفسه؛ إذ ((الإعلال عليه المعول في موضوعات الصرف كلها، فمن أتقنه أجاد هذا الفن واستوعبه))[١] .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته

ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو الحرص على استجلاء القيمة العلمية لنظرات المتقدمين من علماء العربية في مجال التحليل اللغوي العميق، ذلك التحليل الصوتيّ الدقيق للظواهر الصرفية؛ إذ جاءت مباحثهم في الإعلال والإبدال على أسسٍ صوتيةٍ محضة مصحوبة ببعض التعليلات المنطقية.

إن الإعلال والإبدال هما من أساسيات الصرف العربي. كما أنهما من المواضيع التي عالجها القدماء وفق ما رأوه وأصّلوا له في مناهجهم، هذا المنحى جعل بعض المحدثين يحمل عليهم، ويصفهم بمعذِّبي أنفسهم، والدارسين من بعدهم[٢]، كما تجرأ بعضهم منادياً بحذف مثل هذه الموضوعات عن مقررات التدريس ليكتفي بدراستها أهل الاختصاص فحسب. فكان هذا حافزاً قوياً لي في المضي قدما نحو هذا البحث الذي يعالج قضيّة من صميم القضايا في العربية، ويرتكز عليه جزءٍ مهمٍ من دلالتها.

الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات السابقة فهناك الكثير من المؤلفات التي تضمّ في طياتها هاتين الظاهرتين مدرجة في نهاياتها لدى كتب المتقدمين.

---

[١] ـ الإعلال بين النظرية والتطبيق، صباح عبد الله با فضل، ص١.

[٢] ـ انظر المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، ص١٨١.

وتناولتها كتب المحدثين بصورة مفصلة إلا أنّها لم تأت طبقاً للأهداف التي رسمتها، ولم تبيّن جدوى التفسير الصوتي الذي أسّسه المتقدمون حول هذه الظاهرة. ومع هذا فهناك بعض الدراسات، منها:

١ــ القواعد والتطبيقات في الإعلال والإبدال[١] للشيخ عبد السميع شبانة، وغايته هي عرض مسائل الإعلال والإبدال بصورة تهم الدارسين فيقول: ((قد سلكت فيه مسلك البسط والتفصيل، ثم الإجمال والتلخيص حتى يجد المتقصي بغيته، والمستوفز عجالته))[٢]، فهو كتاب منهجي يشتمل على تمارين وأسئلة تتعلق بكل باب.

٢ــ الإعلال والإبدال النظرية والتطبيق[٣] للدكتورة / صباح عبد الله با فاضل، وغايتها كما في مقدمتها: ((إن البحوث الصرفية وعرة المسالك صعبة المرتقى، و الإعلال والإبدال بخاصة من أصعب تلك البحوث وأكثرها تعقيداً، فرأيت أن أضع فيها كتاباً ميسراً، سهل المأخذ قريب المتناول))[٤]. إنها استوعبت الموضوع من خلال كتب المتقدمين ونثرته بأسلوبها ليتناسب مع بعض مستويات الطلاب، أسلوباً سهلاً ميسراً ومختصراً، أي هو كتابٌ منهجيٌّ يصلح ليكون مقرراً في مستويات التعليم العربي، وسارت على منهج المتقدمين و لم تتعرض لرأيٍ من آراء المحدثين.

٣ــ ظاهرة الإعلال في العربية– دراسة صوتية وصفية[٥] للدكتور/ رجب عثمان محمد، عرض لظاهرة الإعلال وحدها. و قسم بحثه إلى ستة فصول، الأربعة منها في القلب، والأخيران في الإعلال بالنقل والحذف. كان غرضه هو عرض جهود القدماء والمحدثين حول هذه الظاهرة. وإن كان هذا المؤلف حديثا نسبيا (عام ٢٠٠٣م) إلا أنني أفدت منه.

---

(١) ـ كتاب مطبوع وهو مقرر للتدريس في الأزهر.
(٢) ـ ص:١
(٣) ـ كتاب مطبوع.
(٤) ـ ص:١
(٥) ـ كتاب مطبوع.

٤- إبدال الحروف في اللهجات العربية[1] للدكتور سلمان بن سالم السحيمي، تناول الإبدال مركزاً في الإكثار من إيراد الشواهد التي تفيد وقوع التبادل بين الأصوات داخل الكلمات العربية، وسعى إلى بيان الأصلية منها، ونسبة تلك الألفاظ المتبادلة إلى قبائلها مع عدم إغفال التفسير الصوتيٍّ لهذه الظاهرة.

منهج البحث:

تنتمي هذا الدراسة إلى الدراسات الوصفية التي تتناول وصف الظاهرة كما هي، وعلى الرغم من ذالك فإن معالجتي في هذا البحث تنتمي إلى الدراسات التحليلية فإنها لا تسقط من حسابها أهمية الافتراضات مستفيداً من التقديرات المألوفة في الدراسات الصرفية عند نحاة العربية، حينئذٍ اضطررت إلى توضيح الغامض، وشفَّعت القاعدة بالمثال، وقبست من الصرفيين أمثلةً ونصوصاً أصَّلت بها الأحكام،وأثبتها في الحواشي معزوّةً إلى مصادرها، واستأنست بالمقارنة بين آراء المتقدمين والمتأخرين في مجال التحليل الصوتيّ.

ومن النقاط الجديرة بالإشارة في المنهج المتبع في هذه الدراسة :

١ــ الاكتفاء بذكر الاسم وتاريخ الوفاة للأعلام الذين كانت لآرائهم المقتبسة صلةً بالدراسة اللغوية، واقتصر في ذلك على أوّل موضع من مواضع ورود العلم.

٢- تخريج الأحاديث النبوية وجل الشواهد الشعرية التي تدعم قاعدةً من قواعد الإعلال والإبدال.

٣- ذكر عنوان الكتاب عند الاقتباس ومؤلّفه ورقم الصفحة والجزء ــ إذا لزم ــ في الهامش، لتبقى بقية المعلومات المتعلقة به في قائمة المصادر والمراجع.

واحتوى البحث على بعض المصطلحات التي منها:

١- الإعلال، وهو تغيير صوت العلة بالتسكين أو القلب أو الحذف.

٢- الإبدال، وهو جعل صوت غير عليل مكان صوت منه، أو مختلفين.

٣- القلب، وهو قلب صوت العلة إلى صوت علة آخر.

٤- ص، وهو رمز للصوت الصامت، و: ح، رمز للصوت الصائت.

---

[1] ـ رسالة علمية مطبوعة.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمةٍ وخمسة فصول، وتضم تسعة عشر مبحثاً مفصـــلةً **في الآتي**:

الفصل الأول : مفاهيم وقضايا حول الإعلال والإبدال، وتحته أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول: مفهوم الإعلال والإبدال عند اللغويين

المبحث الثاني: الإعلال والإبدال وتطور أبنية الكلمات.

المبحث الثالث: الفلسفة والمنطق وتعليل الإعلال والإبدال.

المبحث الرابع: مبدأ الأصل عند اللغويين.

الفصل الثاني :التعريف باللغويين ومناهجهم في الإعلال والإبدال،وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: سيبويه ودرسه للإعلال والإبدال.

المبحث الثاني: عبد الرحمن الزجاجي ودرسه للإعلال والإبدال.

المبحث الثالث: ابن جني ودرسه للإعلال والإبدال.

الفصل الثالث: **وصف ظاهرة الإعلال** واشتمل على أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول: وصف صوتي لأصوات العلة.

المبحث الثاني: وصف الإعلال بنقل صوت العلة.

المبحث الثالث: وصف الإعلال بحذف صوت العلة.

المبحث الرابع: وصف الإعلال بقلب صوت العلة.

الفصل الرابع: **وصف ظاهرة الإبدال** واحتوى على أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول: الاشتقاق والإبدال.

المبحث الثاني: حروف الإبدال.

المبحث الثالث: شواهد الإبدال اللغوي.

المبحث الرابع: شواهد الإبدال الصرفي.

الفصل الخامس: **تفسير ظاهرتي الإعلال والإبدال** وانحصر في أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول: تفسير الإعلال بالنقل.

المبحث الثاني: تفسير الإعلال بالحذف.

المبحث الثالث: تفسير الإعلال بالقلب.

المبحث الرابع: تفسير الإبدال.

الخاتمة: و في خاتمة هذا البحث قدمت ملخصا موجزا لأهم النتائج .

الفهارس وتشمل:

أ ــ فهرس الآيات القرآنية، وفيه ذكر الآية ورقمها وسورتها مرتبة حسب ترتيبها في القرآن الكريم.

ب ــ فهرس الأحاديث النبوية مرتبة حسب ورود أسبقيتها في البحث.

ج ــ فهرس الشواهد الشعرية، يورد الأبيات التي في البحث وصفحاتها مرتبةً ترتيباً هجائياً حسب الروي.

د ــ فهرس الأعلام، اشتمل على جميع الأعلام الواردة في البحث مرتبةً ترتيباً هجائياً حسب الشهرة.

هـ ــ فهرس المصادر والمراجع، وقد جاءت مرتبة حسب الترتيب الهجائيّ للكتب وذكر اسم المؤلف مع الإشارة إلى الطبعة وتاريخها ومكانها ما أمكن.

و ــ فهرس الموضوعات، واشتمل على العناصر الأساسية ورؤوس المحتويات التي تناولها البحث.

وبعد، فإنّني أقدّم هذا العمل راجياً أن أكون قد حققت فيه ما أصبو إليه، وحسبي أنّني بذلت ما استطعت من جهدٍ، والكمال لله وحده، فإن وفّقت فيه إلى الصواب فهو الغاية، وإن كان غير ذلك فرجائي أن أفوز بالاجتهاد، وأسأل الله تعالى أن يتقبله منّي ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم.

الفصل الأوّل

مفاهـــيم وقضـــايا حـــول الإعـــلال والإبـــدال

المبحث الأول:

مفهوم الإعلال والإبدال عند اللغويين.

المبحث الثاني:

الإعلال والإبدال و تطور أبنية الكلمات.

المبحث الثالث:

الفلسفة والمنطق و تعليل الإعلال والإبدال.

المبحث الرابع:

مبدأ الأصل عند اللغويين.

مفاهيم وقضايا حول الإعلال والإبدال

من المصطلحات اللغوية الشائعة لفظان لكل منهما مدلوله الخـــاص ، وضـــوابطه وأحكامه، وهذان اللفظان هما : الإعلال والإبدال.

و نظراً لاحتلالهما حيّزاً واسعاً من كتب المتقدمين والمتأخرين واعتماداً على العناية الواسعة التي حظيا بها كانت مسائلهما قد تداخلت فيما بينها ثم مع بعض المصـــطلحات العلمية الأخرى في الصرف العربي؛ لذا يسعى هذا الفصل إلى تحديد مفهوم خاص لكـــل منهما مع بيان علاقاتهما مع بعض المصطلحات التي يمكن أن يتوهم ثمة تشابه بينها.

ويمكن التساؤل عن سر هذا الاهتمام من المتقدمين والمتأخرين على حد سواء بشأن هذين المصطلحين وما يتضمنانه، وما هو دورهما البارز في تطـــور الأبنيـــة الصـــرفية وأثرهما على المقاطع من حيث قصرها وزيادتها ، وأثرهما على المعاني الدلالية للألفـــاظ الكلامية في اللغة العربية.

ويذهب الفصل بعيداً إلى التاريخ اللغوي للكشف عما يؤكده اللغويون من أن هنـــاك أصولاً للكلمات العربية عدلت عنها اللغة لأسباب صوتية في صورة مغايرة لذلك الأصل، وموقف بعض المحدثين منه وحججهم فيه.

المبحث الأول

مفهوم الإعلال والإبدال عند اللغويين.

يبدو أن علماء النحو قديماً يدرجون موضوع الإعلال ضمن موضوع الإبدال، ويسمونه أحياناً : القلب، وأن مسائله عندهم قياسية مطردة ، بخلاف الإبدال اللغوي، الذي لا يحده حد ، بل يعرض لجل الأصوات العربية.

١ـ مفهوم الإبدال عند القدماء.

يقول ابن جني: ((والبدل : أن يقام حرف مقام حرف إما ضرورةً أو استحساناً وصنعة))[١]

وقيل هو: ((إقامة حرفٍ مقام حرفٍ آخر))[٢] ، أو ((جعل حرفٍ مكان حرفٍ آخر مطلقاً))[٣]

وهو من صنع العرب أنفسهم؛ إذ ((من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعضٍ ، يقولون : مدحه و: مدهه، و: فرس رفل، و: رفن، وهو كثيرٌ مشهور قد ألف فيه العلماء))[٤]

ومعنى هذا أن يُجعل صوتٌ مكان صوتٍ آخر لعلاقة ما.

من القدماء لغويون تناولوا هذه القضايا بإسهاب كالزجاجي ، وابن السكيت[٥] صاحب كتاب القلب والإبدال ، الذي جمع فيه حوالي ثلاثمئة كلمة من كلمات العربية ، ألاحظ فيها ، أو بين كل اثنين منها اتفاقاً في المعنى ، واختلاف لفظها في صوت واحد من الأصوات المكونة لهما ، مثل: فرس رفن ــ و رفل ، كل منهما يعني سابغ الذنب،[٦] فتتفق الأصوات المكونة لهما إلا أن النون في الكلمة الأولى قد حلت محل اللام في الثانية.

---

(١) ـ سر صناعة الإعراب لابن جني، ج١ص٦٩

(٢) ـ شرح المفصل لابن يعيش ج٧ص١٠

(٣)) ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج٤ص٣٩١

(٤) ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أحمد ابن فارس، ص ٢٠٣

(٥) ـ هو يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت، إمام في اللغة، عالم بنحو الكوفيين، توفي سنة ثلاث وأربعين ومئتين. راجع إشارة التعيين،ص:٣٨٦.

(٦) ـ انظر القلب والإبدال، يعقوب بن السكيت، ص ٦٣

وقد سمّى الزجاجي كتابه الذي على هذا النوع : بالإبدال والمعاقبة والنظائر، وابن السكيت سمّاه: بالقلب والإبدال.

ويرى بعض الباحثين أن العلماء قديماً انقسموا إلى فريقين في هذا الشأن :

الأول اللغويون ، وهم أولئك الذين عنوا بتصنيف المعاجم وجمع شتات الألفاظ ، وهؤلاء قد قصروا ظاهرة الإبدال على ذلك النوع من الكلمات التي رواها الزجاجي وابن السكيت وغيرهما، أي أن نرى للكلمة صورتين مستعملتين ، أو على الأقل جائزتين في الاستعمال.

الثاني وهم النحاة، وهؤلاء قد ضيقوا من شأن الإبدال ومعه الإعلال وحصروهما في مسائل قياسية مطردة ، فنراهم يعدون الكلمات الآتية من الإبدال : سماء ــ قائل ــ رضي ــ صيام ــ ميزان ــ سيد ــ خان ــ موقن ــ اصطبر ...[١] ، ثم يواصل الدكتور/ أنيس حديثه حتى قال: ((وهكذا نرى النحاة قد خلطوا بين ظاهرتين مختلفتين...))[٢]، بهذا يكون الإبدال قسمين: إبدالاً صرفياً وآخر لغوياً، وتكون معرفتهما ضرورة في هذه الجزئية.

١/١- الإبدال الصرفي

الإبدال الصرفي هو الإبدال اللازم الضروري القياسي المطرد ، وحروفه غير متفق حولها عند اللغويين، فمن قائل إنها خمسة عشر حرفا جمعها في : "استنجده يوم صال نط"[٣]. وهناك من جعلها أربعة عشر حرفا هجاؤها: " أنصت يوم جد طاه زل" [٤]، وآخرون يعدونها اثني عشر حرفا جمعت في قولهم : " طال يوم انجدته " [٥]، أو : أجد طويت منهلاً[٦] ، بينما هناك من عدها تسعة أحرف وهو ابن مالك[٧] في قوله :

---

(١) ـ انظر من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص: ٧٢

(٢) ـ المرجع نفسه والصفحة.

(٣) ـ انظر شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ج١٠ص٧

(٤) ـ انظر شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي ج٣ص١٩٧

(٥) ـ انظر ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، ج١ص١٢٥

(٦) ـ انظر الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي، ج١ص٣١٩

(٧) ـ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني النحوي، إمام في العربية، توفى سنة اثنتين وسبعين وست مئة. راجع إشارة التعيين، ص:٣٢٠.

"طويت دائماً" [1]،ووافقه عليها السيوطي [2]، وفي الألفية أنها تسعة أحرف؛ لأن ((الحروف التي تبدل من غيرها إبدالا شائعا هي تسعة أحرف جمعها المصنف رحمه الله تعالى في قوله : هدأت موطيا ، وأما غير هذه الحروف فإن إبدالها من غيرها شاذ أو قليل))[3] .

وسواء أكانت عند ابن مالك ثمانية أم تسعة أحرف ، فهي عندي بعد تتبعها سبعة أحرف للإبدال التصريفي، بحذف حرفين من: "طويت دائما" ، هما: الهمزة والألف، وزيادة حرف آخر هو النون، فيصبح المجموع عندي سبعة أحرف مجموعة في القول: " مطت يدنو". وما تبقى فهو إما من قبيل الإبدال اللغوي ، أو الإعلال، فالذي يبدل إبدالا صرفيا هو هذه الأحرف السبعة.

والإبدال الصرفي يطلق عليه عند القدماء : الإبدال الشائع[4] و هو ضروري في التصريف.

وقد استنتج الصرفيون أنه في الإبدال الصرفي لا تستخدم الكلمة المبدل منها ، وإنما تستخدم الكلمة المبدلة ، أي لا يستخدم الأصل إنما يستخدم الفرع ، فلو استخدم الأصل لكان ذلك خطأ؛ إذ ((ينبغي أن يعد في الإبدال التصريفي ما لو لم يبدل أوقع في الخطأ أو مخالفة الأكثر ، فالمُوقِع في الخطأ كقولك في مال : مَوَل، والموقع في مخالفة الأكثر كقولك في سقاءة : سقاية))[5] ؛ لأن الذي بالهمز كثير في لغة العرب بخلاف الذي بالياء، فهو قليل.

٢/١- الإبدال اللغوي

أما الإبدال اللغوي فهو غير ضروري ، ويقع في أغلب حروف الهجاء ، وينطبق عليه اسم الإبدال غير الشائع ، أي غير الضروري ، ((فغير الشائع وقع في كل حرف إلا

---

(١) ـ انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ، ص ٣٠٠.
(٢) ـ انظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ج٢ص٤٦٦.
(٣) ـ شرح الألفية لبهاء الدين ابن عقيل ج٣ص١٩٧
(٤) ـ انظر همع الهوامع، ج٢ص٢١٩
(٥) ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج٤ص٣٩٦

الألف ، وألّف فيه أئمة اللغة كتباً منهم يعقوب ابن السكيت وأبو الطيب اللغوي[١]، وفي كتابي المزهر[٢] نوعٌ منه حافل))[٣] .

إن الإبدال اللغوي يعم كل الحروف ولا حدود له، فيشمل حتى الألف ، كما في: آمن، فإنها من: أأمن ، فأبدلت الهمزة الثانية ألفا لاجتماعها في أوّل الكلمة ثم سكون الثانية، وسيتضح هذا عند تعرضت للتبادل بين الأصوات.

و تستعمل في الإبدال اللغوي الكلمتان اللتان وقع فيهما الإبدال ، أي الكلمة المبدلة والمبدل منها ، أي يستخدم الأصل والفرع، بخلاف الإبدال التصريفي ، فيقال : مدح ومده، ورفل ورفن، وصقر وسقر، ... ولا يقال : سار وسَيَرَ ، بل يقال : سار بقلب الياء ألفاً ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها . فالإبدال التصريفي لا يستخدم فيه إلا الفرع ، بخلاف الإبدال اللغوي الذي يجوّز الأصل والفرع.

إن الذي يتتبع هذه الظاهرة اللغوية عند القدماء يجدها في ثنايا كتبهم تشغل حيّزاً كبيراً ، وقد شغلت المعنيين شغلاً ذا بال ، وقد توسعوا فيها متتبعين ما ورد عنها في لهجات العرب ، حيث سلّموا بوجودها وجدّوا في تفسيرها ، ووصلوا في هذا التفسير إلى الحد الذي يناسب زمانهم المبكر؛ وقد اصطلح بعضهم لنوع من الإبدال اصطلاحاً يميزه عن عموم الإبدال ، لا سيما بعض النحاة ؛ إذ ألاحظ عند ابن عصفور[٤] حقيقة تتسم بالوضوح والدقة حينما أطلق على نوع من الإبدال مصطلحاً آخر بغية التنويع، وهو القلب، حيث يقول: ((وأمّا الواو فأبدلت من ثلاثة أحرف، وهي : الهمزة والألف والياء ، إلا أن الذي يذكر هنا إبدالها من الهمزة؛ لأن إبدالها من الياء والألف يذكر في باب القلب))[٥].

---

[١] ـ هو عبد الواحد بن علي الحلبي أبو الطيب اللغوي، متصف بالقصر، توفى سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة. راجع إشارة التعيين، ص: ١٩٧.

[٢] إن الكتاب لا شك حافل بالآراء والأمثلة في موضوع الإبدال ج١ص:٤٦٠ـ٤٧٥

[٣] ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي ج٢ص٢١٩

[٤] ـ هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن عصفور الحضرمي، من أهل إشبيلية، توفي سنة تسع وستين وست مئة. راجع إشارة التعيين، ص:٣٨٨.

[٥] ـ الممتع في التصريف، ج١ص٣٦٢

وعندما تعرض لباب القلب بدأ يعلل لهذا التنويع بقوله: ((إنما أفردت لذلك باباً واحداً؛ لأن جميع ذلك إنما يتصور باطراد في حروف العلة))[١].

بهذا المسلك يكون ابن عصفور قد فصل بين شيئين عدهما كثيرٌ من اللغويين شيئاً واحداً.

والبدل عنده عند ابن يعيش[٢] ؛ على ضربين،((بدل هو إقامة حرف مقام حرف غيره، نحو : تاء ، تخمة ، وتكأة. وبدلٌ هو : قلب الحرف نفسه إلى لفظ غيره على معنى إحالته إليه، وهذا إنما يكون في حروف العلة التي هي : الواو والياء والألف ، وفي الهمزة أيضاً لمقاربتها إياها ، وكثرة تغيّرها، وذلك نحو : قام ، أصله : قوم، فالألف واو في الأصل . وموسر ، أصل الواو ياء ، ورأس، وآدم، أصل الألف الهمزة ، وإنّما لينت نبرتها فاستحالت ألفاً، فكلّ قلب، بدلٌ ، وليس كلّ بدلٍ قلباً))[٣] .

وابن يعيش هو الذي أجده يستعمل لفظ الإعلال ويعرف العلة بأنها : ((تغير المعلول عما هو عليه ، وسميت هذه الحروف حروف العلة لكثرة تغيرها))[٤].

وقال الإستراباذي[٥] : ((ولفظ القلب مختصٌّ في اصطلاحهم بإبدال حروف العلة والهمزة بعضها مكان بعض، والمشهور في غير الأربعة لفظ الإبدال ، وكذلك يستعمل في الهمزة أيضاً))[٦].

وقد اشتهر عنده تحديد واضح للفصل بين القلب والإبدال ، فالإبدال هو أن يجعل حرف ليس عليلا ولا همزة مكان حرف ليس منها، بخلاف القلب الذي يجعل حرفا من حروف العلة والهمزة مكان حرف منها.

---

(١) ـ الممتع ج٢ص:٤٢

(٢) ـ هو محمد بن علي بن المفضل الأندلسي الأصل، الموصلي المولد والمنشأ، يكنى أبا البقاء، توفي سنة ثلاث وأربعين وست مئة. راجع إشارة التعيين، ص:٣٨٨.

(٣) ـ شرح المفصل لابن يعيش ج١٠ص:٧

(٤) ـ المصدر ج١٠ص:٥٤

(٥) ـ هو محمد بن الحسن الإستراباذي ، من مصنفاته شرح كافية ابن الحاجب ، وشافيته، توفي سنة ٦٨٨ أو ٦٨٦ للهجرة ، ينظر بغية الوعاة ج١ص:٥٦٧.

(٦) ـ شرح شافية ابن الحاجب ج٣ص:٦٧.

إذن مصطلح " القلب " عندهم هو ما نعني به حديثاً : الإعلال ، وإن لم يكن شاملاً لجميع أنواعه. وهذا التعريف عند الرضي في نظري ، يجعل الإعلال والإبدال عند القدماء شيئين متباينين ولا داعي لأن يطلق على الشيئين المتباينين لقباً واحداً ، وما دام الأمر أمر اصطلاح فمن الخير أن يُجعل المتباينات مميزة.

والقلب جزءٌ من أنواع الإعلال الثلاثة عند المحدثين، وورد عند الرضي ما يفيد هذا المضمون في قوله : ((إن لفظ الإعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حرف العلة ، أي : الألف والواو والياء ، بالقلب ، أو الحذف ، أو الإسكان ،... ولفظ القلب مختص في اصطلاحهم بإبدال حروف العلة ، والهمزة بعضها مكان بعضٍ والمشهور في غير الأربعة لفظ الإبدال))[1] .

أخلص من هذا العرض إلى أن من بين اللغويين القدماء من دقق في معالجته لموضوع الإبدال، وسمى ما هو مختص بالتبادل بين أصوات العلة الثلاثة والهمزة قلباً، أما ما هو مختص بالتبادل بين الأصوات الصامتة ، أو بين الصامتة والصائتة، فهو إبدالٌ ؛ إذ الإبدال عندهم أعمّ من الإعلال والقلب . وهذا التعريف ــ أي تعريف الرضي ــ شاملٌ لأنواع الإبدال التي تعارف عليها أهل اللغة قديماً ، من إبدالٍ شائعٍ ، وإبدال غير شائع ، وشاذ ، وإبدال لأجل الإدغام ؛ إذ كل نوع منها إبدالٌ ، ثم يختص في وصفه بما يستحقه.

كما يفيد أن المصطلحات التالية : إعلال ــ قلب ــ إبدال، بدأت تأخذ منحى عند المتقدمين فيه وضوح وتخصص، إذ أطلق إعلال على ما هو مختص بتغيير حروف العلة الثلاثة ــ ا، ي ، و ــ . وقلب لما يتم من تبادل بين أصوات العلة الثلاثة والهمزة ، وإبدال أطلق على التبادل بين الأصوات الصحيحة ، أو الصحيحة من جهة والعليلة من جهة أخرى.

---

[1] ـ شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الإستراباذي ،ج٣ص:٦٧.

٢ ـ مفهوم الإعلال والإبدال عند المحدثين

حظي الإعلال والإبدال على عنايةٍ بالغةٍ من اللغـويين قـديماً ، وكانـت عنايـة المحدثين بهما أكثر وبإسهاب وتوسّع ، فاصلين بين المصطلحين في المعنى فصلاً تامـاً ؛ ((لأن الإبدال هو أن تضع حرفا مكان حرف لتسهيل النطق، والإعـلال كـذلك، إلا أن الإبدال خاص بالأحرف الصحيحة بجعل أحدها مكان الآخر ، وفي أحرف العلـة يجعـل مكان أحرف العلة حرفا صحيحا ، أما الإعلال فهو خاص بأحرف العلة))[١]

وعند آخر ،أن الإعلال هو ((خاص بأحرف العلة فيقلب أحدها إلى الآخر...))[٢]

وأؤثر هنا في تعريفهما مسلك عباس حسن صاحب النحـو الـوافي ؛ إذ عـد الإعـلال : ((تغييرا يطرأ على أحد أحرف العلة الثلاثة (وـ ا ـ ي) ومـا يلحـق بهـا ـ وهـي الهمزةـ بحيث يؤدي هذا التغيير إلى حذف الحرف ، أو تسكينه ، أو قلبه حرفا آخر مـن الأربعة، مع جريانه في كل ما سبق على قواعد ثابتة...))[٣].

وإذا تساءلت عن عدد أصوات العلة ، أهي محصورة فيما ذكره عباس حسن ؟ أم أن هناك أصواتا أخرى أيضا تعد ضمن الأصوات العليلة؟

للإجابة عن هذا التساؤل يمكن أن يُعلم أن البحث الصوتي قديماً وحـديثاً يعتبـر المدود حركات طويلة، وبالتالي فإن المدود إذا قصرت مدة حركتها أصـبحت حركـات قصيرة[٤]، ومن المسلمات في الدرس الصرفي إدراج الحركات القصيرة ضمن الطويلـة لتعرضها كلها للإعلال ، حينئذ لا يمكنني حصر أصوات العلة في الواو والياء والألـف والهمزة فحسب، بل الحركات القصيرة أيضا من صميم أصوات العلة ؛ إذ هي الثانية أيضا يدخلها الإعلال بأنواعه المختلفة.

وجدير بي أن أشير إلى جزئيةٍ مهمةٍ تتعلق بالأصوات العليلـة، سـواء أكانـت صوامت أم صوائت فلا يمتنع الإعلال من القيام بمهامه في بعضها ، إنّه يعتريهـا كلهـا

---

(١) ـ المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها، علي رضا ص:١٨٦

(٢) ـ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص:١٣١

(٣) ـ النحو الوافي ، عباس حسن ، ج٤ ص:٥٨ .

(٤) ـ انظر دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي، ص:١٨٢

سواء أكانت صوامت أم صوائت ،أم شبه صوائت، بحيث يدخل فيها من غير تفريقٍ فيما بينها.

ومعروفٌ أيضاً أن الإبدال يكون ((في الحروف الصحيحة بجعل أحدها مكان الآخر، وفي الأحرف العليلة يجعل مكان حرف العلة حرفاً صحيحاً))[1]

فالإبدال هو: ((حذف حرفٍ ووضع آخر في مكانه، بحيث يختفي الأول ويحل في موضعه غيره، سواءٌ أكان الحرفان من أحرف العلة ... أم كانا صحيحين ، أم مختلفين))[2]. أستخلص من هذا التعريف أن الإبدال من حيث الأصوات المتبادلة ثلاثة أنواع ، هي: تبادل بين أصوات صائتة ، وتبادل بين أصوات صامتة ، وآخر بين صامتة وصائتة. وإليك أمثلة ذلك:

أــ تبادلٌ بين أصوات صائتة، وهو ما يعرف بالإعلال.

قال ، من قَوَل ، وهو القول و ← ا

باع ، من بَيَع ، وهو البيع ي ← ا

ب ــ تبادلٌ بين صوامت ، وهو الإبدال.

هتنت من هتلت ل ← ن

مدهــ من مدح ح ← هــ

ج ــ تبادلٌ بين صوامت وشبه صوائت ، وهو أيضا يعرف بالإبدال

اتّعد من اوتعد و ← ت

اتّسر من ايتسر ي ← ت

إن علماء اللغة حديثا يقرون بوجود هذا النوع من الظواهر في العربية ، وقد احتل من مؤلفاتهم حيّزاً كبيراً ، وعالجوه معالجة موسعة ، حتى وصلوا به أخيراً إلى تفسير يؤدي بالمدقق إلى منهج عام ، ومقاييس واضحة ، وضعوها من خلال وقوفهم على تلك الألفاظ التي جدّ القدماء فترةً من الزمن في جمعها ومعالجتها .

---

(1) ـ جامع الدروس العربية ص : ١٣١.

(2) ـ النحو الوافي ج٤ ص:٥٨.

فالإعلال عند المحدثين خاص بالتبادل بين أصوات العلة التي هي: ا ــ و ــ ي ، طويلة وقصيرة ، يضاف إليها الهمزة . أما الإبدال فيتم التبادل فيه بين الأصوات التي تتحد في المخرجين أو تتقارب فيهما. ومن هنا اتضح أن ثمّة تبايناً واضحاً بين الإعلال والإبدال من جهة ، وعلاقةً قويةً تربط بينهما من جهةٍ أخرى، وهذا ما أتحدث عنه لاحقا حين تناولي للعلاقة بين المصطلحين.

وعندما أعود إلى الإعلال وأقف عند تعريف عباس حسن في قوله: هو ((تغيير يطرأ على أحد أحرف العلة الثلاثة...))[1] ، فيطرأ على أحد أصوات العلة عموما بقلبه ، أو إسكانه، أو حذفه.

أنواع الإعلال وهي ثلاثة، الإعلال بالقلب، أو التسكين ، أو الحذف ، مع ملاحظة التخفيف في جميعها. وإليك بعضاً من الأمثلة:

أ ــ فالإعلال بالقلب يعني: قلب صوت العلة إلى صوت علة آخر مغاير له.

الكلمة	أصلها	توضيح
قال	قَوَلَ من القول	قلبت الواو التي هي عين الكلمة ألفا
بان	بَيَنَ من البيان	قلبت الياء التي هي عين الكلمة ألفا

١/٢ - القاعدة: إذا تحركت الواو والياء وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفا.

ب ــ الإعلال بالتسكين ، وهو تسكين صوت العلة المتحرك، للتخفيف؛ إذ الحركة ثقيلة عليه.

الكلمة	أصلها	توضيح
يقُولُ	يَقْوُلُ	نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها
يبِيعُ	يَبْيِعُ	نقلت حركة الياء إلى الساكن الصحيح قبلها

[1] انظر ص: ١٥ من هذا البحث.

٢/٢-القاعدة: إذا ما تحرك صوت العلة وكان قبله صوت صامت ساكن، تنقل حركته إلى الصامت الساكن ، ويُسكن الصائت العليل.

ج ــ الإعلال بالحذف وهو حذف حرف العلة.

الكلمة	أصلها	توضيح
يعد	يوعِد	وقعت الواو بين ياء وكسرة فحذفت
يرث	يورِث	وقعت الواو بين ياء وكسرة فحذفت

٣/٢ - القاعدة: إذا وقعت الواو بين عدوتيها حذفت ، ــ وعدوتاها هما الياء والكسرة ــ أي أن تكون الياء سابقة وتعقبها الكسرة وبينهما الواو ، حينئذ تحذف هذه الواو.

إن هذا الإعلال الذي مثلت له الآن، ينبغي أن يراعى فيه التخفيف، فمتى ما حصل قلب، أو تسكين، أو حذف، ولم يراع فيه التخفيف فإنه لا يدخل تحت هذا الباب.

إن القلب الذي يحدث في مثل: مسلمون ــ مسلمين، أو: طالبان ــ طالبين

أو الإسكان الذي يحدث في مثل: يجتهدُ ــ لم يجتهدْ

أو الحذف الذي يحدث في مثل : يخشى ــ لم يخشَ، أو: يدعو ــ لم يدعُ.

كل هذا التغيير الذي حدث مما يشبه القلب والتسكين والحذف هو لأجل الإعراب ، فلا يعتبر إعلالا.

من خلال هذا التعريف للإعلال عند المحدثين ألاحظ أنه يتفق مع ما ورد عن القدماء في تعريف الرضي المتقدم[1] ، الذي شمل أنواع الإعلال الثلاثة، وما تسميتهم له بالقلب إلا من باب التغليب؛ إذ القلب أحد أنواع الإعلال الثلاثة ، وأهم أنوعه ، وهوأوسع انتشارا، وأكثر شيوعا من الإعلال بالتسكين والحذف معا.

---

[1] ـ انظر ص: ١٤ من هذا البحث.

٣ــ العلاقة بين الإعلال والإبدال

إن الإعلال والإبدال في اللغة العربية يؤديان إلى تنسيق الأصوات داخل الكلمات العربية، ودفع ثقلها حتى تخف على النطق ، وتظهر بانسجام في أصواتها لدى السامع، فإذا ما ثقلت كلمة لوجود صوت ما في جوهرها مثلا، دفعوا ذلك بتبديل هذا الصوت بآخر يكون أنسب منه في موضعه ، فتستريح به الكلمة في هيئتها ومادتها ، والطرق حينئذ متعددة ، ولكل طريقة مصطلح خاص بها، فظهر تداخل بين تلك المصطلحات وعدم وضوح الحدود بينها؛ لذلك حري بي الوقوف على بعض محترزات تعريف الإبدال والإعلال، ومن ثم أقف على ما بين المصطلحين من تداخل.

فالمصطلحات التي يمكن أن يتوهم الناظر إليها ويظنها متداخلة مع الإبدال ، هي: الإعلال ــ التعويض ــ القلب المكاني.

فالإبدال هو خاص بالتبادل بين أصوات معينة ، وهي غير العليلة . أما إن كانت عليلة فإن هذا النوع يُسمى قلباً عندهم ، وقد عرفت سابقاً[١] أنه الإعلال.

إذن من خلال حصر الأصوات التي يتم بينها التبادل يتضح معنى الإبدال والإعلال ولا يمكن الخلط بينهما.

ثم إن الرضي قد اشترط في تعريف الإبدال شرطاً ، هو قيد المكان بين الحرفين[٢]، وبهذا الشرط يحترز عن شيئين، هما:

---

[١] ـ انظر ص: ١٣ من هذا البحث.

[٢] ـ انظر ص: ١٤ من هذا البحث

أ ــ القلب المكاني:

هو أن يكون بين الكلمتين ارتباط في اللفظ والمعنى دون مراعاة ترتيب الأصوات التي تتكون منهما الكلمتان، أي بتقديم حرف فيها وتأخير آخر[١] ، ومثاله: راء ــ رأى.

ففي الأولى ، الهمزة واقعة ثالثة في الأخير، وفي الثانية وقعت الهمزة وسطا ثانية، والمادة ثلاثية. وهو ما يعرف أيضا بالاشتقاق الكبير ، فالشيء الذي بين الصوتين هو التقديم والتأخير في الموضع، بخلاف الإبدال الذي يشترط المكان.

ب ــ التعويض:

هو أن تقيم حرفاً مقام حرفٍ آخر[٢] ، وغالباً ما يكون الصوت المعوض في غير مكان المعوّض عنه، نحو: عدة ، فعند الصرفيين [٣] أن التاء في آخر الكلمة عوض عن الصوت المحذوف الذي هو الواو، وهو الذي يحذف في المضارع من هذا الفعل؛ لوقوعه بين الياء والكسرة في نحو: يعد الذي أصله: يوعد.

إن مسألة التعويض في العربية تحتاج إلى نظر؛ إذ بالإمكان أن أقول: (اصطدم) الطاء عوض عن التاء ، وحلّت محل الصوت الذي قد ذهب.

بخلاف ما هو عند المتقدمين أنهم ((فرقوا بين البدل والعوض، فقالوا البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض، ولذلك يقع موقعه، نحو تاء تخمة وتكأة... فهذا ونحوه يقال له بدل ولا يقال له عوض))[٤].

ويمكن أن أعد الهمزة في كلمة : اسم ، عوضاً عن الفاء المحذوفة؛ إذ يذكر اللغويون أن : اسم، من: وسم[٥] .

وإذا أخذت بهذا مأخذ الجد فإن العوض قد يكون في محل الصوت المحذوف أيضا، وبهذا المفهوم قد يكون للتعويض مع الإبدال تداخل في المكان، يفصل بينهما اتحاد

---

(١) ـ انظر الكتاب ج٣ ص:٤٦٦

(٢) ـ انظر شرح المفصل لابن يعيش، ج١٠،ص:٧.

(٣) ـ انظر المصدر والصفحة.

(٤) ـ المصدر والصفحة.

(٥) ـ انظر العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة: وسم ، ج٧، ص:٣٢١. وهذا على رأي الكوفيين ، أما البصريون فعندهم من : وسم.

الحرفين اللذين يتم بينهما التبادل ، فلا يشترط في التعويض الاتحاد، أما إذا قصرت التعويض في غير محل المحذوف ، فقيد المكان في التعريف يبعد التعويض ويجعله مع الإبدال في معزلٍ وشقاقٍ.

ومن خلال التعريف السابق أيضاً، يتضح لي أنه متى ما حل صوت علة مكان صوت علة ، حكمت بأنه إعلال. أما إذا كان الصوت المغير عليلاً وحل محله صوت صامت، فهو من قبيل الإبدال ، نحو: تراث من وراث.

و يُلاحظ في الإعلال بالقلب أو الحذف ، أن يكون القلب أو الحذف للتخفيف، فإذا كان القلب أو الحذف لغير هذا الغرض، فهو لا يندرج ضمن الإعلال.

بناء على تعريف الرضي[1] فإن الإعلال خاص والإبدال خاص أيضاً ــ ولا تداخل بينهما ــ أما عند المحدثين الذين يرون أن الإبدال يتم بين الأصوات التي تتحد في المخرج أو تتقارب فيه دون تفريق بين الأصوات الصامتة والصائتة، فاستناداً على هذا يمكن أن يكون الإعلال بالقلب إبدالاً، وليس كل إبدالٍ إعلالاً؛ إذ الإعلال ينفرد بنوعين من أنواعه عن الإبدال، اللذين هما: الإعلال بالتسكين والإعلال بالحذف، فلا يدخلان تحت مسمى الإبدال بأي وجه من الوجوه؛ لذلك يعدّ شبه التداخل بين المصطلحين ضئيلاً، ينحصر التشابه بينهما عندما يتم إعلال بالقلب ، وتعدم هذه المشابهة، أوتندر إذا ما أدركت شرط الإبدال في العلاقة الصوتية بين الصوتين المبدلين ، وشرط الإعلال في حصر التبادل بين أصوات العلة مع مراعاة التخفيف الحاصل عن هذا القلب.

---

[1] ـ انظر ص: ١٤ من هذا البحث.

المبحث الثاني

الإعلال والإبدال و تطور أبنية الكلمات

اتصفت اللغة العربية بالسعة والانتشار وما يبرر هذه السعة امتلاء المعاجم وكتب اللغة المتنوعة بالكلمات ، وقد بلغت ما بلغت من السعة بكثير من الوسائل ، وهنا أعرض لظاهرة من الظواهر التي تعتبر مصدراً مهماً، أو سبباً مباشراً لهذه السعة والانتشار ، وهي ما سميّت عند الأقدمين بمسألة الإبدال والقلب ، والتي عرفت أخيراً بالإبدال والإعلال.

إن الإعلال والإبدال في العربية أعظم أهمية ، وأوسع دائرة، وأشد تأثيراً، ومن ثم كان الحديث حولهما، والتنقّب في موضوعاتهما شيّقاً ومهماً؛ إذ إنهما وليدتا الحيلة اللغوية العربية ، فكانتا ظاهرتين بارزتين في تنوع الأفعال والمصادر والجموع وفي تنوع المشتقات في العربية حتى ليندهش القارئ بوقوفه على تلك التحولات والتبدلات الصوتية التي لا تشذّ ــ إلا نادراً ــ وتتبع سنةً واحدةً ، وفيها من القوة والبروز ما يجعلها مميزة مؤثّرة في بناء الألفاظ وتوالدها واشتقاقاتها، وهذاما سأعرضه في هذا المكان مبيّناً أثره في تكوين الكلمة العربية، ودوره في اشتقاقها وتوسّعها.

١ ـ الإعلال وأثره في توالد الألفاظ

لا بد من القول إن تعاقب الأصوات على طريقة الإعلال في العربية تؤدي إلى تنويع المعاني واتساع دائرتها ؛ إذ يلاحظ بين ألفاظها وكلماتها ترابطاً وانتماءً إلى أصول مشتركة لم يمنعها من التوالد المستمر ، والتنوع الرائع.

وللغة العربية في هذا التوالد والتنوع طريقة تقوم على قوالب صرفية توضع عليها الألفاظ، فيطرأ من جراء ذلك تغيير على أصوات العلة القصيرة أو الطويلة أو شبه الصوائت، وحينئذ تختلف الوظيفة التي يؤديها اللفظ في القالب المعين ، وعلى هذا فإن هذه الألفاظ:

قال ــ يقول ــ قائل ــ مقول...

باع ــ يبيع ــ بائع ــ مبيع ...

اصطفى ــ يصطفي ــ مصطفى ــ مصطفَوْنَ...

ادّعى ــ يدّعي ــ مدّع ــ مدّعون ...

هذه الألفاظ في كل مجموعة لها مدلولها مع اتفاقها في الأصل العام الذي هو: القول ، البيع ، الاصطفاء ، والادعاء.

إن لكل لفظة من هذه الألفاظ في كل مجموعة دلالة تدل عليها مهما كانت مادتها مشتملة على تغيير يطرأ على صوت معين من أصواتها المكونة لها، وبهذه الطريقة تبدو العربية متسعة في اشتقاقاتها ، وتنوع أشكالها .

فالفرق بين كلمة: مدان ، و: مدين ، من كلمة : أدان يُدين ، لا يتضح لأول وهلة إلا بعد التحقق ، ومعرفة الأصل ، ونوع الإعلال الذي حدث لهذه الكلمة.

فالأولى اسم مفعول ، والثانية اسم فاعل . وهذا أيضا يتضح بجلاء إذا عُرف أن اسم المفعول من غير الثلاثي يصاغ على وزن معين، وهو: قلب ياء المضارعة ميما مضمومة ، وفتح ما قبل الآخر. فتكون الكلمة : مُدْيَن.

واسم الفاعل أيضاً على هذه الزنة إلا أن ما قبل الآخر يكون مكسوراً ، فتكون الكلمة: مُدْيِن.

ثم إن للصرفيين قاعدةً، هي : متى ما كان حرف العلة متحركا وقبله حرف صحيح ساكن ، نقلت حركة حرف العلة إلى الصحيح الساكن[1] قبله، فتكون الكلمتان :
الأولى: مُدَين، والثانية : مُدِين.

حينئذٍ يأتي دور قاعدة أخرى، هي: إذا تحركت الياء أو الواو وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفا [2].

ففي الأولى تحركت الياء بحسب الأصل : مُدْيَن، وانفتح ما قبلها بحسب الحال : مُدَين، فقلبت الياء ألفا فصارت الكلمة: مدان.

ففيها إعلال بالنقل أولاً، وبالقلب ثانياً، مع ملاحظة أن الفتحة لعبت دورين، أي في المحلين.

أما الكلمة الثانية ففيها إعلال بالنقل فقط.

إن معرفة مادة الكلمة وأصلها الاشتقاقي والصيغة التي صيغت لها، لا تكفي غالباً لتحديد معناها في الكلمة العليلة ؛ إذ إن معرفة وظائف العلل وما يطرأ عليها ضرورة تقود إلى معرفة المعنى الحقيقي لذلك اللفظ؛ إذ النظام الصوتي العربي ، تقوم الوظيفة فيه ، أو المعنى الوظيفي أولا وقبل كل شيء بالتفريق بين طائفتين متباينتين من الأصوات ، إحداهما الصوامت والأخرى الصوائت.

وورد[3] أن أصوات العلة أي الصوائت تقوم بمهمة جليلة في اللغة العربية حيث تعدّ أساسا لقوة الإسماع في هذه اللغة راسخة القدم في تاريخ المشافهة.

وهذه العلل تعد مناطا لتقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادة الواحدة، فالفرق بين: قَتَلَ ــ قُتِلَ ــ قَتِيل وهلم جرا من مشتقات ق ــ ت ــ ل . فرق يتأتّي عن تنوّع أصوات العلة لا الأصوات الصحيحة.

---

(1) ـ انظر ص : ٩٧ من هذا البحث.
(2) ـ انظر ص : ١٢٧ من هذا البحث .
(3) ـ انظر اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: ٧١ـ ٧٢.

٢ ـ أثر الإعلال في التشكيل المقطعي

إن وقوفي على أهمية الإعلال ووظيفته في البنية يجعلني أدقق أكثر فأكثر في التحليل الصوتي؛ إذ الأصوات هي اللبنات التي تشكل اللغة ، أو المادة الخام التي تُبْنَى منها الكلمات والعبارات، فاللغة سلسلة من الأصوات المتعاقبة، أو المتجمعة في وحدات ، فإن أي دراسة تفصيلية للغة ما ، تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية، وهنا نجد للإعلال أثراً جلياً ودوراً بارزاً في تغيير شكل المقطع أحياناً، وتقليل عدد المقاطع كثيراً، تلك المقاطع التي تتشكل منها الألفاظ العربية كما في الآتي:

٢/١ــ تغيير الإعلال لشكل المقطع

للإعلال دور في تعديل وتغيير شكل المقطع في الكلمات العربية وذلك نحو:

- **بِئْرٌ ← بيرٌ، ص ح ص[1] + ص ح ص ← ص ح ح + ص ح ص**
- **يَقْوُلُ ← يَقُولُ، ص ح ص + ص ح + ص ح ← ص ح + ص ح ح + ص ح**
- **يَبْيِعُ ← يَبِيعُ، ص ح ص + ص ح + ص ح ← ص ح + ص ح ح + ص ح**

في هذه الأمثلة أشاهد المثال الأول يتكون من مقطعين من النوع الثالث وكلاهما يبدأ بصوت صامت ثم صائت قصير ثم صامت ، ونظراً للإعلال الذي حدث لهذه الكلمة تغير شكل مقطعها الأوّل ، فصار إلى مقطع من النوع الثاني ، أي صامت ثم صائت طويل.

وكذلك الكلمتان الأخيرتان تتكون كل واحدة منهما من ثلاثة مقاطع ، أوّلها من النوع الثالث أي صامت ثم صائت قصير ثم صامت، أما المقطعان الأخيران فيهما ، فهما من النوع الأوّل، صوت صامت وصائت قصير. ولأسباب الإعلال حدث تغيّر في شكل مقاطع الكلمتين، فكان المقطع الأوّل والثالث منهما من النوع الأول أي صامت وصائت قصير، يتوسطهما مقطع من النوع الثاني ويتكون من صامت وصائت طويل. وما تم هذا التغيير الذي يلاحظ إلا نتيجة حتمية لهذا الإعلال الذي طرأ على هذه الكلمات.

---

[1] ـ هذه رموز تستعمل في دراسة المقاطع، والصاد إشارة إلى الصوت الصامت ، والحاء للصوت الصائت.

٢/٢ ــ تقليل الإعلال لعدد المقاطع:

للإعلال دور في تقليل عدد المقاطع في الكلمات العربية، وذلك نحو:

ــ قَوَلَ ← قال، ص ح + ص ح + ص ح ← ص ح ح + ص ح

ــ بَيَعَ ← باع، ص ح + ص ح + ص ح ← ص ح ح + ص ح

مُصْطَفَيُون ← مُصْطَفَوْنَ، ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح ح + ص ح ←

ص ح ص + ص ح + ص ح ص+ ص ح .

يلاحظ في هذه الأمثلة تقليل وتقليص لبعض المقاطع فيها، حيث إن الكلمتين الأوليين تتكونان من ثلاثة مقاطع ، ونظرا للإعلال الذي طرأ عليهما ، صارت مقاطعهما مقطعين في كل كلمة.

أما الثالثة، فتتكون من خمسة مقاطع ، فصارت مقاطعها إلى أربعة فقط؛لأسباب الإعلال الذي له دور مباشر في تقليل عددها.

إن جملة القول في الإعلال ودوره في بنية الكلمة العربية ما يفيدنا منه في هذا المقام قد يكون غير يسير ، والذي يمكن تلخيصه هو أن للإعلال إسهاما غير يسير في تنويع الألفاظ، وتكوين سياقات عدة بواسطته.

وربّ من قائل : إن هذا التنويع في الكلمات قد يتم من غير أن يحدث بالكلمة إعلال ، كقولنا: ضرب ــ يضرب ــ ضارب ــ مضروب ... ؟

نعم قد يحصل التنويع في جميع الكلمات التي تقبل الاشتقاق في العربية، إلا أن ما تطرقت إليه ، له ميزة أخرى، وهي أن صوتاً من أصول الكلمة قد يتحول إلى صوت آخر لسبب ما يطرأ عليه.

والكلمة التي في أصولها صوت معلول يكون هذا الصوت قابلاً للتنويع والحذف والتبديل، كما أن الإعلال قد يزيد هذه الكلمة مرونة قل أن أجد مثلها في الكلمات التي تتكون من الصوامت فحسب ، كما لا يخفى دور الإعلال في التحكّم في المقاطع بتغيير أشكالها ، أو حذف بعضها.

٣ ـ أثر الإبدال اللفظي والمعنوي على الكلمات.

إن الإبدال اللغوي شائع وغير محصور الضابط غالباً، بحيث تشترك الكلمتان أو الكلمات في صوتين أو أكثر، ويبدل صوت منها بصوت آخر قد يكون قريبا منه في نشأته من جهاز النطق، أو قد يشتمل على شيء من خواصه ، وقد يكون بعيداً عنه[١]، ولهذه العملية أثرٌ لفظيٌّ وآخر معنويٌّ.

١/٣ ـ أثر الإبدال اللفظي :

هناك تغيّرات تصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعضٍ في كلمة واحدة ، وأهم قوانين التغيرات التركيبية للأصوات قانونان ، هما: قانون المماثلة ، وقانون المخالفة الصوتية.

فالقانون الأوّل يدعو صوتين مختلفين إلى التماثل أو التقارب في صفة معينة، نحو: اصطبر ، فإنّها افتعل ، من كلمة: صبر ، فأثر صوت الصاد المفخم على الصوت التالي له ، فقلب إلى صوت مفخم قريب منه وهو الطاء.

أمّا القانون الثاني فهو يعمل بعكس الأول ؛ إذ يدعو صوتين متماثلين أو متقاربين إلى التخالف والتباعد، نحو: انجار ــ انجاص من : إجّار[٢] ــ وإجّاص[٣] .

ففي الكلمتين صوتان متجاوران متماثلان تمام التماثل وهما مدغمان، فقلب الأول منهما إلى صوت آخر مغاير وهو صوت النون لأجل المخالفة الصوتية.

وقد أصبح القانونان آلتين تساعدان في المحافظة على تلك الكلمات التي بنتها الأصوات العربية من قبل ؛ إذ المماثلة كأنها تدعو إلى الانحلال ، وكأنّ المخالفة تعمل على دفع الانحلال، وتدعو إلى الأصول. وبهذا صارتا آلتين للمحافظة على البناء اللغوي، وهما أساس الإبدال اللغوي.

---

(١) ـ انظر التطور اللغوي التاريخي، د. إبراهيم السامرائي، ص:١١٠،

(٢) ـ الإجّار: السطح، وجمعه أجاجير، والانجار بالنون لغة فيه، والجمع أناجير. راجع مادة: أجر من لسان العرب، ج٤ ص:١١.

(٣) ـ الإجّاص والانجاص من الفاكهة، وقال هما لغتان. قال الجوهري: الإجاص دخيل؛ لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب. راجع مادة: أجص من لسان العرب، ج٧، ص:٣.

والغاية القصوى من القانونين معا هما تلمس الأصوات السهلة؛ إذ البنية الصوتية هي التي تتطلب أحيانا قلب أحد الصوتين المتجاورين إلى صوت متقارب أو مماثل للذي يجاوره، أو تتطلب قلب أحد الصوتين المتجاورين وهما متماثلان إلى صوتين متباعدين؛ إذ نطقهما يحتاج إلى جهد عضلي معين، فنفرت عنه العربية في هذه البيئة.

٢/٣ ـ أثر الإبدال المعنوي:

للإبدال اللغوي أثرٌ واضحٌ في المعنى ؛ إذ يضيف معنى جديداً زائداً على الكلمة في بعض أحواله، وقد أسهب فيه ابن جني ، متناولاً له تحت باب: "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، فممّا جاء فيه: ((فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فبابٌ عظيمٌ واسعٌ... وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره))[١]

هذه الظاهرة تلفت الأنظار وتشحذ الهمم؛ إذ يلاحظ في صوتي الكلمتين اللتين يتم بينهما التبادل، فالصوت إذا كان خفيفا رقيقا يصبح معنى الكلمة المشتملة عليه دالاً على معنى الخفة، أما إذا كان الصوت غليظاً فالكلمة تستعمل في المعنى الغليظ الثقيل الذي يشوبه نوع من القوة والجهد، وذلك نحو: خضم ــ قضم.

((فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها ... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث))[٢].

ومن ذلك قولهم: ((النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [٣]، ((فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف والخاء لغلظها لما هو أقوى منه))[٤]

---

(١) ـ الخصائص لابن جني، ج٢،ص:١٥٧ـ١٥٨.
(٢) ـ السابق والصفحة نفسها.
(٣) ـ سورة الرحمن، آية:٦٦
(٤) ـ الخصائص، ج٢،ص:١٥٧ـ١٥٨

بعد هذا العرض يمكن القول: إن الإبدال يؤدي إلى نموّ الألفـــاظ وتطوّرهـــا مـــع إكسابه بعضها معانيَ زائدة بحسب خصائص الصوت المتبادل ؛ إذ يتم بين لفظين بينهمـــا تناسب في المعنى والأصوات إلا في صوتين من أصواتهما اختلاف في المخرج أو الصفة، نحو: خضم وقضم ، فالدلالة واحدة إلا أنه يوجد تباينا دقيقا في المعنى الـــوظيفي لكـــل منهما؛ إذ في كل من الكلمتين صوت لا يوجد مثيله في الكلمة الأخرى غير أن الصـــوتين، أعني الخاء والقاف متقاربان ويتفقان في وضع الأوتار الصوتية، و خروج الهواء عبـــر الفم، وفي وضع مؤخّرة اللسان .

هذه الظاهرة دون شكّ قد أضافت إلى العربية مادةً ضخمةً حفلت بها المعاجم العربية.

المبحث الثالث

الفلسفة والمنطق و تعليل الإعلال والإبدال

كان للفلاسفة دور كبير في إنشاء أساليب معينة وطرق خاصة للسيطرة على ما يدور في الأذهان، وقرروا أن تكون تلك الأساليب والطرق من البديهيات التي لا تقبل نقاشاً ولا يصح أن تكون موضع جدلٍ أو نزاعٍ ، ومن ثم جعلوا من تلك البديهيات أحكاماً لا يتردد العقل البشري في قبولها. وكانت نتيجة هذا النهج أن أنشأوا علماً سموه المنطق[١] ، وهو علم من ((العلوم العقلية، وأنه يبحث فيه عن القواعد العامة للتفكير الصحيح والفرق بينه وبين التفكير الخطأ، أو هو العلم الذي يبحث في الهيئة التركيبية للألفاظ التي تجول في ذهن الإنسان وتفكيره))[٢] .

وقد تحدّث فيه كثير من الأقدمين إلا أن الكلام فيه قد كان مجملاً ومتفرقاً، ولم تهذّب طرقه ولم تجمع مسائله، حتى ظهر في اليونان أرسطو فهذّب مباحثه ، ورتب مسائله وفصوله، وجعله أوّل العلوم الحكيمة.[٣] فأصبح علماً واضح المعالم يتدارسه النّاس. ((ولما انتهى أرسطو من تأسيس منطقه وتحديد تعاليمه رغب في حمل عامة النّاس على انتهاج هذا المسلك في التفكير ، والتزام تلك الحدود بعد أن صبّ تعاليمه في قوالب لغوية وصاغها في صورة ألفاظ وأصوات كالتي يألفها النّاس في أحاديثهم))[٤].

وعند نمو الدرس اللغوي العربي نمت معه بعض أسس هذا الدرس ، وأهمّها القياس ، واتّسع نطاق استعماله عند الخليل بن أحمد[٥] حيث سلك معه منهجاً لم يكن يعتدّ بالقليل النادر، وإنما كان لا يقيس إلا على الأكثر المطرد من كلام العرب ، وأما القليل النادر فعنده القاعدة المشهورة يحفظ ولا يقاس عليه.

---

(١) ـ انظر دراسة في النحو الكوفي، مختار أحمد ديرة، ص:١٣٩

(٢) ـ المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم د/ عوض الله حجازي، ص : ١٦.

(٣) ـ انظر شرح السلم ، شهاب الدين أحمد عبد الفتاح الشافعي القاهري ، الملوي، ص : ٦،

(٤) ـ من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ص : ١٣٣.

(٥) ـ هو أبو عبد الرحمن البصري الفراهيدي الأزدي النحوي اللغوي، كان يحج سنة ويغزو سنة، من مصنفاته كتاب العين، وهو أول من اخترع علم العروض والقوافي، مات سنة سبعين ومئة، أو خمس وسبعين. راجع البلغة للفيروز أبادي، ص:٧٩.

هذه صورة الدرس اللغوي عند الأوائل حتى جاء عصر الدولة العباسية (عصر الترجمة) ودخل العرب في حوار ونقاش مع من جاورهم من الأمم ، وكان غالباً ما يمس عقيدتهم ، الأمر الذي جعلهم يطرقون باب علم المنطق ، فترجموا ما شاء الله أن يترجموا، وكان المنطق مما ترجموه. وممن اشتهر بالترجمة والتأليف في المنطق عبد الله بن المقفع الذي ترجم كتب أرسطو ، ومنهم يعقوب بن إسحاق الكندي ، ومحمد بن زكريا الرازي، وأبو نصر الفارابي ، والشيخ ابن سينا، وحجّة الإسلام الغزالي، وغيرهم ممن اشتغل بدراسة المنطق والتأليف فيه.[١]

١ـ صلة المنطق بالإعلال والإبدال:

بدأت الصلة بين المنطق والصرف العربي ((حينما ظهر المنطق اليوناني في مدينة البصرة التي كانت حينئذ مركزاً كبيراً لفلاسفة المعتزلة الذين تأثروا بالمنطق الأرسطي في اتّجاهاتهم الكلامية ، ومن غير شكّ أن نحاة البصرة وعلى رأسهم سيبويه لم يكونوا في معزل عن هذا التيار الجارف تيار الفلسفة والمنطق فتأثّروا به))[٢].

لذا يقول الدكتور أحمد أمين : ((كان للمعتزلة أثر كبير في القياس... وأن زعيمي مدرسة القياس وهما أبو عليّ الفارسي[٣]) وابن جني كانا من المعتزلة))[٤].

وعند الإمام الأنباري[٥] أنّهم ألحقوا ببعض العلوم علمين وضعوهما، هما :علم الجدل وعلم أصول النحو، ويرى أنه لما استحصدت الفلسفة وأغرم الناس بها دخلت النحو وأثّرت فيه كما دخلت غيره وأثّرت فيه لكن على تفاوت واختلاف ، مطاوعة لظروف

---

(١) ـ انظر شرح السلم ص : ٦.

(٢) ـ المدرسة النحوية في مصر والشام، د/عبد العال سالم ،ص : ٦٩

(٣) ـ هو: أبو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، صاحب التصانيف، به اعتزال، عاش تسعا وثمانين سنة، مات في بغداد في ربيع الأول سنة سبع وسبعين و ثلاث مئة. انظر سير أعلام النبلاءج١٦ص٣٧٩

(٤) ـ دراسة في النحو الكوفي ، أحمد مختار ديرة ، ص: ١٤٠.

(٥) ـ هو " أبو بكر بن القاسم بن بشار الأنبا ري النحوي، كان من أعلم الناس بنحو الكوفيين، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة" انظر نزهة الألباء، ص:١٩٧-٢٠٤

الحال والبيئة ، فكان أبو زكريا الفراء[١] ، وأبو الحسن الرماني ممن غلبت الفلسفة على كتبهم ، وكان كلاهما نحويا متكلما من أصحاب الاعتزال.[٢]

إذن فلا غرابة حينما أجد القدماء من العرب قد ربطوا في تعليلاتهم بين اللغة والمنطق الأرسطاليسي، وقد أشار أنيس أن هناك بحثا تحت عنوان:" منطق أرسطو والنحو العربي" بين فيه كيفية تأثر نحاة العرب بمنطق أرسطو في بحوثهم وتأليفهم[٣].

بعد دخول هذه العلوم إلى الدراسات العربية تغيّر مفهوم القياس عند بعض المهتمين ؛ إذ كان القياس يتم سابقاً على الكثير، أما القليل فيحفظ ، لكن الأمر هنا ليس مرتبطاً بقلّة الشواهد وكثرتها ، إنما يكون ارتباطه بصحتها وصوابها ، كما هو واضح عند ابن جني في قوله: ((قد يقل الشيء وهو قياس ، ويكون غيره أكثر منه ، إلا أنه ليس بقياس))[٤].

إن علماء العربية توسعوا في شأن القياس فوجدتهم يقسمونه عدة أقسام، منها[٥]:

أ ــ مطّرد في القياس والاستعمال جميعاً، يقول ابن جني: ((وهذا هو الغاية المطلوبة والمثابة المنوبة))[٦]، نحو: قلب الواو ألفا لتحركها إثر فتحة، مثل : قام.

ب ــ مطّرد في الاستعمال شاذٌ في القياس

وذلك كتصحيح الواو مع توفر شروط الإعلال نحو: استحوذ واستنوق ، وأَغْيَلَت[٧] المرأة، وقول زهير:

هنالك إنْ يَسْتَخْوِلُوا المالَ يَخُولُوا وإنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وإنْ يَيْسِرُوا يَغْلُوا[٨].

---

(١) ـ هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور النحوي، سمي الفراء؛ لأنه يفري الكلام. مات بطريق الحج سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وستون سنة رحمه الله. انظر سير أعلام النبلاء،ج١٠ص:١١٨.

(٢) ـ انظر سيبويه إمام النحاة ، علي النجدي ناصف، ص : ٢٩.

(٣) ـ انظر من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس،ص: ١٣٤.

(٤) ـ الخصائص ج١،ص:١١٥.

(٥) ـ انظر المزهر للسيوطي،ج١،ص:٢٢٦.

(٦) ـ الخصائص ج١،ص٩٧.

(٧) ـ أغيلت المرأة ولدها إذا أرضعته وهي حامل. راجع مختار الصحاح، مادة: غيل، ج١، ص: ٢٠٣.

(٨) ـ انظر دواوين العرب، ديوان زهير بن أبي سلمى، ص:٩٦.

ج ــ مطّرد في القياس شاذ في الاستعمال كقولهم:

((مكان مبقل ، هذا هو القياس والأكثر في السماع : باقل ، والأول مسموع أيضا...))[١].

د ــ شاذ في القياس والاستعمال:

وهو تتميم مفعول فيما عينه واو، نحو: ثوب مَصْوُون، ومسك مَدْوُوف[٢]، وفرس مَقْوُود ... ((وكل ذالك شاذ في القياس والاستعمال فلا يسوع القياس عليه ولا رد غيره إليه، ولا يحسن أيضاً استعماله فيما استعملته فيه إلا على وجه الحكاية))[٣] .

هذه قضيّة شغلت بال الكثير من اللغويين زمناً طويلاً، وحوت تباينات جعلتهم يختلفون في الأمثلة والاستشهاد ، ولعل هذا الغوص في موضوع القياس كان من أسباب تكوين المدارس النحوية بسماتها الواضحة، وصار منهجا للبحث، وتوجهت عنايتهم إليه، وعابوا من أنكر القياس وعدّوه لا يعرف النحو، ولا يعرف طرق الاستنباط[٤].

---

[١] ـ الخصائص ج١،ص:٩٧.

[٢] ـ مدوف أو مدووف، أي مبلول ، الصحاح ، مادة : داف، ج١، ص:٩٠.

[٣] ـ الخصائص ج١،ص:٩٩.

[٤] ـ انظر من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس ،ص : ١٣٤.

٢ ـ أثر المنطق في التعليل للإعلال والإبدال:

لكي أدلل على صحة تأثر الإعلال والإبدال بالمفاهيم والمصطلحات المنطقية عليّ الوقوف على معنى العلة الجامعة بين المقيس والمقيس عليه عند صاحب لمع الأدلة الذي يرى أنه: ((لا بد لكل قياس من أربعة أشياء ، أصل وفرع وعلة وحكم...))[١].

فالأصل هو المقيس عليه حيث له حكم مستقر ثابت، والفرع هو المقيس الذي يحتاج إلى حكم.

والعلة هي وجه الشبه بين المقيس عليه والمقيس ، أي الرابط الذي يربط بينهما.

أما الحكم فهو ما كان منطبقاً على المقيس عليه ، ويستحقه المقيس ، فينقل إليه ويلصق به. وتطبيقاً لهذا يقول الفرّاء في جمع كلمة يوم أيّام[٢] " والأصل أيْوَام".

لكن العرب إذا جمعت بين الياء والوا في كلمة وسبق أحدهما بالسكون ، قلبوا الواو ياء وأدغموا وشددوا، من ذالك قولهم: كويته كيًّا، ولويته ليًّا، قال الله عز وجل : ﴿وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّين﴾ [٣]، فالعرب أدغمت الواو في الياء.

هذه قاعدةٌ قياسية ففي أيوام ، أفعال ، ولما كان عند العرب أن الياء والواو إذا اجتمعتا في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء ، وأدغمت في الياء الأخرى، إذا فهي قاعدة مطردة إلا ما شذّ عنها ، وهي ثلاث كلمات، ذكرها الفراء ، وهي[٤] :

ــ ضَيْوَنٌ ، وهو السنور البرّي والجمع ضياون.

ــ رجاء بن حَيْوَة[٥]

ــ خَيْوَان، لحي من همدان.

ويعلق عليها بكونها نوادر لم يحدث لها إدغام الواو في الياء.

---

[١] ـ دراسة في النحو الكوفي أحمد مختار ديرة، ص: ١٣٧.

[٢] ـ انظر الأيام والليالي للفراء ص ١-٣

[٣] ـ سورة النساء آية ٤٦.

[٤] ـ انظر الأيام والليالي ، ص:٣.

[٥] ـ ابن جرول، وقيل ابن جندل، الإمام القدوة الوزير العادل، أبو نصر الكندي الأزدي من جلة التابعين، ولجده جرول صحبة فيما قيل. راجع سير أعلام النبلاء، ج٤،ص:٥٥٧.

وهذا يجعلني أقرر أن مبعث القياس في النحو لا يعود إلى تأثّره بالمنطق فهو ظهر أوّل ما ظهر في الدراسة النحوية بحكم الفطرة والسجية عند الخليل بن أحمد كما تقدم[1]؛ إذ من الطبيعي أن يقارن الإنسان بين الأشياء، ويبحث عن الأوصاف التي تلتقي حولها الأمور، وكل ذلك يتم عن طريق الفطرة ، حتى ظهرت الفلسفة والمنطق وتركت آثارها في العلوم العربية والإسلامية كلها.

كان تأثير الفلسفة والمنطق على التفسيرات الإعلالية والإبدالية، شيئاً واضحاً واقعاً لا مناص عنه، فقد ظهر التأثير جليا في أماكن عديدة من الدراسات اللغوية عموماً والإعلالية والإبدالية على وجه الخصوص.

فالعرب ((تؤمن من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل ما إذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن من ذلك حملهم حروف المضارعة بعضها على حكم بعض...))[2].

ففي الإعلال بالحذف هناك مواضع محددة يحدث فيها ، أولها الصوت الزائد على أصل الكلمة التي تكون على وزن "أفعل"، نحو : أكرم، إذا أخذت عنه المضارع (مع همزة المتكلم) قلت: أُأَكْرم، والعربية ترفض اجتماع همزتين أول الفعل ؛ إذ الفعل ثقيل[3] بالنسبة لبقية أنواع الكلم، ثم الهمزتان في أوّله أيضاً تزيدانه ثقلا، واعتادوا على تفادي مثل هذا الثقل بالتخلص من إحداهما بحذفها ، وهي همزة أفعل.

وعندما أصوغ من هذا الماضي مضارعا مبدوءا بحروف المضارعة غير الهمزة (ن ــ ي ــ ت) ألاحظ سقوط هذه الهمزة عنه، أي همزة أفعل كما تسقط مع المضارع المبدوء بالهمزة ، الذي يتوفر فيه مسوغ الحذف، فأقول: نكرم، ويكرم، وتكرم، حيث لا يوجد موجب للحذف إذ أصله: نؤكرم، ويؤكرم ، وتؤكرم. فظهر التعليل المنطقي الفلسفي

---

(1) ـ انظر ص: ٣٠ من هذا البحث

(2) ـ الخصائص ج١، ص١١١.

(3) ـ ثقل الفعل هو ثقل معنوي ، وذلك لتضمّنه الحدث والزمن.

في التفسير، إذ يقول الصرفيون[1]:حذفت هنا مع عدم وجود موجب الحذف بالحمل على حذفها مع المضارع المبدوء بالهمزة، حتى يسير المضارع كله على نسق واحد، ووتيرة واحدة، فلا يكون مرة بهمزة ومرة بدونها.

وكذالك الفعل المثال الواوي تحذف فاؤه عن المضارع المبدوء بالياء، نحو: وعد← يعد وأصله يوعد.

وتعليلهم الصوتي لهذه الظاهرة هو وجود الواو بين ياء وكسرة، فهي منطقة يصعب نطق الواو معها، فثقلت على الألسن فتخلصت العرب عنها بحذفها.

أما هذا الفعل عندما نصوغ عنه المضارع المبدوء بغير الياء (ن ــ ت ــ ا) أيضا نقول فيه : نعد ــ تعد ــ أعد، بدل : نوعد ــ توعد ــ أوعد، فلا يوجد مسوغ للحذف ، إلا أن الصرفيين عللوا له تعليلا منطقياً حينما حذفت الواو في المضارع المبدوء بالنون والتاء والألف بالحمل على حذفها مع المضارع المبدوء بالياء؛ إذ تتوفر فيه مسوغات الحذف ((فحمل ما لا علة فيه على ما فيه علة ، هذا مذهب مطرد في كلامهم ولغاتهم ، فاشٍ في محاوراتهم ومخاطباتهم أن يحملوا الشيء على حكم نظيره ، لقرب ما بينها ، وإن لم يكن في أحدهما ما في الآخر مما أوجب له الحكم))[2] .

يحس كل من يقف على هذا النص بتأثره الواضح بالمنطق والفلسفة من خلال مصطلحاته (علة ــ حمل ــ حكم ــ نظير ــ أوجب له الحكم ...)، وكذالك قياس ما لم تتوفر فيه علة على الذي توفرت فيه.

وفي ختام هذا الموضوع كلمة لابن جني في حديثه عن تخصيص العلة ألحظ فيها المنطق برمته من حيث المضمون، والألفاظ، وكذالك الأمثلة التوضيحية التي أوردها، فيقول : ((اعلم أن محصول مذهب أصحابنا ومتصرف أقوالهم مبني على جواز تخصيص العلة ، وذلك إنها إن تقدمت على الفقه فإنها أو أكثرها تجري مجرى التخفيف ، ولو تكلف متكلف نقضها لكان ذلك ممكنا ، وإن كان على غير قياس ومستثقلا. ألا تراك لو تكلفت

---

[1] ـ انظر المنصف لابن جني ج١،ص:١٩١ ـ ١٩٢.

[2] ـ المصدر السابق، ج١،ص:١٩١، وكذالك الخصائص، ج١، ص:١١١.

تصحيح فاء ميزان وميعاد لقدرت على ذلك ... وإن نفى القياس تلك الحال، وليست كـــذلك علل المتكلمين؛ لأنها لا قدرة لها على غيرها ، إلا أن اجتماع السواد والبياض في محـــل واحد ممتنع لا مستكره، وكون الجسم متحركا ساكنا في حال واحد فاسد...، فقد ثبت بذلك تأخر علل النحويين عن علل المتكلمين وإن تقدمت علل المتفقهين...))[1]

[1] - الخصائص ج١،ص:١٤٤ - ١٤٥.

المبحث الرابع
مبدأ الأصل عند اللغويين

أتناول هنا جانباً يتمثل في معرفة أحوال البنية المفترضة والتي عدل عنها ، فالكلمات العربية تلك الكلمات التي تشتمل على أصوات العلة يحدث لها تغيير طارئ يؤدي بها إلى تحويل البناء الذي يتوقع أن تجيء عليه الكلمة إلى بناء آخر تتطلبه الأحوال العارضة ، فيعدل عن الأصل لتصبح الكلمة في شكل جديد، وذلك ما يصادفنا كثيرا في النصوص العربية.

أي تغيير يعتري الكلمة فيؤثر على بنيتها الداخلية فتتغير هيئتها ، أو نطق أصواتها ، وهذا النوع من الدراسة عند القدماء قائمٌ ((على القول بالأصل، أصل الكلمة، فقد وضع الصرفيون للأبنية أصولا مجردة بنوها على علاقات التقاطع بين أصل الاشتقاق وأصل الصيغة))[1].

فالفعل :" قام " ، في الماضي عينه ألف، وفي المضارع ، واو " يقوم " وهذه العين لا نعثر عليها في الأمر " قم "، بينما نجد الثلاثي الصحيح الذي هو من باب فَعَلَ يَفْعُلُ ، صيغته في الماضي والمضارع والأمر تخالف كل الأوزان من الفعل العليل، وعدّ اللغويون كل ما يطرأ على هذا الفعل العليل انحرافاً عن الأصل، وعدولاً عنه، لابدّ من تتبعه، ومعرفة أصله.

---

[1] ـ دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية ، لطيفة النجار، ص:١٠٣

١ ـ المقصود بالأصل عند الصرفيين:

إذا سألت عن المقصود من القول بالأصل عند الصرفيين المتقدمين ، أو ماذا كانوا يعنون بالضبط عندما قالوا : إن هذه الكلمة أصلها كذا ، وتلك الكلمة أصلها كذا ؟

تظهر الإجابة واضحة في قول بعضهم: ((ينبغي أن يعلم أنه ليس معنى قولنا : إنه كان الأصل في قام وباع : قَوَمَ و بَيَعَ، وفي: أخاف وأقام: أخْوَفَ و أقْوَمَ، وفي : استعان واستقام: اسْتَعْوَنَ و اسْتَقْوَمَ، أننا لا نريد به أنهم كانوا نطقوا مدة من الزمن : يَقْوُمُ و يَبْيِعُ ونحوهما مما هو مغير ثم إنهم أضربوا عن ذلك فيما بعد.

وإنما يُراد بذلك أن هذا لو نطق به على ما يوجبه القياس بالحمل على أمثاله لقيل: قَوَمَ و بَيَعَ واسْتَعْوَنَ واسْتَقْوَمَ... ألا ترى أن: استقام بوزن استخرج فقياسه أن يكون اسْتَقْوَمَ إلا أن الواو قلبت ألفا لتحركها الآن وانفتاح ما قبلها في الأصل أعني قَوَمَ...))[١]

إنهم لا يعنون بالأصل أنه كان مستعملا لفترة ثم هجر[٢] من قبل العرب ؛ إذ يزيد بعضهم وضوحا أن ما كان على نحو: ((أحْوَجْتُ زيدا إلى كذا وكذا، وأعْيَلَتْ المرأة وغير ذلك ، فهذه الأشياء الشاذة إنما خرجت كالتنبيه على أصول ما غير ، وأنه لولا ما لحقه من العلل العارضة لكان سبيله أن يجيء على غير هذه الهيئة المستعملة))[٣].فالمقصود بالأصل هنا ما قرره اللغويون ، أي هو البناء الذي ينبغي للكلمة أن تأتي عليه ، أي حروف الكلمة دون تغيير يعتريها لسبب ما .

إن اللغويين قد عنوا عنايةً واسعةً بمبدأ الأصل، ووضعوا له قواعد كلية لصوغ الأبنية في العربية، فاعتمدوا في صوغ تلك القواعد على الأصل الذي تشترك فيه أمثلة كثيرة من الكلمات، وعلى هذا قام جانبٌ كبيرٌ من دراساتهم الصرفية، فكان الأصل معياراً يردّ إليه الكلمات وتقاس به إذا ضيّع الاستعمال أو غيّر بعض أصوات تلك الكلمات عن طريق النقل ، أو الحذف أو القلب.

---

[١] ـ المنصف، ج٢،ص:١٩٠-١٩١

[٢] ـ ربما كان الأصل مرحلة من مراحل تاريخ اللغة العربية، بدليل وجوده في بعض أخواتها الساميات، كالحبشية

[٣] ـ االمصدر السابق والصفحة.

٢ ـ أسباب التحول عن الأصل:

تتبع اللغويون مظاهر التحول عن الأصل ، وفَصّلوا القول فيها، وفَسّرُوا التغييرات التي تحدث في بنية الكلمة وأرجعوها إلى أسباب تكمن في العناصر الصوتية المكونة لها ، عند ظروف تجاور بعضها ببعض ، وتأليف السلسلة الكلامية.

فالأصوات حين تتجاور يؤثّر بعضها في بعض، فإذا حدث أن تجاورت بعض الأصوات المتنافرة في صفاتها ، فإن اللغة تميل إلى العدول عن هذا الأصل فراراً من الثقل الحادث بسبب تلك الأصوات المتجاورة . فالعرب اعتادت أن تحول الواو ياء في رضي مثلاً ، والسبب أنه لم يخف نطق الواو المتطرفة بعد كسرة لتنافرهما الصوتي ، فقلبت الواو حرفاً يجانس الكسرة ، وللعدول عن الأصل الذي حدده الصرفيون أسباب كثيرة ((معظمها تقوم على أمور تتعلق بالأصوات، أي تتعلق بطبيعة الأصوات التي تتشكل منها بنية الكلمة ، وبالأخص بطبيعة العلاقات أو الروابط التي تربط تلك العناصر ببعضها ؛ إذ إن هناك أصواتا يصعب النطق بها متتالية، بل يمتنع أحيانا ، فإذا حدث أن جاءت بعض الأصوات المتنافرة في صفاتها متتالية في كلمة ما، فإن اللغة تميل إلى العدول عن هذا الأصل ، فراراً من الثقل الحادث بسبب توالي تلك الأصوات في الكلمة))[١].

ولابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب فصل كامل يذكر فيه ((مذهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض ، وما يجوز من ذلك ، وما يمتنع، وما يحسن، وما يقبح، وما يصح...))[٢].

وفي كتاب آخر له أيضاً يؤكّد أن من الأسباب التي تؤدي إلى العدول عن الأصل تتمثل في: التعذر أو الاستثقال أو المجانسة الصوتية، وهذه الثلاثة ((منها ما لا يمكن النطق به أصلا؛ نحو ما اجتمع فيه ساكنان كسماء ، ومبيع، ومصوغ ونحو ذلك ، ومنها ما يمكن النطق به غير أن فيه من الاستثقال ما دعا إلى رفضه وطرحه... ومن ذلك امتناعهم من تصحيح الياء في نحو: موسر، وموقن، والواو في نحو: ميزان وميعاد، وامتناعهم

---

(١) ـ دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، لطيفة إبراهيم النجار ، ص:١٥٣،

(٢) ـ سر صناعة الإعراب، ج٢،ص:٨١١،

من إخراج افتعل وما تصرف منه إذا كانت فاؤه صاداً ، أو ضاداً، أو طاءً، أو ظـــاءً، أو دالاً، أو ذالاً، أو زياً، على أصله...))[1] .

فلو تمعنت بدقة هذا النص أقف على تلك الأسباب الثلاثة سالفة الذكر :

أ ـ التعذر جلي في أمثلة : سماء ، ومبيع ، ومصوغ ؛ إذ يجتمع فيها ساكنان ، والتقاء الساكنين على غير حدّه مرفوض، تعذر النطق العربي من إيراد الأصل و أصل هذه الكلمات

ــ سماو ← سماْا[2] ← سماء

ــ مبيوع ← مَبُيْوْع ← مبِيع

ــ مصْوُوغ ← مَصُوْوْغ ← مصُوغ.

ب ــ الاستثقال في نحو:

مُيسر ← موسر

مِوعاد ← ميعاد

لما وقعت الياء في الأولى مسبوقة بضم و الواو في الثانية مسبوقة بكسر عدل عنهما بقلب الياء واواً ، وقلب الواو ياء ليتجانسا مع الحركة السابقة لهما . ولو أحدٌ نطقهما من غيـــر تغيير لأمكن، لكن بصعوبة وثقل.

ج ــ المجانسة الصوتية في نحو:

ازتان ← ازتان ← ازّان

ازتاد ← ازداد

السبب هنا لما كانت فاء الافتعال زياً ، قلبت تاؤها دالاً ثمّ زياً مثلها في الأولى، ودالاً في الثانية للمجانسة الصوتية.

---

[1] ـ الخصائص، ج١ص:٢٦١ـ٢٦٣.

[2] ـ يؤكد ابن جني أن سماء، أصلها: " سماو" ، فلما وقعت الواو طرفا بعد ألف زائدة، قلبت ألفا ، صار التقدير سماا، أفلما تعلم أن أحد ما قدرته وهو التقاء الألفين لا قدرة لأحد النطق به. الخصائص، ج١ص:٢٥٧.

٣ـ حجة الأصالة عند اللغويين:

إن الإعلال والإبدال مظهران من مظاهر التحول عن الأصل ، وهما من أبرز ما يستدل به على وجود أصول للمواد العربية مستثقلة أو متعذرة نظرا لاشتمالها على بعض الأصوات ، أو لتجاور بعض أصواتها ، تميل العربية إلى العدول عنها، أو استبدال بعض أصواتها بأخرى.

وليس بغريب أن نجد القدماء مهتمين بأصوات العلة اهتماما منقطع النظير ، فكانت آراؤهم تجاهها واضحة بعدم ثباتها على حال واحدة ، معللين لها ، أن انحرافها يتجه نحو الخفة دائما؛ إذ أنها: ((تتغير ولا تبقى على حال كالعليل المنحرف المزاج ، المتغير حالا بحال ، وتغيير هذه الحروف بطلب الخفة ليس لغاية ثقلها ، بل لغاية خفتها، بحيث لا تتحمل أدنى ثقل، وأيضا لكثرتها في الكلام، لأنها إن خلت الكلمة من أحدها فخلوها عن بعضها ... محال، وكل كثير مستثقل وإن خف))[١].

بل نجدهم تعمقوا أكثر من ذلك في موضوع الأصلية، فأكدوا أن بعض الأصوات لا يكون أصلاً ألبته في بعض الصيغ، كما جاء في المناهل الصافية، أنه: ((لا تكون الألف أصلا في الاسم المتمكن ، أي المعرب ... ولا تكون أصلا أيضا في فعل ...))[٢]

ويعلل لعدم أصليتها في الاسم المتمكن؛ ((لأن الابتداء بالألف محال، والآخر مورد الحركات الإعرابية والوسط يتحرك في التصغير فلا يمكن وضعها ألفا ...))[٣]

أما عدم أصليتها في الفعل الثلاثي ((فلتحرك ثلاثتها في ماضيه، وأما الرباعي فلاتباعه الثلاثي ولكن تكون منقلبة عن واو ، أو عن ياء))[٤].

هذا الحكم ناتج عن الاستقراء الذي قام به اللغويون، وبناء عليه جاءت الأحكام تباعا ، وهو: ((أن الألف لا تكون أصلا في الأسماء ولا الأفعال ، وإنما تكون زائدة ، أو

---

(١) ـ شرح الشافية للرضي، ج٣ص٦٨

(٢) ـ المناهل الصافية إلى كشف معاني الشافية ، لطف الله بن محمد بن الغياث، ج٢ص٢١٦

(٣) ـ المرجع السابق والصفحة.

(٤) ـ المرجع السابق والصفحة.

بدلا ؛ لأنهم استقرَوا جميع الأسماء والأفعال ، أو جلها ، فلم يجدوا الألف فيها إلا كذلك، فَقُضِيَ لها بهذا الحكم))[١].

لقد كان اهتمام علماء العربية بالأصل واضحاً ، وظهر جلياً في الخط العربي؛ إذ تأثّر هذا الخط بالأصلية في الكلمة العربية، يقول العكبري[٢]: ((إن الألف إذا انقلبت عن واو كتبت ألفاً، وإن كانت منقلبة عن ياء كتبت ياء، وإنما فرقوا بينهما لينبهوا على أصل الحرف))[٣] .

إن القول بالأصل مبدأ مهم قامت عليه الدراسات الصرفية عند العرب قديما، حيث يؤمنون بمبدأ توحد الأنظمة اللغوية ، أي الأصول اللغوية، وتتمثل فائدته في أنه معيار ترد إليه الكلمات ، وتقاس به عندما تتأثر معرفة بناء ما، في العربية.

والقول ((بالأصل المجرد يكفل للصرفيين وضع قواعد كلية عامة لصوغ الأبنية في العربية ؛ إذ يعتمدون في صوغ تلك القواعد على الأصل المجرد المشترك بين أمثلة كثيرة من الكلمات التي قد يتحقق في بعضها ، وقد لا يتحقق في بعضها الآخر ، فبدلا من وضع قاعدة منفصلة لكل صنف ، نضع قاعدة واحدة تعتمد الأصل بغض النظر عن شوارد الأمثلة التي ترجع إليه))[٤].

إن التحول عن الأصل في بنية الكلمة العربية يكمن في طبيعة العلاقات الصوتية، أو الروابط التي تربط بين الأصوات التي تتشكل منها بنية الكلمة؛ إذ تتأثر الأصوات بعضها ببعض حينما تتجاور وفق قوانين صوتية، فإذا حدث أن جاءت بعض الأصوات المتنافرة في صفاتها متتالية في كلمة ما، فإن اللغة تميل إلى العدول عن هذا الأصل فراراً

---

(١) ـ المنصف لابن جني ج١،ص:١١٩

(٢) ـ هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين العكبري أبو البقاء النحوي الضرير. توفي سنة ست عشرة وست مئة. انظر إشارة التعيين، ص: ١٤٦.

(٣) ـ اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري، ج٢ص٤٨٢

(٤) ـ المغني في علم التصريف، عبد الحميد مصطفى السيد، ص:٨٢

من الثقل الحادث بسبب التقاء تلك الأصوات في الكلمة[1].

لقد اعتادت العرب أن تحول ما أصله الواو، ياء، في مثل:" سيد "؛ إذ الأصل: " سيود" ، وسبب ذلك أنه لم يستخف نطق الواو والياء والسابق منهما ساكن لتنافرهما الصوتي ، فقلبت الواو صوتا يجانس صوت الياء التي قبله للمجانسة والموافقة.

وكذلك أجدهم يبدلون التاء ، زاياً في صيغة: "افتعل" من: زان ، "ازّان" وأصل الصيغة: "ازتان" والتاء صوت انفجاري مهموس تأثر بالصوت الاحتكاكي المجهور قبله وهو:الزاي ، فأبدل دالاً ثمّ زاياً بغرض المجانسة.

ومن اللغويين من يسوق الشواهد والبراهين على صحة ما ذهبوا إليه من القول بإثبات الأصل ويرفض القول بالأصل التاريخي ، أي فكرة أن الكلمات كانت في فترة لها أصول معينة ، وبعد زمن تغيرت تلك الأصول ، فيقول: ((ومن أدل الدليل على أن هذه الأشياء التي ندّعي أنها أصول لا يعتقد أنها قد كانت مدة مستعملة ثم صارت من بعد مهمة ما تعرضه الصنعة فيها من تقدير ما لا يطوع النطق به لتعذره، وذلك كقولنا في شرح حال الممدود غير المهموز الأصل: سماو، وقضاي، فلما وقعت الواو والياء طرفا بعد ألف زائدة ، قلبتا ألفين، فصار التقدير بهما إلى: سماا وقضاا. أفلا تعلم أن أحد ما قدرته وهو التقاء الألفين لا قدرة لأحد على النطق به))[2].

---

[1] ـ الفكرة مستقاة من كتاب المغني في علم التصريف السابق، ص: ٨٢

[2] ـ الخصائص، ج ١، ص٢٥٧-٢٥٩

٤ ـ دلالة الأصل على المعنى

إن معرفة الأصل وسيلة أساسية في الدراسة الصوتية إذ إنه مهد إلى الوقوف على المعاني بدقة ، ولولا الأصل لخلط كثير من الشارحين والسامعين معا في أمر المعاني الحقيقية لكثير من الألفاظ العربية، ففي قول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [١]

هذه الآية تشتمل على فعل الأمر: "قرن" والتساؤل في هذا الفعل، أ هو من القرار أم من الوقار؟

إلى أيّ من المصدرين ينتمي ؟ فمن غير دراية بأصل فعل الأمر "قرن"[٢] المقترن بنون النسوة لا يمكن أن نهتدي إلى معنى الآية.إلا بعد معرفة أصل الفعل ، وكيفية صياغة الماضي والمضارع والأمر منه في المصدرين.

وكذالك لفظ "مُصْطَفَيْنَ" في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [٣]

دون معرفة الأصل وتوجيه ما عرض لأصواتها من إعلال يصعب تحديد نوع الصفة بهذه الكلمة. فالتحليل الصوتي الصرفي المبني على معرفة الأصل هو الكفيل والهادي إلى المعنى الدقيق. وهو أن أصلها: مُصْطَفَيِينَ، ــ اسم مفعول من مُصْطَفى جُمِع جَمْع مذكر بالياء والنون ــ ولما تحركت الياء الأولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفا، فاجتمع ساكنان ، سكون الألف والياء، فحذفت الألف، فصارت مُصْطَفَيْنَ.

إن الصرفيين تتبعوا بدقة مظاهر التحول عن الأصل ، وفصلوا القول فيه، مفسرين التغييرات التي تعرض للكلمة العربية ، متتبعين تنقلها من الأصل المجرد إلى الفرع المستعمل. فكان هذا هو دأبهم ، وهذه هي طريقتهم في إرجاع الكلمات إلى أصول مشتركة، فهو منهج يستند على الواقع اللغوي ، ويدعمه العقل الثاقب.

---

(١) ـ سورة الأحزاب، آية:٣٣

(٢) ـ ((يقرُّ قرارا ، وقرُورا ، وقرًا ، وتَقِرّة، ثبت وسكن كاستقرّ)) القاموس المحيط للفيروزأبادي، مادة: قرر ج٢ص١١٩. ، ووقر يقر، قِرَة، وتوقر ، واتّقر... وقرّ كوعد. القاموس المحيط ، مادة: وقر، ج٢ص١٦١.

(٣) ـ سورة ص، آية:٤٧.

٥ ـ موقف المحدثين من مبدأ الأصل:

لم يكن جهد المتقدمين في إثبات مبدأ الأصل ترفاً علمياً ، أو نوعاً من شغل الوقت ، وقتل الفراغ كما يزعم بعض المحدثين[١] ممن لا يؤمن بمبدأ توحد الأنظمة.

إن منهج الصرف عند القدماء ــ بلا شك ــ واقع الأمر فيه أقرب إلى ميدان العقل المبني على التفسير الصوتي ، من ذلك مثلا: صيغة "افتعل" وفروعها إذا كانت فاؤها أحد حروف الإطباق (الصاد ــ الضاد ــ الطاء ــ الظاء) أو كانت هذه الفاء دالاً أو ذالاً أو زاياً.

يقولون في الحالة الأولى تقلب تاء الافتعال، طاءً ، وفي الثانية تقلب هذه التاء، دالاً، فتقول: "اصطبر" "اضطجع" "اطعن" "اظطلم" ، والأصل: اصتبر ــ اضتجع ــ اطتعن ــ اظتلم، كما تقول: ادان ــ ادكر ــ ازداد ، والأصل: ادتان ــ اذتكر ــ ازتاد.

إنهم قرروا أصلاً لهذه الصيغ ؛ لأن القياس الأصلي لصيغها هو: "افتعل" وعلى منواله جاء: ابتكر ، واشتجر ، واختتم، فحاولوا إيجاد تفسير منطقي صوتي لهذه الأمثلة برجوعها كلها إلى صيغة واحدة، قياسا على الصحيح "افتعل".

هذا التفسير يتماشى مع المبدأ الذي بنوا عليه قواعدهم الصرفية، ــ مبدأ الأصل ــ الذي تحشد عليه الأمثلة، فابتكر واصطبر كلاهما على وزن " افتعل"، وكلاهما يرجع إلى أصل ثلاثي هو: الباء والكاف والراء في الأولى، والصاد والباء والراء في الثانية.

هذا الجنوح بهذه الأمثلة ، وإرجاعها إلى هذا المبدأ أثار بعض المحدثين ، ورأوا في هذا النهج غموضا واعوجاجا، أرادوا الخلاص عنه بمخرج لا يسلم هو أيضا من النقد والتضعيف.

إن مثل هذه الأمثلة عندهم ((يجب أن تعامل معاملةً مغايرةً لما درج عليه الصرفيون التقليديون. تلك المعاملة هي أن ننظر إليها بحالتها الراهنة ، فنصف ما بها من ظواهر دون إخضاع لها لوزن : "افتعل" وفروعه، فنخرجها من هذا الباب، متبعين في ذلك مبدأ

---

[١] ـ انظر دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشر، ص: ١٠١.

تعدد الأنظمة في البحث اللغوي "poly systematic principal"))[1] أي أن كل مثال منها له وزنه الخاص به، معتقدين أن مبدأ توحد الأنظمة جر المتقدمين إلى التأويل والافتراض.

أما التفسير العلمي لهذه الأمثلة عند المحدثين هو أن يؤخذ ((بمبدأ الوصف ومبدأ تعدد الأنظمة فلا يتم إلا على أسس صوتية اقتضتها خواص الصيغ المذكورة، فنقول، السياقات الصوتية التالية مستحيلة في العربية:

صوت مطبق + ت ، والمستعمل هو: صوت مطبق + ط

دال، ذال،زاي + ت ، والمستعمل هو: دال، ذال،زاي + د.

وبهذا لم نجاوز الحقيقة في شيء ، ولم نلجأ إلى شيء مفترض كما افترضوا هم أصلا لهذه الصيغ ...))[2] .

حسب ما اعتقد أن هذا التفسير جيّدٌ، وملائم لواقع الدراسة اللغوية حديثاً وقديماً ، إلا أن المبدأ الذي بني عليه هذا التفسير قد يكون مخالفا للصواب عندي ــ مع الاحترام لآراء هؤلاء العلماء الذين تتلمذت على كتبهم، وتكونت لدي من خلالها هذه الأفكار التي جعلتني أنظر إلى مضامين كلامهم نظرة متأنية ــ ويمكنني هنا أن أناقش هذه الآراء مناقشة حسب ما توفر لديّ من معلومات.

أ ــ إن المحدثين بنظرتهم النقدية تجاه مبدأ الأصل ورفضهم له ، يجعلني لا أهتدي إلى وزن معلوم للكلمات العربية، فلو سألت عن وزن هذه الأمثلة المتقدمة ، لجئت لكل كلمة بوزن مغاير لوزن أختها ، مما يجعل الأوزان تكثر وتشيع إشاعة لا حصر ولا ضابط لها، فيصبح الدرس الصرفي ــ لاسيما دراسة الأبنية ــ فاقداً للعلمية التي يتطلب منهجها بيان الحدود وتوضيح المعالم.

---

[1] ـ دراسات في علم اللغة، كمال بشر، ص:١٠٨

[2] ـ المرجع السابق والصفحة.

ب ــ إن رفض مبدأ توحد الأنظمة شيء خطير، يجر الدارسين إلى عدم التمييز بين الأصلي والزائد في الكلمات العربية ، فالقول باع يختلف تماما عن بايَعَ، وعن بائِع، ومبيع، فهذه كلها تعود إلى أصل ثلاثي واحد هو: صوت الباء والياء والعين.

فإن لم أعتد بهذا الأصل ، فيعني عدم الاعتداد بالشيء الزائد على الكلمة ، وعدم الاعتداد بالزائد يترتب عليه عدم إدراك المعنى للكلمة الثلاثية ذات المعنى الثابت، الذي يحتويه المصدر بالإضافة إلى المعنى الإضافي الناشئ عن الزيادة التي اشتملت عليها الكلمة من خلال زيادة الأصوات عليها. ومن ثم نضطر إلى هدم ذلك الباب العظيم من أبواب الصرف الذي لا ينكره أحد وهو: المعاني المترتبة على الزيادة في الاشتقاقات المختلفة للأبنية العربية.

إذا فالجهل بالأصل وعدم الاعتداد به مضيّعٌ للمعاني، معمٍ للدلالة ، تلك الدلالة التي لا غنى للمتكلم والقارئ والسامع معا عنها، كما سبق الحديث عن ذلك[1].

ج ــ إن رفض مبدأ الأصل يُدخل في مأزق آخر مع كلمات في العربية يصيبها تغيير نتيجة للتجاور والتجانس في مثل موضوع النون الساكنة عند مجاورتها للأصوات غير الحلقية، وبالأخص منها ، الباء مثلا، ومعلوم أن النون الساكنة لحظة وقوعها قبل الباء تقلب ميما في النطق، نحو قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [2] ، ونحو : منبر ــ قنبلة ، عند النطق تقلب ميما ، فإن لم نقل بالأصل ترتب عليه حذف باب كامل من أبواب التجويد، وهو أحكام النون الساكنة.

د ــ إن الافتراض الذي جاء به القدماء لم يكن حقيقيا في التاريخ، لكنه افتراض عقلي ، قياساً على ما صح من الكلمات ، فلا يفهم أن الكلمات كانت تنطق في فترةٍ معينةٍ نطقاً معيناً، ثم حدث لها تطورٌ صوتيٌّ فعدلت العرب عن النطق القديم إلى نطق آخر مغاير. وأكد هذا كثير منهم[3] في العديد من المواقع.

---

[1] ـ انظر دلالة الأصل على المعنى، ص: ٤٥، من هذا البحث.
[2] ـ سورة الروم، آية :٤
[3] ـ انظر المنصف، ج١ص١٩٠

هـ ــ أتوقع من هذا المنهج الجديد تقديم حلول مناسبة ومقبولة، والإتيان بالبدائل المغنية، لكن يلاحظ أن ما ينكره على المتقدمين يعود إليه حين التحليل في مثل قوله: ((السياقات الصوتية التالية مستحيلة في العربية :

صوت مطبق + ت والمستعمل هو مطبق + ط .

د ــ ذ ــ أو ز + ت والمستعمل هو : د ــ ذ ــ ز + د.))[1].

الاعتراض الذي يرد هو أنى لهم هذه التاء في هذا المنهج الجديد ؟ فكيف حصلت عليها ؟ إنه من غير إلمام بالأصل ودراية به لما أتيت إلى ذكر التاء ولا عرفتها ،

لذا أقرر مطمئناً أن معرفة الأصل هي التي قادتني إلى التاء ، ثم كيف أحكم باستحالتها في هذه البيئة الصوتية ؟

وما يدلل على صحة هذا النهج القديم هو خروج بعض المعتلات عن الشيء العام المعهود، فلم يحدث فيها تغيير ، فجاءت على أصلها ، وتعتبر شاذة عندهم، وهذه الأشياء الشاذة ((إنما خرجت كالتنبيه على أصول ما غُيِّر ، وأنه لولا ما لحقه من العلل العارضة لكان سبيله أن يجيء على غير هذه الهيئة المستعملة))[2] ، ومن الشواهد في ذلك ، قولهم:[3]

ــ اسْتَرْوَحَ من الروح لم تعل العين.

ــ اسْتَنْوَقَ الجملُ من ناقة لم تعل العين.

ــ اسْتَتْيَسَتِ الشاةُ من تيس لم تعل العين.

وقول الشاعر:

((صَدَدْتِ فأطْوَلْتِ الصُّدُودَ وقَلّما

وِصالٌ على طُولِ الصّدودِ يَدومُ))[4]

---

(1) ـ انظر ص:٤٧ من هذا البحث.

(2) ـ المنصف ، ج١ص١٩١.

(3) ـ المصدر السابق والصفحة.

(4) ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر الجيلاني، ص:٤٦٤.

أطولت من الطول، أي: طال، صحة الواو التي هي عين الكلمة، فجاءت على أصلها.وقوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [1] .

استحوذ من حاذ ، صحت الواو عين الكلمة في كتاب الله .

إنّ مثل هذه الكلمات التي خرجت عن القياس المبني على الأكثر تدل على أن أصواتها ظهرت في صورة الصحيح غير المعتل ، وهو أصلها الذي ينبغي أن تأتي عليه أخواتها المعتلات، وهي ((إنما خرجت كالتنبيه على أصول ما غُيّر ، وأنه لولا ما لحقه من العلل العارضة لكان سبيله أن يجيء على غير هذه الهيئة المستعملة))[2] .

وــ مع ما تقدم فإن المتقدمين لم يغفلوا التفسير الصوتي لهذه الظاهرة ، بل قرنوه بالمنطق المقنع ، والحقائق العلمية التي توصّلوا إليها كون مبدأ الأصل لا غنى عنه، فهو الركيزة الأساسية المفيدة في الدرس اللغوي عند العرب، وعليه بُنيت التفسيرات الصوتية؛ إذ جاءت عقبه، فالتاء في هذا البناء "افتعال" إذا كانت فاء الكلمة صوتا مفخما (مطبقا) قلبت طاءً تأثراً بما قبلها.

---

[1] ـ سورة المجادلة آية ١٩.

[2] ـ المنصف ج١ص١٩١.

الفصل الثاني

التعريف باللغويين ومناهجهم في الإعلال والإبدال

المبحث الأول:

سيبويه ودرسه للإعلال والإبدال

المبحث الثاني:

الزجاجي ودرسه للإعلال والإبدال

المبحث الثالث:

ابن جني ودرسه للإعلال والإبدال

التعريف باللغويين ومناهجهم في الإعلال والإبدال

انطلقت حركة تدوين اللغة في القرنين الهجريين الأول والثاني لجمع لغة البدو، وفي أثناء ذلك كان اهتمام المتقدمين بأبنية الكلمات والتغييرات الإعلالية العارضة. فتتبعوا تاريخها لإثبات الأصلية المفترضة وما آلت إليه الكلمة العربية نتيجة لهذا الإعتلال.

إلى جانب هذا تطرقوا إلى موضوع التغييرات الصوتية لبعض الألفاظ أو اللفظ الواحد الذي يروى له في أحد أصواته صوتان فأكثر نتيجةً لاختلاف البيئات والقبائل، أو التأثير عن طريق المجاورة الصوتية.

ولقد حاول اللغويون أن يخضعوهما للقوانين التي استقْرَوها ولصرامة القياس وأن يضبطوا مواضعهما. فأسهم اللغويون بشتى فنونهم وآرائهم في إضافة تفصيلات قيمة ومفيدة أغنت الدرس الصوتي الصرفي بدءاً بأبي الأسود الدؤلي[1] مروراً بالفراهيدي والفارسي إلى الوقت الراهن.

واخترت من بين هذه السلسلة الطويلة ثلاثة يمثل كل واحد منهم أمة في زمانه والأزمان اللاحقة له؛ ولأن مؤلفاتهم هذه احتوت على معلومات قيّمة في مجال التحليل الصوتيّ، وأنّها كانت متّكأً للدارسين من بعدهم. أعرّف لهم وأقف على ما حفّزهم على عملية التعليم والتأليف، والتعرّض للنماذج التي اختطوها ، ومناهجهم التي ساروا عليها في درس الإعلال والإبدال ليتسنّى لي الاعتماد عليها أثناء البحث، فكان من بين من اخترتهم: سيبويه والزجاجي في كتابه الإبدال والمعاقبة والنظائر ، وابن جنّي في كتابه سرّ صناعة الإعراب.

---

(1) ـ هو: ظالم بن عمر على الأشهر ولد أيام النبوة، وهو أول من نقط المصحف، مات في طاعون سنة تسع وستين، عاش خمسا وثمانين سنة. راجع سير أعلام النبلاء ج٤،ص:٨١.

المبحث الأول

سيبويه ودرسه للإعلال والإبدال

١ـ ترجمة سيبويه [١]

هو عمرو بن عثمان بن قنبر (بفتح القاف والنون)[٢] بن الحارث بن كعب بن عمرو ابن علة بن جلد بن مالك بن أدد[٣] وهذا هو الأشهر، وقيل كان يكنى بأبي ((الحسن وأبي عثمان والأول أشبه وأثبت))[٤] ، ملقباً بسيبويه، (بفتح الباء والواو)، ويعني رائحة التفاح.[٥]

ولد بالبيضاء، و هاجر إلى البصرة، و قضى فيها حياةً علميةً جعلت منه شخصاً متميّزاً، ومن ثمّ كان إماماً لها في اللغة ينظر إليه الجميع نظرة احترام وتقدير .

أما عن صفاته فإنه كان شاباً نهما طموحاً جميلاً طيب الرائحة نظيفاً لطيفاً صدوقاً، وفي لسانه حبسة تعوقه عن الانطلاق والاسترسال في الحديث ، قلمه أبلغ ، وعلمه أوسع، جاداً في أخذه عن العلماء دونما ملل [٦]، وهو الذي يقول فيه الخليل : ((مرحبا بزائر لا يمل))[٧] وكان رحمه الله حافظاً للقرآن ،محبا للكتب، مقبلا على العلم إقبالاً شديداً حتى لا يُفَضّل لديه شيء ، أو يشغله عنه شيء ...[٨] .

بدأ دراسته بعلوم الدين من الفقه والحديث ، ولحاجةٍ في نفسه تركها ليذهب إلى اللغة، وغلب عليه النحو والصرف ، فصار إماماً فيهما، وعالماً بارعاً ، فحقق طموحاً كبيراً بتزوده من الثقافة العربية.

---

[١] ـ ترجمت لسيبويه كتب كثيرة والتي وقفت عليها: ـ أخبار النحويين البصريين، ص : ٤٩ـ ٥١ ـ إشارة التعيين، ص : ٣٤٣ ـ انباه الرواة على أنباه النحاة، ٣٤٦/٢ـ٣٥٢ ـ بغية الوعاة ٢٣٠/٢ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ٣٥١/٨ـ٣٥٢

[٢] ـ ضبطه كثير بهذا، ويرى الدكتور أحمد أحمد بدوي أنه: قنبر بضم القاف. راجع : سيبويه حياته وكتابه،ص: ٥.

[٣] ـ انظر انباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي٣٤٦/٢

[٤] ـ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي اليماني ، ص : ٢٤٢.

[٥] ـ يرى محقق كتاب سيبويه عبد السلام محمد هارون أن اللقب سيبويه يعني: الثلاثون رائحة، وليس رائحة التفاح كما ذهب إليه كثيرون، ٤٠٣/١

[٦] ـ انظر بغية الوعاة للسيوطي ٢٢٩/٢

[٧] ـ المصدر السابق والصفحة نفسها

[٨] ـ انظر تحصيل عين الذهب للشنتمري ٤/١.

وقصّة تحوّل سيبويه من الدراسات الشرعية إلى الدراسات اللغوية جديرة بالذكر هنا؛ إذ تجلي عزم سيبويه، وقوته في تجاوز الصعاب إلى تحقيق غاياته ومآربه، فيروي كثيرٌ من المؤرخين أن سيبويه لم يطلب النحو أوّل ما طلب ، بل كان **يطلب** الفقه والحديث ، فلزم حلقة حماد بن سلمة بن دينار المحدث ، وعبر هذه الحلقة العلمية لحن سيبويه ، قال نصر بن علي : ((كان سيبويه يستملي من حماد بن سلمة[١] يوما: قال رسول الله صلى عليه وسلم :" ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء[٢] ، فقال سيبويه: " ليس أبو الدرداء" فقال: " لحنت[٣] يا سيبويه" قال سيبويه: "لا جرم لأطلبن علما لا تلحنني فيه أبدا"، فطلب النحو ولم يزل يلازم الخليل.))[٤]

وقد لازم غيره أيضاً من العلماء في الجانب اللغوي وبرع فيما طلبه، وكان كتابه متكأً في علوم اللغة للذين جاءوا من بعده .

تتلمذ سيبويه على علماء مدينة المهجر التي قصدها وأهله منذ صغره، فنال حظه من التعليم، وأشهر من أخذ عنهم: الخليل بن أحمد الفراهيدي، وعيسى بن عمر الثقفي[٥]، ويونس بن حبيب[٦]...، وأخذ عنه جماعة، منهم: الأخفش[٧] و قطرب[٨]...

ورد سيبويه بغداد على يحيى البرمكي، فجمع بينه وبين الكسائي[٩] لمناظرة، لم تطل مدته بعدها، مات سنة ثمانين ومائة بفارس في أيام الرشيد، وقبره بشيراز[١٠].

---

(١) ـ هو: حماد بن سلمة بن دينار، كان من متقدمي النحويين من أساتذة سيبويه، توفى سنة تسع وستين ومائة. انظر نزهة الألباء، ص:٤٢.

(٢) ـ رغم البحث الدقيق في السنن والمكتبة الإلكترونية عن هذا النص فلم أقف على ما يفيد أنه حديث نبوي.

(٣) ـ إن "أبا " منصوب على اعتبار " ليس "استثناء ، وليست من أخوات كان. انظر سيبويه جامع النحو، د/ فوزي مسعود، ص:٣١.

(٤) ـ إنباه الرواة للقفطي ج٢ص٣٥٠

(٥) ـ هو الثقفي ، قيل كان مولى لخالد بن الوليد، كان صاحب استعمال للغريب الوحشي، وبه ضيق نفس، توفي سنة تسع وأربعين ومائة. انظر البلغة، ص:١٧٩-١٨١.

(٦) ـ هو أبو عبد الرحمن الضبي البصري، عاش ثمانيا وثمانين سنة ولم يتزوج، مات سنة اثنين وثمانين ومائة. انظر بغية الوعاة، ج٢ص٣٦٥.

(٧) ـ هو سعيد بن مسعدة المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط، قرأ النحو على سيبويه ، وكان أسن منه، وهو من أبرع أصحابه، وكان معتزليا، له مصنفات منها الأوسط، توفي سنة ٢١٥هـ. انظر إشارة التعيين، ص: ١٣١-١٣٢.

(٨) ـ هو أبو علي محمد المستنير، لقبه سيبويه بقطرب لبكوره في الطلب، توفى سنة ست ومائتين. البلغة، ص:٢٤٧.

(٩) ـ هو علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان بن فيروز مولى بني أسد، كان أحد أئمة القراء السبعة. مات سنة ثلاث وثمانين ومائة. انظر نزهة الألباء، ص:٥٨-٦٣.

(١٠) ـ انظر نزهة الألباء،ص:٥٨، وكذلك سير أعلام النبلاء،ج٨ص:٣٥١.

٢ ـ أصول سيبويه في درس الإعلال والإبدال:

إنّ كتاب سيبويه هو أول كتاب يصل إلينا: جامعٌ لقضايا اللغة، وخزانة لعلوم العربية من نحو وصرف وأصوات ، وليس بالإمكان أن نتحدث عن أصول ظاهرتي الإعلال والإبدال ومصادرها فيه بمعزل تام عن بقية الموضوعات التي احتواها الكتاب .

وتتمحور أصول هذا الكتاب في أن سيبويه كان ناقلاً أميناً للآراء النحوية والصرفية التي تبلورت عبر أجيال متلاحقة ، أضاف إليها النتاج العلمي في عصره، فأصبحا جزءً أساسياً لمادة الكتاب ، ثم تلاهما سماعه عن الأعراب وفصحاء القوم، فأغنت كتابه بكثير من المسائل المهمة، ثم عَقّبَ ذلك بالقياس الذي يعتبر قسماً مكملاً لهذا السفر المتين ، فالواقف على هذا الكاتب يمكن أن يستخلص عنه أصولا أساسية في درس الإعلال والإبدال وتنحصر في أربعة مصادر، هي: النقل عن اللغويين، والنص القرآني ، وسماع الأعراب ، والقياس ، وإليك بيان ذلك:

١/٢ ــ النقل عن اللغويين:

الذي يتضح من الكتاب أن سيبويه كان يعتمد اعتماداً كبيراً على النقل؛ إذ ينقل عن سابقيه، وليس عيبا أن يكون هذا الجهد قد اتكأ على بناء سابق، بحيث يستفيد صاحبه حين وضعه مما توصلت إليه العربية من دراسات ونتائج علمية في هذا المضمار؛ إذ إن محاولات وضع النحو العربي بدأت منذ زمن مبكر، ظهرت في كتابين لم يصلنا منهما إلا ذكرهما ، وهما الإكمال والجامع لعيسى بن عمر الثقفي [١] شيخ سيبويه.

لا شك أن سيبويه قد استفاد منهما فائدة كانت نتائجها ظهور هذا السفر، إذ يعدّ ثمرةً لكل الجهود التي قام العلماء والمؤلفون بها منذ أن بدأت محاولات وضع قواعد النحو، فجمع ذلك الشتات وأضاف إليه ما سمعه عن العرب وحشّاه بآراء شيوخه وتعليقاتهم، فانتفع بعلمهم وهم كثيرون، وكذالك بنتائج أبحاثهم التي قدموها . فمن مجموع ذلك كله ظهر كتابه شاملا لأصول النحو والصرف والأصوات، وإلا فمن الغرابة أن يظهر أول كتاب بهذه الصورة دون أن تكون هناك محاولات قد سبقته.

---

[١] ـ انظر إنباه الرواة ج٢ص٣٤٧

بهذا المفهوم نتعامل مع مقولة ثعلب[١] : ((اجتمع على صفة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنسانا منهم سيبويه ، والأصول والمسائل للخليل))[٢]، كان ناقلاً أميناً لما حواه كتابه، جعلت من بعض العلماء أن يشك في نسبته إليه.

فما يمكن تأكيده أن الكتاب استفاد من المحاولات الجادة السابقة له، ويشير إلى مصادرها حينما تقتضي الحال ذلك، وإليك شيئا من ذلك من خلال كتابه فيما يتعلق بالإعلال والإبدال .

١/١/٢- نقل سيبويه عن الخليل بن أحمد

مما يدل على صحة نقله عن الخليل قوله:

((وسألت الخليل ... ومن العرب من يقول في ناب نويب ، فيجيء بالواو لأن هذه الألف مبدلة من الواو أكثر وهو غلط منهم.))[٣]

((وسألت الخليل عن فُعلٌ من وأيت فقال : وُؤيٌ كما ترى، فسألته عنها فيمن خفف الهمزة فقال : أُويٌ كما ترى ، فأبدل من الواو همزة ، فقال : لا بد من الهمزة ؛ لأنه لا يلتقي واون في أول الحرف .))[٤]

((وسألت الخليل عن سُوير وبُويع ما منعهم من أن يقلبوا الواو ياء ؟ فقال : لأن هذه الواو ليست بلازمة ولا بأصل ...))[٥] .

الكتاب يفيض، وهو مليءٌ بقوله: وسألت الخليل... فقال... ، حتى إنه من كثرة ما ورد ذلك يختصره في كثير من الأحيان بقوله : وسألته، فالضمير حينئذ عائد إلى شيخه الخليل، من ذلك :

((وسألته عن اليوم فقال : كأنه من : يُمتُ وإن لم يستعملوا هذا في كلامهم))[٦].

---

[١] ـ هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني النحوي، توفى سنة إحدى وتسعين ومئتين. انظر نزهة الألباء، ص:١٧٣-١٧٦.

[٢] ـ انباه الرواة،ج٢،ص٣٤٧..

[٣] ـ الكتاب لسيبويه ج٢ص١٢٧

[٤] ـ المصدر السابق ج٣ص٣٣٣

[٥] ـ المصدر السابق ج٤ص٣٦٨

[٦] ـ المصدر السابق ج٤ص٣٧٤

((وسألته كيف ينبغي له أن يقول أفعلت في القياس من اليوم على من قال : أطولت، وأجودت ، فقال: أيمت، فتقلب الواو هاهنا كما قلبت في أيام))[١]، نظرا لاجتماعها ساكنة مع الياء.

((وسألته عن قوله : سؤتُه سوائية، فقال : هي فعالية بمنزلة علانية))[٢]

((وسألته عن مسائية، فقال : هي مقلوبة، وكذلك أشياء وأشاوي))[٣]؛ لأن مسائية أصلها: مساوئة، قدمت الهمزة على الواو، ثم قلبت الواو ياءً لكرههم الهمزة مع الواو. وأشياء أصلها: شيئاء. وأشاوى أصلها: أشايا، قدمت الياء على الألف ثم قلبت الألف واواً.

((وسألته عن واو عجوز وألف رسالة وياء صحيفة ... فقال :...))[٤]

((وسألته عن قول بعض العرب: رضيوا ، فقال :..))[٥]

((وسألته عن قولهم قضايا، فقال : ...))[٦]

((وسألته عن قولهم : صلاءة وعباءة وغطاءة ؟ فقال : ...))[٧] .

ولسيبويه طريقٌ في التعامل مع الخليل غير السؤال وهو سرد آرائه، فيقول: ((وأما الخليل فكان يقول: جاء على أن فعله معتل وإن لم يكن يتكلم به كما قالوا: قَوَدَ، فجاء كأن فعله على الأصل))[٨]

أو ((زعم الخليل أن ناسا من العرب يقولون : لم أُبَلِه ...))[٩]

---

(١) ـ الكتاب ج٤ص٣٧٤
(٢) ـ المصدر ج٤ص٣٧٩
(٣) ـ المصدر ج٤ص٣٨٠
(٤) ـ المصدر ج٤ص٣٥٦
(٥) ـ المصدر ج٤ص٣٨٦
(٦) ـ المصدر ج٤ص٤٠٥
(٧) ـ المصدر ج٤ص٣٨٧
(٨) ـ المصدر ج٤ص٣٩٩
(٩) ـ المصدرج٤ص٤٠٥

٢/١/٢- نقل سيبويه عن أبي الخطاب[١]:

ومما ورد في صحة نقله عن شيخه أبي الخطاب وأمانته في صحة النقل ، يقول سيبويه :

((وزعم أبو الخطاب أنهم يقولون ....))[٢]

((وحدّثنا أبو الخطاب أنها لغة هذيل ...))[٣]

((وحدّثنا أبو الخطاب وغيره من العرب : وزعموا أن بعض طي يقول أفْعَوا في أفْعَى عند الوقف ... لأنها(أي الواو) أبين من الياء ولم يجيئوا بغيرها؛ لأنها تشبه الألف في سعة المخرج والمد ؛ ولأن الألف تبدل مكانها كما تبدل مكان الياء ...))[٤]

((وحدّثنا أبو الخطاب أن ناسا من العرب يقولون : كِيدَ زيد يفعلُ، وما زِيلَ زيد يفعلُ ذاك ، يريدون : زال وكاد ...))[٥].

((وحدّثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا رامي وغازي وعمي ...))[٦]، أي هذا رامٍ وغازٍ وعمٍ.

٣/١/٢- نقل سيبويه عن مجموعة من العلماء

وما نقله عن غيرهما أيضاً كثيرٌ، فمنه قوله :

((وحدّثنا يوسف وغيره أنّ ناساً من العرب يقولون في وجِلَ : يوجَلُ ونحوه : موجَلٌ وموجَلٌ ...))[٧]

((وزعموا أن بعض العرب يقول: يَئِسُ يَيْئَِسُ ، فحذفوا الياء من يفعلُ (يَئِسُ) لاستثقال الياءات هاهنا مع الكسرات ...))[٨]

---

[١] ـ هو عبد المجيد بن عبد الحميد الأخفش الأكبر شيخ العربية أبو الخطاب البصري، لم أقع له بوفاة. انظر سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص:١١٨.

[٢] ـ الكتاب ج٤ص٤٢٤

[٣] ـ المصدر ج٤ص٤٤٠

[٤] ـ المصدر ج٤ص١٨١

[٥] ـ المصدر ج٤ص٣٤٢

[٦] ـ المصدر ج٤ص١٣٨

[٧] ـ المصدر ج٤ص٩٣

[٨] ـ المصدر ج٤ص٥٤

((وزعموا أن ابن أبي إسحاق كان يحقق الهمزتين وأناس معه ، وقد تكلم ببعضه العرب ، وهو رديء فيجوز الإدغام في قول هؤلاء وهو رديء))[١]

((وحدثنا من سمعهم يقولون ...))[٢]

((وقال ناسٌ كثيرٌ من العرب : قد حَيِيَ الرجل وحَيِيَتُ المرأة ، فبين ، ولم يجعلوها بمنزلة المضاعف من غير الياء ، وأخبرنا بهذه اللغة يونس))[٣]

وأجد سيبويه في مواضع أُخرى يذكر كلاماً مطولاً في قضايا الإعلال والإبدال ثم يعقبه بقوله : وجميع هذا قول الخليل ، أو هذا قول الخليل ، وبعد هذا لا يعقل أن يأخذ سيبويه كلام غيره وينسبه لنفسه.

٢/٢- النص القرآني عند سيبويه:

ضمن هذه النقول التي أسهب فيها سيبويه فإنّه قد كان يعتمد النصّ القرآني أيضاً مصدراً آخر ضمن مصادره اللغوية ، وكذلك الشعر العربي ، وإن كان النصّ القرآني ــ يشار إلى ندرة الاعتماد عليه عند سيبويه ــ فهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الذي نزل بلغة العرب ، فيحق أن يكون هو المصدر الأوّل والأساس الذي لا يقبل الحياد، وهو المنقول بالتواتر؛ إذ إنه دليل قطعي من أدلة النحو يفيد العلم[٤] الضروري.[٥]

---

(١) ـ الكتاب ج٤ص٤٤٣

(٢) ـ المصدر ج٤ص١٨٢

(٣) ـ المصدر ج٤ص٣٩٧

(٤) ـ انظر المزهر للإمام السيوطي ج١ص١١٣

(٥) ـ العلم الضروري هو الذي بينه وبين مدلوله ارتباط معقول كالعلم الحاصل من الحواس الخمس (السمع ، والبصر ، والشم ، والذوق، واللمس،) ، وهذا موجود في خبر التواتر ، فكان ضروريا. راجع المزهر ج١ص١١٣.

ومن استشهاده بالقرآن، قوله: ((لا نعلم شيئاً من المضاعف شذّ عمّا وصفت لك إلا هذه الأحرف. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَحُقَّت [1] ﴾))[2].

((وأما قول بعضهم في القراءة : ﴿إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ﴾ [3] فحرّك العين ، فليس على لغة من قال : نعْم فأسكن العين، ولكنه على لغة من قال : نعِم فحرك العين، وحدثنا أبو الخطاب أنها لغة هذيل))[4].

وقوله أيضاً: ((وتصديق ذالك قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ [5] ، يريد: فتدارأتم .

﴿ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾[6]، إنما هي تزينت... ومن ذالك قوله عزّ وجلّ: ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ [7] ﴾)).

وقوله: ((يحذف في الفواصل، نحو قول الله عز وجل: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾[8] وقوله تعالى:﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾[9].

وإن شئت حذفت التاء الثانية، وتصديق ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[10]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ﴾[11]))

وقد قال ((قوم ﴿ وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ [12] ﴾ جعلوها بمنزلة ما كسروا من السواكن))[13].

وأورد قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ﴾[14] في حذف أواخر الأسماء عند الوقف[15].

---

(1) ـ سورة الانشقاق آية ٣ و ٥.
(2) ـ الكتاب ج٤ص:٤٢٢.
(3) ـ سورة النساء آية:٥٨.
(4) ـ الكتاب ج٤ص:٤٤٠.
(5) ـ سورة البقرة، آية:٧٢.
(6) ـ سورة يونس، آية: ٢٤.
(7) ـ سورة النمل، آية: ٤٧.
(8) ـ سورة الكهف، آية:٦٤.
(9) ـ سورة غافر، آية ٣٢.
(10) ـ سورة القدر، آية ٤.
(11) ـ سورة آل عمران، آية: ١٤٣
(12) ـ سورة البقرة، آية:٢٣٧.
(13) ـ الكتاب ،ج٤ص١٥٥.
(14) ـ سورة القيامة، آية: ٢٦.
(15) ـ انظر الكتاب ج٤ص:١٨٤.

هذا قليل من كثير ورد عند سيبويه معتمداً عليه في إثبات أحكامه لا سيما تلك المتعلقة ببابي الإعلال والإبدال، وإن أشير إلى ندرة الشواهد القرآنية عنده، فمجموع ما ورد في موضوع الإعلال والإبدال من مجموع الشواهد يعتبر الاستدلال بالقرآن قد أخذ حيّزاً ليس بالهين.

٣/٢ - السماع عن الأعراب:

الناظر لكتاب سيبويه يقف بوضوح على ما يدلل أنه قد رحل إلى البوادي العربية وشافه أهلها واستمع إليهم آخذا بأقوالهم ، حيث إن كتابه يفيض بعبارات: سمعنا بعض العرب يقول، سمعت من أثق به من العرب ، سمعنا العرب الفصحاء ، وسمعتهم يقولون، وسألنا العرب ...الخ ، كل هذا يعد برهانا قاطعا على أن سيبويه كان ضمن اللغويين الذين يجوبون البوادي ، ويسألون العرب ، ويستفسرون منهم عن تلك المسائل اللغوية التي سطروها أخيراً في كتبهم .

يرى بعض العلماء أن سيبويه لم يذهب إلى البادية لمقابلة الأعراب ومشافهتهم والأخذ عنهم كما فعل معاصروه من مشايخه كالخليل وغيرهم ، فيعتقدون ((أن سيبويه لم يرحل إلى الأعراب في بواديهم وما كان بوسعه أو مقدوره أن يفعل ذلك؛ لأن مادة الكتاب وما فيها من شواهد لم تكن دليلا واضحا يشهد بصحة هذا القول أو ذاك ، وإنما كانت نقلاً منقولاً عن شيخه الخليل بن أحمد وغيره من الأئمة السابقين وفي مقدمتهم عيسى بن عمر صاحب كتاب الجامع والإكمال))[1] .

فالواضح أن سيبويه قد رحل إلى البوادي العربية ، وعايش العرب في بيئاتهم المختلفة ، فشافههم ، وسمع عنهم ، ونقل عنهم مباشرة ، وغير مباشر، فتلقى تلك المعلومات المهمة عن العرب أنفسهم ، وكتابه مليء بما يؤكد صحة ملاقاته للعرب ؛ إذ كان عالما بلغاتهم وما فيها من كثرة وقلة ، وما تتصف به من قوة وضعف.

ويمكن أن أقف على مقولات له تتعلق بالإعلال والإبدال في كتابه أتلمس منها صدقه في عزو الأمور إلى أهلها ودقته في سماعه بذاته عنهم ، وفي سماعه بواسطة، يقول: ((وأما ناس من بني سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف ؛ لأنها خفية...

---

[1] - سيبويه جامع النحو، فوزي مسعود، ص:٣٢.

وسمعت بعضهم يقول : عرباني ، وحدثني من سمعهم يقولون: خالي عريف وأبو علج...))[1]

يتضح من هذا النص أن سيبويه أمين في سماعه ، حينما لم يكن قد سمع عن العرب فلم يَدّعِ سماعه، فينبه إلى الجهة التي سمع عنها ، وما دام الكتاب يتضمن هذا الصنيع ولو كان يسيراً فإنه يؤكد بجلاء صدق مؤلفه وأمانته، وبالتالي يتحتم كونه سمع مباشرة عن العرب ، والسماع عنده أصل متين في دراسة الإعلال والإبدال .

٤/٢ ــ القياس عند سيبويه:

عرّف القياس ابن الأنباري بقوله : ((حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه))[2]

وعند بعضهم ، هو : ((حمل فرع على أصل لعلة جامعة بينهما وإعطاء المقيس حكم المقيس عليه في الإعراب أو البناء أو التصريف))[3]

يتضح من هذين التعريفين أن القياس في النحو يعني قياس الأمثلة على القاعدة ، وبمعنى أوضح أن المنقول عن الذين يحتج بكلامهم يعتبر قاعدة ثم تقاس الأمثلة على القاعدة، فالذي يقاس عليه له حكم ثابت أما الذي يقاس فهو الذي يحتاج إلى حكم .

لقد اعتبر النحاة القياس مصدراً من المصادر المهمة التي تثري اللغة وتغنيها، لذلك توجهت عنايتهم إليه حتى وصلوا درجة من الغلوّ فيه ؛ حيث يعيبون في فترة من الفترات من أنكر القياس ، وعدّوه لا يعرف النحو ، ولا يجيد طرق الاستنباط ، بل صار بعضهم يجعل النحو كله قياساً ، قال قائلهم : ((اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق لأن النحو كله قياس))[4]

يهدف سيبويه من تمسكه بالقياس إلى الوصول بالنحو والصرف إلى مرتبة العلم المضبوط، والمتأمل لكتابه يجد فيه أمثلة كثيرة للقياس بما يدل على أنه وصل على يديه

---

(١) ـ الكتاب،ج٤ص١٨٢

(٢) ـ الإغراب في جدل الإعراب، ابن الأنباري، ص : ٤٥.

(٣) ـ أصول النحو العربي، محمد خير الحلواني ، ص : ٩١.

(٤) ـ دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرءان للفراء ، مختار أحمد ديرة ، ص : ١٣٦.

إلى تمام قوته ، فصار ركيزةً من ركائز الدراسة النحوية والصرفية، خصوصاً بافتراضه للفروض النظرية ، وإعطائها الأحكام الخاصة. وله طريقته الخاصة في القياس ؛ إذ لم يعتدّ بالقليل النادر ، وإنما كان لا يقيس إلا على الكثير المطّرد من كلام العرب.

وما يبرهن على ذلك من الكتاب مختصراً في موضوع الإعلال والإبدال :

أ ــ القياس على الكثير : يقول سيبويه : ((إن جاء اسم نحو الناب لا تدري أمن الياء أم الواو؟ فاحمله على الواو حتى يتبين لك أنها من الياء ؛ لأنّها مبدلة عن الواو أكثر ، فاحمله على الأكثر حتى يتبين لك))[١]

((ومن العرب من يقول في ناب : نويب ، فيجيء بالواو؛ لأن هذه الألف مبدلة من الواو أكثر وهو غلط منهم))[٢]، فهو يائي، يقال: نُيَيْب.

ب ــ لا يقاس على القليل، و((قالوا: الشكور، كما قالوا: الجحود، فإنما هذا الأقل نوادر تحفظ عن العرب ولا يقاس عليها))[٣]، أي قلب كل واو متصدرة همزة ليس مطرداً.

ج ــ لا يقاس على الشاذ ، يقول سيبويه : ((أناة في: وناة ليس مطردا))[٤] ، ويقول: ((لا ينبغي لك أن تقيس على الشاذ المنكر في القياس)) .[٥] و أجد سبيويه يضع باباً كاملاً يوضح فيه قياس المضاعف، فيفترض الفروض قياساً على النظير، فيقول : ((باب ما قيس من المضاعف الذي عينه ولا مه من موضع واحد ولم يجئ في الكلام إلا نظيره من غيره))[٦]. إن سيبويه يذهب بالقياس بعيداً بحيث يأتي بما لم تتكلم به العرب قياساً على الذي تكلمت به، فيقول : ((وذلك إذا أردت أن تكثر الشيء بالمكان وذلك قولك : أرض مسبعة ، ومأسدة ، ومذأبة ، وليس في كل شيء يقال إلا أن تقيس شيئا وتعلم أن العرب لم تتكلم به))[٧]. إنه بنى الصرف على أقيسة وصل إليها بذكائه وفطنته.

---

(١) ـ الكتاب، ج٢ص١٢٧.
(٢) ـ المصدر السابق والصفحة.
(٣) ـ المصدر، ج٢ص٢١٥.
(٤) ـ المصدر، ج٢ص٣٥٥
(٥) ـ المصدر، ج٤ص٣٩٨
(٦) ـ المصدر، ج٤ص٤٢٧.
(٧) ـ المصدر، ج٤ص٩٤

٣ـ منهج سيبويه في الإعلال والإبدال

أسعى في هذه الجزئية إلى بيان المنهج الذي اختطه سيبويه في كتابه حين درسه للإعلال والإبدال، وهو يتلخص في النقاط التالية:

٣/١- تبويب الكتاب:

الكتاب مرتبٌ على أبواب حيث يعنون للموضوع الذي يريد تناوله بعنوان معين نحو: هذا باب كذا وكذا ... ، وبعد تسمية الباب يسرد الموضوع تحته ، وحينئذٍ يلاحظ في موضوع الإبدال أنه لم يضم الموضوع في مكان واحد ، فتقابلك جزئيات عن هذا الموضوع هنا وهناك وكأن لم يكن بينها أيّ رابطٍ ، فيظهر كأنه كتاب موضوع لمتخصصين ، فيبدو عليه الإيجاز حيناً ، بحيث كل كلمة فيه موضوعة لمعنى . ولا محل للغرابة إذا وجدته حيناً آخر يلتزم جانب التفصيل والتفريع، وتجزئة الموضوع إلى نقاطٍ كثيرة .

ولضبط الجزئية التي يريد التحدث عنها ألاحظه يقدم القاعدة أحياناً مع ذكر الباب ، أو أنه يجعل الباب نفسه قاعدة ، ويسرد الأمثلة بعده ، وأحياناً يقدم التعليلات ثم يعقبها بالأمثلة .

٣/٢- غزارة المعلومة:

إن موضوع الإعلال والإبدال عند سيبويه لم يكن يأخذ طابع الدراسة الحالية ، فإنه من الصعوبة البالغة أن تقف على ما تريد في مكان محدد ؛ إذ إن سيبويه ينثر المعلومات ذات الأصل الواحد في مختلف صفحات الكتاب الكبير،كثير المداخلات، بخلاف موضوع الأصوات، نجده قد عالجها في مكان واحد ، بين مخارجها وصفاتها .

وإذا تساءلت عن سرّ هذا السرد في المعلومات فأتوقع أن غزارة المعلومة تكونت لديه بعد أن هضم جل الدراسات في عصره وقبل عصره بتتلمذه على كبار العلماء، فتكونت لديه ملكة علمية غزيرة ، فحينما يتعرض لموضوع معين ، فسرعان ما تتناثر المعلومات لديه ، فتتدفق عن كثب من ذاكرته بما يعيق الترتيب في ظاهره ، وعدم

التنظيم في الأبواب والموضوعات ، كما هو الشأن عند الذين جاءوا من بعده ، وهم الذين بلغت الدراسات العربية عندهم درجة النضوج ، مما كان سبباً مباشراً في جمع المعلومات وترتيبها ترتيباً راقياً، وإخراجها إخراجاً تقبله الدارسون برضى.

ولعل من الأجدر هنا أن أتناول باباً من أبواب الإعلال في كتابه لأقف على صورة واضحةٍ أترسم من خلالها منهج سيبويه في قواعد الإعلال والإبدال ، ويمكن أن آخذ مثلاً: ((باب ما تقلب الواو فيه ياء إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة ، أو كانت ساكنة والياء بعدها متحركة)) [١] .

في هذا الباب أتوقع منه أن يعالج كل ما يتعلق بقلب الواو ياء ، لكنه بهذا العنوان الذي يحتل حيزاً كبيراً لا يعالج إلا جزئية صغيرة من أجزاء الموضوع الأكبر الذي هو : قلب الواو ياء.

وورد قبل هذا الباب بابٌ آخر بعنوان : ((هذا باب تقلب الواو فيه ياء لا لياء قبلها ساكنة ولا لسكونها وبعدها ياء))[٢] ، ويتوسطهما باب آخر بعنوان: ((هذا باب ما تقلب فيه الياء واوا)).

أجده يؤكّد هذا المعنى في قلب الواو ياء بقوله بعد تقديمه للتعليلات والأمثلة، فيقول: ((وبُيّن من ذلك أشياء فيما مضى وستُبَيّنُ فيما يستقبل إن شاء الله)) [٣]

حسب تقديري فإنه بالإمكان أن يعالج البابين في مكان واحد ، وتحت مسمى واحد أيضاً، لكن منهجه الذي سلكه هو الذي فرض عليه هذا المسلك ، أو أن غزارة المعلومات عنده هي السبب الآخر في نثر هذه المعلومات بهذه الكيفية .

إن سيبويه في ترتيبه للمعلومات كان يسير بنظام ونسق جيد ؛ بدليل أنه في الإعلال والإبدال قدم باباً بعنوان : ((هذا باب حروف البدل)) [٤] . حصر فيه حروف البدل، وبين محل بدل كل حرف منها ثم عَقّبَ هذا الباب بأبواب متعددة تناول فيها الأبنية،

---

(١) ـ الكتاب ج٤ص٣٦٥
(٢) ـ المصدر السابق ج٤ص٣٦٠
(٣) ـ المصدر السابق ج٤ص٣٣٥
(٤) ـ المصدر السابق ج٤ص٢٣٧

ثم من بعدها عرج إلى قضية الإعلال والإبدال بالتفصيل ، فيتناول كل حرفٍ مبيناً محل إعلاله وإبداله ممثلا ومعللاً لذلك حسب ما تقتضيه الحال .

وهنا لفتة بارعة تنبه لها سيبويه ، وهي إقحام الأبنية بين باب حروف البدل والأبواب المفصلة لقضية الإبدال ، وهي أن يكون القارئ ، وكل واقف على هذا المؤلّف على دراية بالأبنية التي هي سبب مباشر في بناء النظام الصوتي ، ومن ثم تكون سبباً مباشراً في الإبدال .

٣/٣- التعليل الصوتي لسيبويه

أهم ما يمتاز به منهج سيبويه هو التعليل الصوتي للظواهر الإعلالية ، بعد أن تحدث عن الأصوات من حيث المخارج والصفات في مكان واحد من الجزء ، فإنّك لا تكاد تقف على ظاهرة الإعلال والإبدال إلا وقد حاول التعليل الصوتي لكثير من مسائلهما ذلك التعليل الذي كان مرتكزاً للدراسات الصوتية الحالية .

ولتوضيح الصورة فإنه تحت هذا الباب : ((باب ما تقلب الواو فيه ياء وذلك إذا سكنت وقبلها كسرة،)) [١] ، يتطرق إلى الموضوع الذي هو : قلب الواو ياء إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة ، أو كانت ساكنة والياء بعدها متحركة ، وقبل سرد الأمثلة والشواهد يلاحظ تعليله للموضوع تعليلاً صوتياً ، فيقول: ((وذلك ؛ لأن الياء والواو بمنزلة التي تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم ، فلما كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها ، كان العمل على وجه واحد ، ودفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم ...))[٢]

---

[١] ـ الكتاب ج٤ص٣٣٥

[٢] ـ المصدر السابق ج٤ص٣٣٥

٣/٤- تغليط العرب.

يظهر في منهج سيبويه تغليطٌ للعرب في بعض المسائل الإعلالية، واتّهامهم بالوهم.

ومن خلال وقوفي على بعض المسائل الإعلالية ، أجد شيئاً من ذلك ، ويتّضح هذا بجلاء في مسألة : مصائب [١] ، فاتّهم العرب فيها بالغلط مرة ؛ لأنهم همزوها يقول: ((وأما قولهم مصائب فإنه غلط منهم، وذلك أنهم توهموا أن مصيبة فعيلة وإنما هي مَفْعِلة))[٢].

ثم أجده في موضعٍ آخر من كتابه يذكر ما يُجوّز هذه البنية وعدم التنكر لها ، بقوله: ((وقالوا مصيبة ومصائب فهمزوها ، وشبهوها حيث سكنت بصحيفة وصحائف))[٣] . فقد كانت العرب تشبه الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله تماماً وتقيس عليه وهو جائزٌ عندها ، ويؤيّد هذا بقوله : ((لأنّ من كلامهم أن يشبهوا الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله في جميع ما هو فيه))[٤].

إنّ هذه المسألة، يبدو أنّه سمعها عن العرب أولاً بالهمز فأنكرها واتّهمهم بالوهم والغلط لمخالفتها قاعدةً من قواعد الإعلال والإبدال ، ثم بعد أن تحصّل على مادةٍ علميةٍ عربيّةٍ أخرى توضّح أن هذا من صنع العرب أنفسهم ، عاد حينئذٍ ليجوّز المسألة.

---

[١] – الهمز في مصائب عند الصرفيين من الشاذ الذي لا يقاس عليه، وأن القياس فيها : مصاوب ، لأن الواو أصلية، فلا تقلب همزة، وإنما تقلب في مثل صحيفة وصحائف مما كان حرف المدّ فيه زائداً على الحروف الأصلية ، والياء في مصيبة عين الكلمة ، وهي منقلبة عن واو. فالأصل فيها مصوبة ، فثقلت الحركة على الواو ، فنقلت إلى الصحيح الساكن قبلها ، وقلبت الواو ياء لوقوعها بعد كسرة ، وبذلك يكون الجمع مصايب ، وأصلها مصاوب، ولا يمكن أن تقلب الياء همزة لوقوعها بعد ألف مفاعل حتى لا يجتمع إعلالان في كلمة. انظر المنصف، ج١، ص:٣٠٩، و حاشية الصبان، ج٤، ص:٢٨٩.

[٢] ـ الكتاب ج٢ص٣٦٧

[٣] ـ المصدر السابق والصفحة

[٤] ـ المصدر السابق ج٢ص٢٧٨

المبحث الثاني

الزجاجي ودرسه للإعلال والإبدال

١ ـ ترجمة الزجاجي:

هو شيخ العربية ، أبوالقاسم عبدالرحمن بن إسحاق المكنى بأبي القاسم، والملقب بالزجاجي[١]، الصيمري،[٢]، ولد بها، وقضى حياة طفولته بين ربوعها.

بعد اكتمال نضجه جذبته شهرة علماء بغداد فنزل إليها فالتقى بشيخه الزجاج[٣]، ولازمه زمناً حتى برع في النحو. وفيها أيضا أخذ عن مشايخ[٤] آخرين، ثم غادرها ليصل الشام ، فأقام بحلب[٥] مدة، ثم انتقل إلى دمشق وأقام بها ، وفي جامعها قد صنف كثيرا من كتبه ، وأملى على تلاميذه، وحدث عن مشايخه ، ثم جاور زمنا طويلا مكة المكرمة، وفيها ألف كتابه الجمل، ثم سكن طبرية[٦].

فالزجاجي حسن السمت ، مليح الشارة [٧] ، وكان تقياً ورعاً ؛ إذ يُحكى عنه أنه ما بيّض مسألة في كتابه الجمل إلا وهو على وضوء[٨] ، وما فرغ من باب منه إلا طاف حول البيت أسبوعاً ، ودعا الله أن يغفر له ، وأن ينفع به قارئه [٩] .

فهو الطالب الذي لا يعرف الكلل ولا الملل، وهو الذي لازم شيخه حتى نال شهرته ، وهو الزجاج لكثرة مجالسته إياه، توفي بطبرية سنة أربعين وثلاثمئة.[١٠]

---

[١] ـ منسوب إلى شيخه إبراهيم السري الذي عرف بالزجاج لملازمته إياه ، فقد كان يخرط الزجاج ، ويقوم بصنعه ، فسمي لذلك بالزجاج. لذلك ينسب بعض العلماء الزُجاجي بضم الزاي وتخفيف الجيم ، وهم جماعة، السيوطي في مزهره : ج٢ص٤٤٨

[٢] ـ الصيمرة هي بلدة تقع بين ديار الجبل وخوزستان ، وهي أصل مدينة الزجاجي، وقيل إنه ولد بنهاوند. البغية للسيوطي، ج٢ص٧٧

[٣] ـ هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي مصنف كتاب معاني القرآن، لزم المبرد، مات سنة إحدى عشرة وثلاث مئة. انظر سير أعلام النبلاء،ج١٤،ص:٣٦٠.

[٤] ـ منهم: أبوبكر بن السراج، وعلي بن سليمان الأخفش الصغير.

[٥] ـ انظر انباه الرواة على انباه النحاة للقفطي ج٢ص١٦٠.

[٦] ـ انظر بغية الوعاة للسيوطي ج٢ص٧٧

[٧] ـ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١٥ص٤٧٥.

[٨] ـ المصدر نفسه والصفحة.

[٩] ـ انظر إنباه الرواة للقفطي ج٢ص١٦١

[١٠] ـ انظر إشارة التعيين، ص: ١٨٠.

٢ ــ منهج الزجاجي في درس الإعلال والإبدال

إن الزجاجي في مضمون كتابه الإبدال والمعاقبة والنظائر سلك طريقة تتصف بالاختصار والشمول مما كان سبباً في صغر حجم الكتاب، يؤكد ذلك محققه[١] بقوله: ((وهذه النسخة المصورة مؤلفة من ثلاث عشرة صفحة مقياسها ١٢+١٨سم ...))[٢] سلك مؤلفه نهجا واضح القسمات يتمثل في الآتي :

١/٢- تبويب الكتاب .

قسّم الزجاجي كتابه إلى أبواب بلغت خمسة وأربعين باباً، تناولت الإعلال والإبدال معا، فكان يطيل في بعضها، ويوجز في أخرى وفق ما يجتمع لديه من أمثلة عربية وشواهد شعرية، وهو بهذا يعتبر كتابا مفيدا في موضوعه.

ومن يقف على هذا الكتاب يجد نفسه أمام عالم يحسن عرض موضوعاته ، ففي الأبواب الأربعة الأولى عدد التمثيل لصور الإعلال، ثم عرج إلى موضوع الإبدال في الأبواب التالية، حيث تناولها بأسلوب سهل واضح ، بعيد عن التعقيد والتعليل المنطقي، شملت هذه الأبواب جميع الحروف الهجائية العربية دون استثناء، عارضا إياها وكأن المسألة سنة طبيعية عند العرب، وكأن الأمر جائز لمن أراد أن يسلك مسلك العرب فعليه أن يفعل، مثل قوله : ((تقول : أتيتك من علا، ومن علو، ومن علي ...))[٣] مستشهداً ببعض الشواهد الشعرية ليصل بعرضها إلى تقرير قواعد موضوعاته مع انعدام تام للتحليل والتعليل ، وذكر آراء الآخرين مما يجعل القارئ مشدوداً ومشوّقاً إلى متابعة القراءة.
يلاحظ أنه قد أغفل بعض أبواب الإبدال كالإبدال بين العين والحاء... كما أنه كان مخالفاً للترتيب المألوف عند المتقدمين في دراسة الأصوات من حيث تنظيم أبوابه تجده يقدم أصواتاً مخارجها متأخرة في جهاز النطق، ويؤخر أخرى متقدمة في الجهاز، أي أنه لم يسلك مسلك اللغويين في الترتيب المخرجي عند وصف الأصوات.

---

[١] ـ هو عز الدين التنوخي.
[٢] ـ الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي،ص:١٢
[٣] ـ المصدر السابق والصفحة.

إن تقسيم الزجاجي للأبواب، وأسلوب العرض الذي سلكه تخالطهما الدقة بحق فيما صنع، ولعل هذه الدقة هي التي كانت سبباً في التيسير والتنظيم اللذين يعينان القارئ على الظفر بالفهم العميق والاستيعاب.

٢/٢- الإكثار من الشواهد:

لم يكن الزجاجي زاهداً عن الإفادة والتوثيق في تقريره لظاهرتي الإعلال والإبدال ، وفي توضيحه للقضايا التي يدرسها ، بعيدا عن التكلف، فآثر الفطرة والطبع والاسترسال مع الذوق العربي الخالص.

فالإبدال والمعاقبة والنظائر ميدان رحب جال فيه الزجاجي بإكثاره للشواهد الشعرية، فأورد ما يزيد على خمسة وستين بيتاً، جلها منسوب إلى قائليها، وكأنها جاءت على حساب الشواهد القرآنية؛ إذ هي نادرة، وإلا كيف بمؤلف لا يتجاوز ثلاث عشرة صفحة ، ويحتوي على خمسة وستين بيتاً شعرياً، فلا شك أن صاحبه أكثر نسبياً من الشعر ليدلل على ما يصبو إليه.

٣/٢- الإيجاز في العرض:

الحديث عن الشواهد يفضي بي إلى الحديث عن الاختصار والإيجاز الذي كان سمة الزجاجي في كتابه؛ إذ جاءت أبوابه محكمة موجزة ، بريئة من الإسهاب ، متخففة من الشروح، جعله صاحبه مختصرا ذكر فيه الأمثال والشواهد التي تعتبر أصولا في معرفة الإعلال والإبدال ما تمس إليهما الحاجة دون إيضاح، حيث لم يفسر غريبا في شاهد، ولم يعلق عليه أي تعليق يثقله، أو يكون إسهاباً في الكلام.

إنه منهج بعيد عن المقارنات والموازنة بين الآراء، كما أنه بعيد عن توليد الأدلة واستنباط الحجج، حيث لم أستطع أن أحصل على مسألة خلافية واحدة ترد في كتابه.

إن طريقته هي : ذكر عنوان الباب ثم تليه الأمثلة والشواهد، فلم يزد عمله على هذا، مع التنسيق في العرض وكان أساسه الإيجاز. ومن أمثلة ذلك ما جاء في باب السين والثاء.

((يقال ساخ في الأرض، وثاق فيها، أي: دخل، ومرست الشيء أمرسه مرساً، ومرثته أمرثه مرثاً، ولطسه ، ولطثه أي : ضربه، وملاطس وملاطث))[1].

في هذا الباب كله إبدال السين ثاءً ، أو الثاء سيناً ، جاء بثلاثة من الأمثلة دون تعليق على شيء منها أو شرح ، إلا يسيراً حسب ما تقتضيه الحاجة، فقد جانب الفضول وفن التعليل ، ولعل هذا المنهج يشهد على سهولة منهج التأليف في العصور المتقدمة، وخلوه من المصطلحات المنطقية الجافة، أو التعريفات التي تميل إلى الافتراضات ، فكأنها سمة تمتاز بها بعض الكتب العربية القديمة ، عند بعض المتقدمين، وكانت تسير جنبا إلى جنب مع تلك التي تسهب وتطيل.

٤/٢- التفسير الصوتي:

أرى من العرض السابق أن الزجاجي سار في ترتيب كتابه على أساس تناول فيه مجاميع صوتية يمكن تفسيرها على أن هناك علاقةً واضحةً بين الصوتين ؛ إذ الإبدال في معظم أمثلته الواردة في الكتاب أقرب أن يكون ظاهرة صوتية مردها التقارب بين الأصوات المبدلة في المخرج أو الصفة أو بأحدهما .

إن الزجاجي يشترط العلاقة بين الصوتين المبدلين؛ لأن أبواب الكتاب جُلّها جاءت على أساس العلاقة التي تدعو إلى إحلال أحد الصوتين محل الآخر، بخلاف ما ذهب إليه أبو الطيب اللغوي الذي لا يشترط العلاقة بين الصوتين المبدلين ؛ إذ قد ((جمع في مؤلفه (كتاب الإبدال) كثيرا من هذا النوع الذي اختلفت صورتاه في صوت واحد دون بقية الأصوات رغم أنه لا توجد أدنى علاقة بين الصوتين))[2]

وليس بغريب أن أحصل على بابٍ للإبدال عند الزجاجي من مجموع خمسة وأربعين باباً دون أن أقف على علاقة واضحة بين الصوتين المبدلين فيه، وهو الباب الرابع عشر (باب الهاء والخاء). رغم هذا البعد المخرجي بين الصوتين إلا أن ثمة علاقة في

---

(1) ـ الإبدال والمعاقبة والنظائر، ص : ٥٧

(2) ـ أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي لأبي عمرو بن العلاء ، ص : ٢٦٦.

الصفات تبدو قوية، كل منهما مهموس ، ورخو ، اتفقا في الصفتين، وكذلك في المخـــرج على رأي القدماء الذين يعدونهما حلقيتين.

هذا المنحى الذي سار عليه الزجاجي هو الركيزة الأساسية للنداءات الحديثة التـــي ينادي بها أهل الدراسات اللغوية، وهي اعتماد التفســـير الصـــوتي لظـــواهر الإعـــلال والإبدال.

إن الدراسات الصوتية لهاتين الظاهرتين قد أسّس لها علماء العربية في القـــديم وإن لم يصرحوا بها علناً ، أو ينادوا بتطبيقها ، فإن مناهجهم تقف شاهدة علـــى ذلـــك ، وقـــد جاءت دراسة الزجاجي تطبيقاً عملياً لهذا الاتجاه الصوتي القـــديم . فقـــد كانـــت دراســـته وصفية؛ إذ يعرض الأمثلة والشواهد ثم منها يبدأ دراسة الإبدال ، فيظهر ما يتم من تبـــادل بين صوتين أو ثلاثة أصوات بينها علاقة صوتية.

المبحث الثالث

ابن جني ودرسه للإعلال والإبدال

١ ـ ترجمة ابن جني

هو عثمان بن جني الموصلي، وأبوه جنيْ (بسكون الياء) مملوك رومي[١] ولد بالموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة[٢] وهو عصر الازدهار العلمي والثقافي بحاضرة العراق، فتصدى للتعليم والتدريس وهو صغير، وفي مسألة إعلالية لم يوفق في شرحها وتوضيحها تكون سببا له في الهجرة إلى التعليم وملازمة العلماء أهل الشأن.

ورد[٣] أن أبا علي الفارسيّ سافر إلى الموصل ودخل جامعها فوجد عثمان بن جني يُقرئ النحو وهو شابٌ صغيرٌ ، وكان بين يديه متعلم وهو يكلمه في ظاهرة إعلالية ــ قلب الواو ألفا ــ قام وقال ، فاعترض عليه أبو علي ؛إذ ألفه مقصرا ، فقال: ((زببت قبل أن تحصرم))[٤] ثم انصرف، وسأل عنه، فقيل له: هو أبو علي الفارسي النحوي ، فأخذ في طلبه فوجده ينزل بغداد، فسافر معه في الحال ، ولزمه، وصاحبه من تلك اللحظة إلى أن مات أبو علي .

كان ابن جني من حذاق الأدب، ومن أعلم الناس بالنحو والتصريف ، وكثير الأنس باللغة وموادها ، يقلبها على وجوهها المختلفة، ويكثر التفكير فيها، ((وليس لأحدٍ من أئمة الأدب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ماله، سيما في علم الإعراب [فقد وقع منها على ثمرة الغراب][٥]))[٦] ، صاحب التصانيف الجليلة والاختراعات العجيبة، قد برع في علوم اللغة جمعاء ، ولكنّه في علم التصريف كان أكثر((ولم يكن في شيء

---

(١) ـ انظر انباه الرواة للقفطي،ج٢ص٣٣٥.

(٢) ـ انظر بغية الوعاة للسيوطي، ج٢ص١٣٢

(٣) ـ انظر نزهة الألباء للأنباري، ٢٤٥.

(٤) ـ هو مثل لمن يتجاوز الأمور، أي صرت زبيبا قبل أن تمر بمرحلة التحصرم. بمعنى تصديت للتعليم قبل أن تتعلم.

(٥) ـ هذا مثل يقال إذا أصاب الرجل عند صاحبه أفضل ما يريد من الخير والخصب [وجد ثمرة الغراب]، وذالك ان الغراب إنما يبتغي من الثمر ما هو أجود وأنضج لقرب تناوله إياه. راجع انباه الرواة ج٢ ص:٣٤٠.

(٦) ـ بغية الوعاة للسيوطي،١٣٢/٢، وكذلك انباه الرواة للقفطي، ٣٣٨/٢، واللفظ لصاحب البغية.

من علومه أكمل منه في التصريف ، فإنه لم يصنف أحدٌ في التصريف ولا تكلم فيه أحسن ولا أدقّ كلاما منه))[١] .

تلقى العلم عن مجموعة من العلماء، أذكر منهم[٢]: أحمد بن محمد الموصلي االشافعي الفقيه المعروف بالأخفش[٣]، وأبو الفرج الأصفهاني[٤]، و أبو علي الفارسيّ بعد قراءته على غيره ، فهو أكبر أساتذته ، وهو الذي كان سببا في تخصصه الدقيق في علم التصريف، لازمه أربعين سنة لم يفارقه لا في سفر ولا حضر و((خلا به في مقامه واستملى منه وأخذ عنه))[٥] فبرع وتبحر في علم التصريف؛ إذ إن أسباب ملازمته لشيخه، وتغربه عن وطنه ، ومفارقته أهله، هي مسألة إعلالية، فحمله ذلك على التبحر والتدقيق فيه، فكان خليفة شيخه في التدريس بعد وفاته، فأخذ عنه جماعة من بينهم أبناؤه الثلاثة[٦]:علي وعلاء وعالي، وأشهر تلامذته أبو القاسم الثمانيني[٧].

عاش فترة ببلاط سيف الدولة بحلب، ونشأت عندئذ بينه وبين المتنبي[٨] صداقة حميمة دعامتها إعجاب كل منهما بمقدرات الآخر ومواهبه.

توفي ببغداد عام اثنين وتسعين وثلاثمائة للهجرة، مخلفا للمكتبة العربية ثروةً ضخمةً شملت معظم نواحي الفكر، من نحو ولغة وأدب وصرف وروايات وأخبار وألوان كثيرةٍ من ثقافة القرن الرابع الهجري[٩].

---

(١) ـ نزهة الألباء ص:٢٤٤.

(٢) ـ انظر انباه الرواة ، ج٢ص٣٣٦

(٣) ـ كان إماما في النحو فقيها فاضلا عارفا بمذهب الشافعي، قرأ عليه ابن جني، له كتاب في تعليل القراءات. انظر بغية الوعاة للسيوطي، ص: ٣٨٩.

(٤) ـ هو علي بن الحسن بن محمد القرشي الأموي الأصفهاني، كان بصيرا بالأنساب وأيام العرب، مات سنة ست وخمسين وثلاث مئة، وله اثنتان وسبعون سنة. انظر سير أعلام النبلاء، ص:٢٠١-٢٠٣.

(٥) ـ انباه الرواة ، ج٢ص٣٣٦.

(٦) ـ انظر نزهة الألباء،ص: ٢٤٥.

(٧) ـ هو عمر بن ثابت بن إبراهيم بن عمر بن عبدالله أبو القاسم الضرير النحوي الثمانيني، مات بالموصل سنة اثنين وأربعين وأربعمائة. انظر نزهة الألباء، ص:٢٤٥. وسير أعلام النبلاء،ج٢ص:١٣٢.

(٨) ـ هو أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي الأديب الشهير بالمتنبي، أقام بالبادية يقتبس اللغة والأخبار وبلغ الذروة في النظم، تنبأ ببادية السماوة، توفى سنة أربع وخمسين وثلاث مئة. انظر سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص:١٩٩-٢٠١.

(٩) ـ انظر انباه الواة ج٢ص٣٣٦.

٢ ـ منهج ابن جني في درس الإعلال والإبدال:

نهج ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب نهجاً واضحاً سار عليه ، إذ درس ظاهرتي الإعلال والإبدال ضمن موضوعٍ كبيرٍ هو علم التصريف. ويمكنني أن أتصور هذا المنهج بأنه يتسم بتبويب الكتاب والتفسير الصوتي، وإحاطته بالموضوع، واستطراد في بعض الجوانب.

٢/١ــ تبويب الكتاب:

قسم ابن جني كتابه إلى أبوابٍ ، جعل موضوع كل باب صوتاً(حرفا) من أصوات المعجم؛ إذ بحث في كل باب أصالة الصوت وزيادته وإعلاله وإبداله، ولم يتناول الصوت حينئذ من حيث تأليفه الكلمات التي يعبر بها كل قوم، فيؤكد هذا المعنى بقوله : ((وليس غرضنا في هذا الكتاب ذكر هذه الحروف مؤلفة؛ لأن ذلك كان يقود إلى استيعاب جميع اللغة، وهذا مما يطول جدا، وليس عليه عقدنا هذا الكتاب ، وإنّما الغرض ذكر أحوال هذه الحروف مفردة أو منتزعة من أبنية الكلم التي هي مصوغة فيها لما يخصها من القول في أنفسها))[١]. فهي دراسة حروف المعجم أو الوحدات الصوتية بلغة العصر منفصلة ومتصلة مع تبيان وظائفها وأحكامها،ومن بينها كانت أصوات الإعلال والإبدال.

لقد حرص في كتابه (سر صناعة الإعراب) على تقسيمه إلى أبواب، وفصول، ويشير إلى هذا في أوّل كتابه بقوله في المقدمة ((وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها وصحيحها ومعتلها، ومطبقها ومنفتحها، وساكنها ومتحركها، ...، ومستويها ومكررها، ومستعليها ومنخفضها، إلى غير ذالك من أحكامها وأجناسها...))[٢]

بدأ كتابه بصوت الهمزة ، وثنّا بصوت التاء والثاء والجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء ... الهاء والواو والألف الساكنة ، والياء ، وهي آخر الأصوات ترتيبا عنده، وبهذا الترتيب نألفه مخالفا لنمط المعاجم الذي كان معهودا عند علماء العربية في القديم، وهو الترتيب الذي يقوم على حسب المخارج.

---

(١) ـ سر الصناعة، ج١،ص:٥

(٢) ـ المصدر السابق،ج١،ص:٤

٢/٢ــ التفسير الصوتي

إن ابن جني في تناوله للصوت يُبين بعض صفاته النطقية، التي تميّزه عن غيره من الأصوات كالجهر والهمس، ثم يُعَقِّبُ مباشرةً استعمال هذا الصوت في الكلام من حيث الأصالة والزيادة والبدلية، كما يدعم الأصالة والزيادة والبدلية بالتمثيل، لوقوع الصوت إن كان أصلاً، فاءً، أوعيناً، أو لاماً، ثم إن كان في العربية لا يمكن أن يقع هذا الصوت مكرراً في كلمة واحدة أيضا بين ذلك، نحو قوله: ((ليس في الكلام كلمة فاؤها وعينها همزتان، ولا عينها ولامها أيضا همزتان، بل جاءت أسماء محصورة وقعت الهمزة فيها فاء ولاما، هي: آءة[١] ، وأجأ[٢]))[٣].

أجده في مثل هذه الأحوال يعرض حججا وعللا صوتية كانت سبباً في منع هذه الظاهرة ، أي ظاهرة كون الفاء والعين، أو العين واللام لا يمكن أن يكونا همزتين، يقول: ((وإنما لم تجتمع الفاء والعين، ولا العين واللام همزتين لثقل الهمزة الواحدة؛ لأنها حرف سفُل في الحلق...، فكان النطق به تكلفا، فإذا كُرهت الهمزة الواحدة فهم باستكراه الثنتين ورفضهما ــ لا سيما إذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين ، فاء وعينا، وعينا ولاما ــ أحرى، فلهذا لم تأت في الكلام لفظة توالت فيها همزتان أصلا ألبته))[٤].

وإذا كان الصوت لا يستعمل إلا أصلاً، أو أصلاً وبدلاً فحسب، بين ذلك ولم يتطرق إلى الزيادة، كما هو في صوت الجيم: ((يكون في الكلام على ضربين أصلاً وبدلاً...))[٥]، فيحصر الحديث حينئذ على الأصالة والبدلية فقط .

وتارةً ينبه حسب منهجه على بعض الأخطاء التي تشيع في تسمية بعض الأصوات ، حيث نبه أن الألف صوت ساكن ولا يمكن أن يستعمل لوحده ؛ لذلك ألحقت به اللام تسهيلا للنطق بالساكن ، فصار شكلها: "لا"، تأتي الألف ساكنة بعد اللام.

---

(١) ـ شجر، وأصل الكلمة: أوَأ، قلبت الواو ألفاً

(٢) ـ أجَأ جبل.

(٣) ـ سر الصناعة ، ج١، ص:٤.

(٤) ـ المصدر السابق، ج١،ص:٧١

(٥) ـ المصدر السابق، ج٢،ص:٦٥٢

هكذا نهج ابن جنّي مع الإعلال ، أما إذا انتقلت إلى موضوع الإبدال عنده فهو بحر لا ساحل له ، فالكتاب مليءٌ بشواهد هذه الظاهرة ، وتناولها تناولا يرقى إلى أعلى مستويات العلوم الحديثة ؛ إذ قدم بعض المقاييس التي أستطيع من خلالها أن أحكم على أن الكلمة هذه بها إبدال أو ليست مشتملة عليه .

و تفسير هذه الظاهرة يتوقف عنده على ورود لفظين عن العرب بمعنى واحد يتفقان في جميع الأصوات ، عدا صوتاً واحداً ، وتستعمل كل لفظة على حدة، حينئذ أحكم بأنه لا قلب فيها حتى أعثر على ما يدلني على أن بها قلبا ، وذلك عنده ((إذا ورد في بعض حروف الكلمة لفظان مستعملان فالوجه وصحيح القضاء أن نحكم بأنهما كلاهما أصلان منفردان ليس واحد منهما أولى بالأصلية من صاحبه ، فلا تزال على هذا معتقداً له حتى تقوم الدلالة على إبدال أحد الحرفين من صاحبه))[1] .

و ضرب لذلك مثلا يؤكد به حكمه؛ ((إذ ورد عن العرب زمزمه وصمصمة فليس أحد الحرفين بدلا من صاحبه ؛ لأن الأصمعي قد أثبتهما معا ، ولم يجعل لأحدهما مزية على صاحبه))[2] .

يتبين من هذا، أن في منهجه : البدلية وعدمها تتوقفان على الاستعمال ، فمتى ما كانت الكلمتان مستعملتين معا حكمنا بعدم اشتمال إحداهما بإبدال ، أما إذا كانت الواحدة مستعملة والأخرى مهجورة مثلا ، فنحكم على أن المستعملة تشتمل على صوت هو بدل عن الصوت في الكلمة الأخرى المهجورة.

إنه بسعة اطلاعه وتمكنه من العربية استطاع أن يقدم ضوابط شاملة في هذه الظاهرة بحيث تستطيع أن تحصر ظاهرة الإبدال في أصوات محددة ، وبالتالي إن الإبدال لا يحدث بين جميع أصوات العربية ، فيشترط لصحة حدوثه ، وقوعه بين الأصوات المتقاربة في الصفات والمخارج، يدعم لنا هذا بمقولة شيخه أبي علي: ((إن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء ،

---

[1] ـ سر الصناعة ج١ص:٢١٠

[2] ـ المصدر السابق نفسه والصفحة .

والهاء والهمزة ، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه))[1] ، وليس بخاف التقارب الظاهر الذي هو بين تلك الأصوات المتقدمة.

بهذا أخلص إلى أنه قد نهج في تفسيره لظاهرة الإبدال على أساس صوتي خالص؛ إذ رفض أن يكون بين: حَثْحَثُوا وحَثّثُوا أيّ إبدال بين الحاء الثانية والثاء الوسطى في: حثثوا ؛ لتباعد صوت الثاء عن الحاء في المخرج، فسأل شيخه ((أبا علي الفارسي فقال : العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها))[2]. وأثناء معالجته للأصوات العربية من حيث مخارجها ومدارجها وأنواعها، وصفها بحسب الملامح الصوتية، ومع هذا درس الأصوات، من الصوامت والصوائت كما أشار إلى ذلك في مقدمته فيما يتعلق بتركب الأصوات وتآلفها، أو تنافرها وتباعدها، أي دراسة تتابع الوحدات الصوتية. بالإضافة إلى ذالك فقد قام بمعالجة الظواهر الصوتية- الصرفية، كالمماثلة والمخالفة والحذف والقلب المكاني وغيرها مما ينضوي تحت ما يطلق عليه في علم اللسانيات الحديث اسم الفونولوجيا.

والتفسير الصوتي هو جزءٌ مهمٌّ لا يفارقه لحظةً، فصار ركنا أساسياً في الاستدلال على أصالة الصوت أو إبداله من غيره، والكتاب يفيض بالأمثلة ، وقد أردت بما تقدم التمثيل وليس الحصر.

إن البحث في قضايا الإعلال والإبدال عنده يجبر كل دارس أن يلجأ إلى معطيات علم الأصوات ليوظفها في تفسيره دون الاعتماد كليا على التمسك بالتحليل الفلسفي ، وهذا ما ألمسه من خلال كتابه الذي هو دعامة الدراسات الصرفية في العربية.

---

[1] - سر صناعة الإعراب، ج١ص١٨٠

[2] - المصدر السابق ،ج١ص:١٩٧

٣/٢ ــ إحاطته بالموضوع

يعدّ ابن جني ضمن الذين قضوا حياتهم بين التعليم والتدريس والتأليف، فأصبحت مؤلّفاته في مقدمة المؤلّفات التي صنفت في فن الصرف فخطت خطوات واسعة نحو الكمال.

وقد ساعدت عوامل عدة على نضوج مؤلفاته منها، شيوع التأليف في عصره ، وميله إلى أخذ العلم عن أصحابه ــ وليس ببعيد عنا قصته[١] مع أبي علي الفارسيّ ــ، واشتغاله بمحنة التدريس والتعليم، ومن هنا سار في الطريق الذي اختاره للإحاطة في تأليفه.

ومما يكشف إحاطته بموضوعه ومن الكلمات التي ساقها قوله: ((أضع كتاباً يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم ، وأحوال كل حرف منها وكيف مواقعه في كلام العرب، وأن أتقصى القول في ذلك وأشبعه وأؤكده فأتبعت ما رسمته وانتهيت إلى ما مثلته.))[٢]

أما في إصدار الأحكام فإنه يستنبط القواعد العامة والقوانين الكلية من الأمور الجزئية، فنجده يعرض الأحكام العامة في ظاهرة معينة بعد سرد الأمثلة التوضيحية التي من خلالها يبني أحكامه، كما في حكم قلب الواو والياء ألفا، نحو: ((باع، وسار، وهاب، وحار، وقام ، وصاغ، ونام، وطال، لقولك: البيع، والسير، والهيبة، والحيرة، وقومة، وصوغة، وخوف، ونوم، وطويل، ومن ذلك: رمى ، وسعى، وعدا،ودعا، لقولك: الرمي ، والسعي، والعدو ، والدعو، فهذا حكم الواو والياء ، متى تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفا، إلا أن يضطر أمرٌ إلى ترك قلبهما ...))[٣].

هذه الجزئية الأخيرة((إلا أن يضطر أمرٌ إلى ترك قلبهما))[٤] ، فهي تنبيه إلى اللغات التي يمكن أن تخالف هذه القاعدة المستنبطة من الأمور العامة والشواهد الكثيرة.

وتارةً أخرى ألحظه ينوع في عرضه ، فيقدم الأحكام ثم يعقبها بالأمثلة والشواهد، وينطبق ذلك على قوله: ((كل واو سكنت غير مدغمة وانكسر ما قبلها قلبت ياء، وذلك نحو:

---

(١) ـ انظر ص: ٧٣ من هذا البحث.
(٢) ـ سر الصناعة ،ج١ص:٢.
(٣) ـ المصدر السابق، ج٢،ص:٦٦٧
(٤) ـ المصدر السابق والصفحة.

ميقات وميزان وميعاد ، أصل ذلك : موقات وموزان وموعاد...))[1].هذا يؤكد إحاطته بموضوعه وإشباعه بحثا وأمثلة.

٤/٢ ــ الاستطراد :

هذه السمة تكاد تلازم ابن جني في مؤلفه هذا ، ولعله اكتسبها من اشتغاله بالتدريس و((الاستطراد سمة غالبة على المُعَلِّمِ يجد نفسه مدفوعا إليها في كثيرٍ من الأحيان عن غير قصد، توسعاً في شرح أو إجلاءً لغموض))[2] ، وهو يشير إلى اجتناب الإسهاب والإطالة إلا فيما تضمن نكتا أو أثار دفينا في قوله : ((وليس غرضنا في هذا الكتاب ذكر هذه الحروف مؤلفة لأن ذالك كان يقود إلى استيعاب جميع اللغة وهذا مما يطول جدا، وليس عليه عقدنا هذا الكتاب.))[3].

ومثال للاستطراد من خلال صوت الهمزة هي: ((في الكلام على ثلاثة أضرب، أصل وبدل وزائد))[4] ، فسرعان ما يشرع في توضيح هذه المصطلحات فقال: ((ومعنى قولنا أصلٌ : أن يكون الحرف فاء الفعل أو عينه أو لامه، ومعنى قولنا زائد: أن يكون الحرف لا فاء الفعل ولا عينه ولا لامه، والبدل : أن يقام حرف مقام حرف إما ضرورة وإما استحسانا وصنعة))[5].

وشرح المصطلحات هذا لا يتكرر معه كل حين عند تعرضه لكل صوت ، بل يكتفي بتعريفها في المرة الأولى فحسب.

وابن جني هو ذلك العالم المعلم والمصنف ، فلا عجب أن تغلب ظاهرة الاستطراد عند تناوله ظاهرتي الإعلال والإبدال ؛ إذ الاستطراد لون من ألوان التيسير والوضوح.

---

(١) ـ سر صناعة الإعراب ، ج٢،ص:٧٣٢

(٢) ـ مقدمة تحقيق تسهيل الفوائد، محمد كامل بركات،ص٤٥

(٣) ـ سر الصناعة، ج١،ص:٥.

(٤) ـ المصدر السابق، ج١ ص:١٦٩

(٥) ـ المصدر السابق والصفحة نفسها.

الفصل الثالث

وصف ظاهرة الإعلال

المبحث الأول:

وصف أصوات العلة

المبحث الثاني:

وصف الإعلال بنقل صوت العلة القصير

المبحث الثالث:

وصف الإعلال بحذف صوت العلة

المبحث الرابع:

وصف الإعلال بقلب صوت العلة

وصـــف ظاهرة الإعلال

إن أصول الكلمة عندما يكون أحدها صوتاً من أصوات العلة فلا يبقى بنوعه في مختلف تصاريف الكلمة؛ إذ للعربية مع أصوات العلة نظام خاص يختلف عن نظام نظائرها من الأصوات الصحيحة، لعدم ثباتها على حال واحدة.

مثلاً المادة: قام،عندما أبحث في بعض صيغها المستعملة في العربية أجدها على الشكل التالي:

- قام وسطها الألف.
- قيام وسطها الياء.
- قائم وسطها الهمزة .
- يقوم وسطها واو .
- قم محذوف وسطها.

كثيراً ما يقابلنا هذا النوع في العربية في التصريفات المختلفة لبعض موادها المشتملة على أحد أصوات العلة، فيتغير فيها نوع هذا الصوت، فهـو مـرةً واو، ومرةً ياء ومرةً همزة، ومرة يسكن صوت العلة، وأحياناً يحذف كلياً.

ولما كان هذا التغيير مطرداً وفق نظام معيّن في قسمٍ كبيرٍ من كلمات اللغة العربية، فيتغيّر تحت ظروف خاصة إلى بعض أنواعه، وهي: الألف والواو والياء والهمزة، أمكن أن توضع له قواعد خاصة تحت أنواع محددة، وهي:

الإعلال بالتسكين أو الحذف أو القلب.

وعلى هذا، فإنّ عموم الإعلال هو تغيير في أصوات العلة تغييراً معيناً، قد يكون بنقل حركته أي تسكينه، أو حذفه كلياً، أو قلبه إلى صوت آخر. ومعنى ذلك أن هذا التغيير المطرد والمنتظم غالباً مقصور على أصوات العلة.

المبحث الأول
وصف أصوات العلة

ألاحظ في العربية ترابطاً وثيقاً بين كلماتها، وانتماءً قوياً داخلها يصل بها إلى أصول مشتركة لم يمنعها من التوالد والتنوع و الانتشار، ولأصوات العلة دورٌ كبيرٌ في هذا التوالد والتنوع ... والعربية تفرق بين طائفتين من الأصوات، إحداهما الصوامت والأخرى الصوائت.

والأصوات الصائتة لها مهمة جليلة تؤديها في اللغة العربية، وتعد أساساً في قوة الإسماع، كما أنها أساس تقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادة الواحدة.

لذا كان ضرورياً الإتيان بوصف صوتي لهذه الأصوات التي تكون سبباً مباشراً، أو وسيلة أساسية في حدوث الإعلال.

١- صائتية أصوات العلة:

ذكرت سابقاً[١] أن أصوات الإعلال هي: الألف والياء والواو ويلحق بها الهمزة، يعتريها الإسكان والحذف والقلب، يضاف إليها الصوائت القصيرة؛ إذ إنها أجزاء منها وأبعاض لها، وما دمت بصدد معرفة ماهيتها في العربية يعترضني سؤال أهي صوامت أم صوائت؟

أهتدي إلى إجابة السؤال من خلال الوقوف على تعريفها عند اللغويين، يقول الخليل: ((في العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومخارج، وأربعة هوائية، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة))[٢].

يفهم أن الصوت الذي يتكون باندفاع الهواء من الرئتين، فإن حصل له اعتراض ما، في مكان ما، من جهاز النطق، فهو صوت صامت، أي له حيز ومخرج. أما إن سلك الهواء طريقه دون أي اعتراض يعيق خروجه، فلا شك أن هذا الصوت صوت صائت. لذلك نسبه الخليل إلى الهواء؛ لانعدام الحيّز الواضح الذي يتم الاعتراض فيه كالأصوات الصامتة.

---

[١] - انظر ص: ١٥ من هذا البحث.

[٢] - العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ج١ - ص: ٦٥.

أما تعريف الصامت والصائت عند المحدثين فلا أكاد أعثر له على خلافٍ عما كان عند اللغويين قديماً. يقول الدكتور كمال بشر في الصوت الصامت: ((هو الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث أثناء النطق به اعتراض أو عائق في مجرى الهواء، سواء أكان الاعتراض كاملاً كما في نطق صوت الدال مثلاً، أو كان الاعتراض اعتراضاً جزئياً من شأنه أن يسمح بمرور الهواء ولكن بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع ...))[١]

وفي الصائت يقول: ((إنه الصوت المجهور الذي يحدث أثناء النطق به أن يمرّ الهواء حراً طليقاً خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً))[٢].

إن تعريف الدكتور بشر هو شرح وتوضيح لما قاله المتقدمون، إذ تعريف الخليل هو تعريف علميٌّ موجز، أوفى بالغرض. وبهذا أخلص إلى أن صوت الألف هو صوت صائت لانعدام الحيز الواضح أو المخرج عند تكونه، وصوت الهمزة هو صوت صامت في العربية. أما صوت الواو والياء فلكل واحدٍ ثلاث قيم صوتية مختلفة، حيث إنهما يكونان صوامت، وأشباه صوائت، كما أنهما يصبحان صوائت صرفة.

أولاً: ورودهما صوامت:

أ/ هما صوامت من حيث خواص الوظيفة، يقومان بدور الأصوات الصامتة، ويتبادلان المواقع معها تبادلاً يؤدي إلى تغييرٍ في المعنى.الأمثلة:

و/ مشى – وشى حلت الواو محل الميم

شفى – شوى حلت الواو محل الفاء.

نجا – نوى حلت الواو محل الجيم.

ي/ تعسّر – تيسّر حلت الياء محل العين

سُلّمْتُ[٣] – سُلّيتُ[٤] حلت الياء محل الميم

رُوِّجَتْ[٥] – رُوِّيَتْ[٦] حلت الياء محل الجيم

---

[١] ـ [٢] ـ علم اللغة العام الأصوات، كمال محمد بشر ص (٧٤).

[٣] ـ [٤] ـ الأولى من سلام والثانية من تسلية مبنيان للمجهول.

[٥] ـ [٦] ـ الأولى من رواج والثانية من رواية.

في المجموعة الأولى من الأمثلة ألاحظ أن الواو وقعت موقع صوت الميم والفاء والجيم، ولم يحدث التفريق بين الكلمتين في التركيب والمعنى إلا لوجود الواو والميم في الكلمتين الأوليين، والواو والفاء في الثانيتين، والواو والجيم في الأخيرتين.

وكذلك المجموعة الثانية لم نفرق بين الكلمتين في التركيب والمعنى إلا لوجود الياء والعين في الأوليين – والياء والميم في التاليتين لهما، والياء والجيم في الأخيرتين.

وهذا يفيد أن الواو والياء يمكنهما تبادل المواقع مع الأصوات الصامتة، وأنهما مثلهما تماماً، في كونهما لهما القدرة على التفريق بين المعاني، حينئذٍ يعدان ضرباً من الصوامت لقيامهما بمهام الصوامت الصرفة في التفريق بين المعاني.

ب/ هما صامتان أيضاً لتحملهما الصوائت القصيرة (الحركات) كما في الأمثلة المتقدمة. وهذا ما يُؤكده اللغويون المتقدمون، وهو أن الياء إذا تحركت خرجت من أن تكون حرف لين أو صوت علة؛ لأنك إذا ((قلت: أريد أن أُعطيَه حقّه، فنصبت الياء فليس إلا البيان والإثبات؛ لأنها لما تحركت خرجت من أن تكون حرف لين وصارت مثل غير المعتل، نحو باء ضربَه، وبَعُد شبهها من الألف؛ لأن الألف لا تكون أبداً إلا ساكنة))[1] .

ج/ إنهما صامتان أيضاً إذا سكن ما قبلهما؛ إذ إنه لا بد من تحريكهما، فلما سكن ما قبلهما جريا ((مجرى الصحيح... فإذا سكن ما قبلهما خرجتا عن شبه الألف؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً))[2]. فإذا سكن ما قبلهما كان ذلك أشد إخراجاً لهما من الصائتية من كونهما ساكنتين وقبل كل واحد منهما حركة من غير جنسه؛ لأنه إذا سكن ما قبلهما فلا بد من تحريكهما لئلا يجتمع ساكنان. أما الساكنتان وقبلهما حركة من جنسهما، فلا يتحملان حركة؛ لأنهما عبارة عن حركتين طويلتين مشابهتين للألف، حينئذٍ فالواو امتداد للضمة والياء امتداد للكسرة.

---

[1] ـ كتاب سيبويه ج٤ـ ص ١٩٤.

[2] ـ المنصف شرح الإمام أبي الفتح بن جني، ج٢ ص:٢٢٠

ثانياً أشباه صوائت:

إنهما يشبهان الصائت إذا سكنتا ولم تكن الحركة قبلهما من جنسهما، وهذا يدل ((على أن الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما وكانتا ساكنتين فإنهما لم يخرجا من اللين كل الخروج بل فيهما بقية منه))[١]

أما من الناحية الفسيلوجية أي العضوية فلا فرق بينهما وبين الحركات فالمخرج واحد إلا في الضيق المخرجي فإن اللسان معهما يرتفع قليلاً ليتضيق المخرج أكثر، بخلاف وضعه معهما وهما صامتان، فالضيق به اتساعٌ نسبيٌّ.

فعند نطقهما تبدأ أعضاء النطق بهما من منطقة حركة من الحركات ولكنها تنتقل من هذا المكان بسرعة ملحوظة إلى مكان حركة أخرى، ولأجل هذه الطبيعة الانتقالية أو الانزلاقية، ولقصرها وقلة وضوحها في السمع إذا قيست بالحركات الصرفة اعتبرت هذه الأصوات شبيهة بالأصوات الصامتة لا حركات، بالرغم ما فيها من شبه واضح بالحركات[٢].

وما يشار إليه هنا، هو أن أحرف العلة[٣] تسمى حروف مد ولين إن سكنت وجانستهما حركة ما قبلهما .... نحو: صام، يصوم، ويبيع، ونحو: عيد، وعود.
وإن سكنتا وفتح ما قبلهما، فهما حرفا لين لا غير، نحو: قَوْل وبَيْع ...
وإن تحركتا فقط فهما حرفا علة لا غير، نحو: وَزَنَ و يَسِرَ و عَوِرَ و صَيِدَ ، ونحو: دَلْوٌ و هَدْيٌ.

---

[١] – المنصف لابن جني ، ج٢، ص: ٢٢٠.
[٢] - انظر معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، محمود سليمان ياقوت ص: ٢٠٢ .
[٣] - انظر تصريف الأفعال ومقدمة الصرف عبد الحميد عنتر ص: ٨٦٤.

ثالثاً: صوائت صرفة:

إن الياء والواو يكونان صائتين إذا أشبها الألف ((وإنما يكونان كذلك إذا سكنتا وكان قبل الياء كسرة، وقبل الواو ضمة))[1] كما في نحو:

و/	– قُولُوا	/quuluu /
	– ساقُوا	/saaquu/
	– بُورِك	/buurika/
ي/	– ميزانٌ	/miizaanun/
	– قيلَ	/qiila/
	– الدّاعي	/ addaa ii/

الواو في الأمثلة الأولى ينطبق عليها ما ذكرته في تعريف الصوائت من نسبتها إلى الهواء، وانعدام الاعتراض، وما هذه الواو إلا رمز لحركة طويلة هي الضمة.

وكذلك الياء في المجموعة الثانية من الأمثلة، هي أيضاً عبارة عن امتداد طويل للكسرة.

وهذه النتيجة هي التي دفعت بالأصواتيين عند الكتابة عن طريق الرموز الصوتية أن يسطروا الواو والياء في مثل هذه الأمثلة عبارة عن حركتين .

إن الأصوات التي تكون محلاً للاعتلال قد تكون صوامت صرفة كالهمزة مثلاً أو الياء والواو المتحركتين، وتكون صوائت صرفة، كالألف، والواو والياء عند سكونهما وقبلهما حركة من جنسهما، وقد تكون شبه صوائت، وهما الواو والياء إذا سكنتا وكانت قبلهما حركة ليست من جنسهما.

---

[1] - المنصف ج٢- ص: ٢٢٠.

٢- خصائص الصوائت:

إن أصوات العلة (الصوائت) في العربية تتميز بميزات يكون الهواء معها حراً طليقاً؛ ويتخذ اللسان والشفتان أوضاعاً ثابتةً[١].

وقد تنبه المتقدمون من اللغويين العرب لهذه الخاصية بالنسبة إلى الصوائت حيث يقول ابن جني: ((الحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف))[٢].

ومن ناحية وضع أعضاء النطق كالانغلاق التام أو الجزئي، أو خروج الهواء من جانب من جوانب الفم؛ فإنه لا يمكن أن يوصف بشدة أو رخاوة أو انحراف أو غير ذلك، كما هو الحال بالنسبة إلى الصوامت، مما يترتب عليه قوة الوضوح في السمع، أي إن الصوائت تسمع من مسافة أبعد مما تسمع الصوامت[٣].

١/٢- منهج المتقدمين في دراسة الصوائت:

نهج المتقدمون من اللغويين في دراسة أصوات العلة نهجاً خالفه بعض المحدثين، ويمكن إرجاع هذا الاختلاف إلى أن المتقدمين مع معرفة بعضهم بعض اللغات الأخرى إلا أنهم درسوا عموم الأصوات من خلال لغة واحدة، هي العربية التي وجهوا إليها كامل دراساتهم، في حين أن المحدثين درسوا في معظم أبحاثهم – صوائت مجموعة لغات مختلفة وخرجوا بمقاييس عامة تقاس عليها صوائت اللغات.

ومع هذا الاهتمام بأصوات العربية وحدها كان جل تركيزهم على الصوامت التي حصلت على أكبر اعتمادٍ منهم، وظلت هي بؤرة الدراسة فترة غير قليلة من الزمن، وقد أطلقوا عليها مصطلح الحروف، ثم عُمّم هذا المصطلح حتى شمل الصوائت، فسميت الصوائت الطويلة حروف المد، ثم سميت الصوائت القصيرة الحركات[٤].

ويلاحظ أن أوّل محاولة لوصف الحركات هي تلك التي قام بها أبو الأسود الدؤلي عندما نهض بمهمة نقط المصحف الشريف حيث اختار له كاتباً، وقال له: ((إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فانقط

---

(١) - انظر الكلام انتاجه وتحليله، عبدالرحمن أيوب ص: ٢٩٦.
(٢) - سر صناعة الإعراب لابن جني ج ١ – ص:٨٠.
(٣) - انظر الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص : ٢٦ – ٢٧ .
(٤) - انظر سر صناعة الإعراب ج١ – ص: ١٧.

نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقتطين))[1] وهذه هي بدايات الوصف للصوائت القصيرة فكان المنهج معها مبنياً على الملاحظة البصرية بالعين المجردة.

ويبدو من خلال هذا النص أن الوصف كان مقتصراً على وضع الشفتين لذلك لم تبرز إلا خاصيةً واحدةً لكل صائت، الانفتاح بالنسبة إلى الفتحة والضيق مع الكسرة – إشارةً إلى النطق الضيق الذي يصاحب الكسرة – أما مع الضمة فإن الفم يكون مضموماً عن طريق استدارة الشفتين، فهي إشارة إلى خاصية التدوير التي تصحب نطق الضمة.

وأرجع سبب تغيب دور اللسان عند المتقدمين إلى عسر ملاحظة حركته بدقة داخل الفم دون وسائل متطورة معينة في ذلك، ولعل هذا ما جعل البعض يقول إن الصوائت: ((كانت صعبة الوصف على اللغويين الأوائل وقد كان التصوير بأشعة إكس هو أفضل سبيل لبيان كيفية نطق العلل))[2]

٢/٢ـ منهج المحدثين في دراسة الصوائت:

أما المحدثون فقد نهجوا نهجاً حددوا فيه بدقة أوضاع اللسان والشفتين وضبطوا حركتهما بدقة بأن عيّنوا منطقة داخل الفم سموها منطقة الحركات[3] ناظرين في ذلك ثلاثة أبعاد عضوية تحدث في الفم والشفتين، هي:

أ– درجة انفتاح الفم، وعلى أساسها تصنف الصوائت إلى أصوات متسعة أو ضيقة، أو نصف منفتحة أو نصف منغلقة.

ب– وضع الجزء الأكثر ارتفاعاً من اللسان، وعلى أساسه تصنف الصوائت إلى أصوات أمامية، أو خلفية أو مركزية؛ إذ اللسان عضو عظيم المرونة قد يجمع في مقدمة الفم تحت مقدمة الحنك، فيُنتِج حينئذٍ الصوائت الأمامية، وقد يتجمع في مؤخرة الفم تحت مؤخرة الحنك فيُنتِج حينئذٍ الصوائت الخلفية، وقد يكون موضع تجمعه في وسط الفم، فيكون مرتفعاً نسبياً فيُنْتِج حينئذٍ الصوائت المركزية.

ج– وضع الشفتين، وعلى أساسه تصنف الأصوات إلى أصوات مستديرة ومنفرجة.

---

(١) ـ أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد السيرافي ص: ١٢

(٢) ـ دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر ص: ١٠٢.

(٣) ـ انظر الكلام إنتاجه وتحليله، عبد الرحمن أيوب – ص: ٢٤٨.

٣- علاقة الصائت القصير بالطويل:

اهتمّ المحدثون ببيان كيفية صدور الأصوات القصيرة[١]، وهي في العربية ثلاثة:

أ- **الفتحة /a/.**

يتكون صوت الفتحة القصيرة عندما يرتفع الجزء الأمامي من اللسان نحو وسط الحنك ارتفاعاً نسبياً، إذ اللسان كأنه على وضعه الطبيعي في قاع الفم، فيتسع معه الممر ويعبر الهواء بعد تذبذب الوترين الصوتيين دون عائق يعترض مجراه، والشفتان حينئذٍ في وضع منفرج.

إذاً الفتحة القصيرة هي عبارة عن صوت صائت قصير مجهور أمامي واسع منفرج.

ب- **الكسرة / i/.**

يتم تكوين هذا الصوت الصائت القصير بعد ارتفاع مقدم اللسان إلى أقصى ما يمكن ارتفاعه نحو الحنك دون إحداث أي اعتراض للهواء الخارج من الرئتين والذي يذبذب الأوتار الصوتية، فيأخذ مجراه عبر الفم فيجد اللسان مشدوداً شداً قوياً والشفتين مفتوحتين.

إذاً الكسرة القصيرة، هي صوت صائت قصير مجهور أمامي ضيّق منفرج.

ج- **الضمة /u/.**

يتحقق لفظ هذا الصوت الصائت القصير بعد ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى دون تقعّر، فيضيق الممر ضيقاً ليس فيه اعتراض ولا حفيف مسموع، فينساب الهواء بعد تذبذب الوترين الصوتيين فيصل إلى الشفتين، وهما في استدارة وبروز إلى الأمام.

إذاً الضمة القصيرة هي عبارة عن صوت صائت قصير مجهور خلفي ضيق مضموم.

بهذه الكيفية يتم تكوين الصوائت القصيرة في العربية، أما ما يقابلها من الطويلة فيتم تكوينها في المناطق والكيفية التي يتم بها تكوين أبعاضها، فلا فرق بين الصائت

---

(١) ـ هناك تحديد لأوضاع الشفتين واللسان، يعدّ خلاصة نظرية دانيال جونز التي اهتدى إليها وسار على منوالها المحدثون. وهي تعرف بنظرية حدّ الصائت. وفيها نظر إلى اللسان من اتجاهين: علوي وسفلي، وأمامي وخلفي. انظر مقدمة لدراسة علم اللغة، حلمي خليل – ص٦٣ – ٦٥، وعلم اللغة العام الأصوات ، كمال بشر – ص١٤٠، ودراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر – ص١٢٦- ١٣٢.

القصير والطويل إلا في كمية الزمن[١]؛ الذي يستغرقه الناطق لهذه الصوائت ويعني هذا أن وضع اللسان عند تكوين الصائت مثلاً: الفتحة القصيرة والطويلة، هو وضعٌ واحدٌ، لا يختلف في شيء إلا في كمية الزمن فعند النطق بالفتحة الطويلة يضاعف الزمن عما تشتمل عليه الفتحة القصيرة، والذي يحدد الطويل والقصير هنا هو العرف اللغوي عند أصحاب اللغة[٢].

أوضح العلماء اللغويون العرب في القديم هذه الحقيقة؛ إذ لحظوا الفارق بينهما وهو عامل الزمن، وأن العلاقة بينهما هي علاقة الكل بالجزء ((فالفتحة بعض الألف والكسر بعض الياء والضمة بعض الواو))[٣].

تفيد النصوص الواردة عنهم أن إشباع الفتحة يفضي إلى الألف، وإشباع الكسرة يفضي إلى الياء، وإشباع الضمة يفضي إلى الواو، ومن ذلك حديثهم عن مطل الحركات[٤]، ومن الأمثلة التي وردت كلمة: منزاح والتي مبناها الأصلي من النزح، وكلمة: ينباع والتي أصلها: ينبع فأشبعت الفتحة، فنشأ عنها الألف، ومن أمثلة مطل الكسرة أو إشباعها، ما جاء عنهم : الصياريف والمطافيل والجلاعيد. ومن أمثلة مطل الضمة كلمة: انظور وكلمة: القرنفول أصلها: انظر والقرنفل[٥].

بل أجد في دراسة المتقدمين ما يعمق هذه الفكرة أكثر فأكثر، يقول ابن جني: ((قد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة))[٦].

يعد المدى الزمني عاملاً في تقسيم الصوائت العربية إلى قسمين: ثلاث حركات قصار وثلاث أخرى طوال. وبذل المتقدمون جهداً في التدليل على العلاقة الوطيدة بين الصوائت القصيرة والطويلة، وأن إشباع إحداها يفضي إلى جزئه الآخر الطويل؛ لأن ((الحركات أبعاض لهذه الحروف، إنك متى أشبعت واحدة منهن حدث

---

[١] - كمية الزمن الصوتي تعرف في الدراسات اللغوية الحديثة ب: (الكرونيم) وهو الزمن الذي يستغرقه الصوت اللغوي داخل السلسلة الكلامية.

[٢] - انظر المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب ص: ٩٦.

[٣] - سر صناعة الإعراب ج ١ – ص :١٧.

[٤] - انظر الخصائص ج٢ – ص: ٣١٥ – ٣٢١.

[٥] - تناوله ابن جني في الخصائص تحت باب مطل الحركات. ج٢، ص:١٢١ وما بعدها.

[٦] - سر صناعة الإعراب ج١ – ص: ١٧.

بعدها الحرف الذي هي بعضه... فلولا أن الحركات أبعاضٌ لهذه الحروف (الصوائت الطويلة) وأوائل لها لما نشأت عنها ولا كانت تابعة لها))[١].

ومن البديهي التسليم للمتقدمين بأن الحركة القصيرة إذا أشبعت أصبحت حركة طويلة، وعلى منوالهم سار المحدثون من علماء العربية في اعتبار الفرق بين الحركات الطويلة والقصيرة يكمن في الكمية (المدى) فقط، ولا يوجد هناك فرق من الناحية العضوية، يقول أنيس: ((إن كيفية النطق بالفتحة وموضع اللسان معها يماثل كل المماثلة كيفية النطق بما يسمى ألف المد))[٢].

إن الصوائت تصنف بحسب المدى الزمني إلى صوائت طويلة وقصيرة، فالطويلة هي أصوات يستمر فيها خروج الهواء حتى يصير معه مدى النطق بها مساوياً لمدى النطق بحركتين قصيرتين. فالفرق بينها- من ناحية المدى النسبي – هو فرق في الكمية، وقلت هنا: المدى النسبي؛ لأن الصوائت تختلف من لغة إلى أخرى ومن متكلم إلى آخر، وفي جميع الأحوال تكون الحركات الطويلة ضعف الحركات القصيرة[٣] والذي يحدد الطول والقصر، هو العرف اللغوي عند أصحاب اللغة[٤].

إن النصوص التي تشير إلى أن الحركة بعض الحرف لا تصرح بكمية هذا البعض ونسبته الحسابية لذا يمكن القول بأن الواو من جنس الضمة، وتقدر بضمتين [٥].

يضاف إلى هذه الأصوات الستة ــ هي الحركات القصيرة الثلاثة وما يقابلها من الطويلة أي المدود ــ في درس الإعلال أصوات أخرى هي الواو والياء المتحركتان والهمزة، فإلى وصفها.

الياء /y/.

تتكون الياء بأن تتخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق صائت من نوع الكسرة ثم تنتقل منه بسرعة إلى موضع صائت آخر أشد بروزاً، هذا الانتقال السريع من الكسرة

---

[١] - سر صناعة الإعراب، ج١ – ص: ١٨.
[٢] - الأصوات اللغوية – د. إبراهيم أنيس ، ص: ٣٨.
[٣] - انظر الدراسات الصوتية عند علماء العربية، عبد الهادي الأصيبعي ص: ١٥٤.
[٤] - انظر المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – د. رمضان عبد التواب ص:٩٦.
[٥] - انظر معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث – د. محمود سليمان ياقوت ص: ٢٥٦.

هو الذي يكوّن الصامت المعروف بالياء[١].

فالياء تتفق مع الكسرة غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين النطق بالياء يكون أضيق منه في حالة النطق بالصوت الصائت الكسرة /i/ مما يترتب عليه سماع ذلك النوع من الحفيف الضعيف، فالياء تشتمل على حفيف يكن أن يجعلها تعد صوتا صامتاً[٢]. إذاً الياء صوت مجهور غاري.

الواو /w/[٣].

تبدأ أعضاء النطق في اتخاذ الوضع المناسب لنطق نوع من الضمة /u/ ثم يترك هذا الوضع إلى وضع صوت آخر وهو الواو[٤].

فهو يتفق مع الضمة إلا في ارتفاع مؤخر اللسان، يكون مع الواو أكثر منه مع الضمة مما يكون سبباً في سماع الحفيف الضعيف يشبه حفيف الصوامت، ويتذبذب الوتران الصوتيان. فهو مجهور حنكي شفوي.

صرّح بعض المتأخرين بأن المتقدمين خلطوا كثيراً في تناولهم لهذين الصوتين وكان هذا الخلط ناتجاً من عدم تمكنهم من التفريق بين أصوات العلة وأصوات المد، حيث: ((إن الياء والواو المعتلتين لا تكونان إلا حين تتراكب الحركات فتنشأ الحركة المزدوجة التي تؤدي إلى وجود الصوت الانتقالي الذي هو الواو أو الياء، فالحركة المزدوجة /a+i/ مثلاً تنتج الياء والحركة المزدوجة /a+u/ تنتج الواو أيضاً، وهذان هما صوتا العلة ومثالهما: بَيْت – قَوْم ...

فأما أصوات المدّ في مثل: قام – يُقِيم، فليست أصوات علة على الرغم من اتّحاد رمزي الواو والياء والتباسهما كتابة برمزي صوتي العلة السابقتين، بل كل ذلك حركات

---

[١] - انظر معاجم الموضوعات، ص: ٢٠٤.

[٢] - انظر الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص: ٢٠٢.

[٣] - هناك صامتان في العربية أمكنت تسميتها بأشباه الصوائت، كما أنه يمكن أن يسميا بأشباه الصوامت هي: الواو والياء ويقصد الواو والياء اللذان يؤديان عمل الصوامت، كما في مثل: وَلد – يَلد – يمر الهواء المصاحب لهما دون انحباس تام أو احتكاك واضح ؛ إذ مجراهما في الفم خال من المعوقات فأشبها الصوائت في هيئة وشكل اللسان، وأشبها الصوامت في تضيق مخرجيهما، كما تضيّق عند الصوامت لكنه نسبي، ثم إنها من حيث النطق الصرف يعدان من الصوائت في الصفات، لكنهما في التركيب الصوتي للغة يسلكان مسلك الأصوات الصامتة، ومن هذا كله جاءت تسميتهما بأنصاف الصوائت أو شبه الصوائت. انظر علم اللغة العام الأصوات، كمال بشر، ص:١٣٣.

[٤] - انظر معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، محمود ياقوت، ص: ٢٠٢.

طويلة يمكن تجزئتها إلى حركات قصار))[1].

لا يشكّ أحدٌ في أن المتقدمين يطلقون على الألف والواو والياء في: قام – يقُوم – يقِيم، حروف مد، لكن متى؟

ذلك بعد المآل، أي بعد الإعلال، أما عندما، يطلقون عليها حروف علة، هو إطلاق على الأصلية، أي قبل المآل؛ إذ كانت الألف واواً متحركة بالفتح في قام، والواو متحركة بالضم في: يقُوم، والياء متحركة بالكسر في: يقِيم، فحصل إعلال بالقلب في: قام، وإعلال بالنقل في: يقُوم، ويقِيمُ. وأصلها على الترتيب : قَوَم – يَقْوُم – يُقْيم.

إنّ المتقدمين يقسمون الأصوات قسمين كبيرين هما: أصوات صامتة، وأخرى تقابلها أصوات عليلة.

ويستحسن بي التفريق بين الأصوات الصائتة وأصوات العلة، فهذان مصطلحان استخدم كل منهما في زمن يختلف عن زمن الآخر.

فمصطلح المتقدمين " علة". وأصوات العلة عندهم بعضها صائت خالص، وبعضها شبه صائت، وما سميت بأصوات العلة إلا لاعتلالها، والعلة المرض، ومن شأنها أن تتغير فتزول، وهذا المعنى يناسب هذه الأحرف لكثرة ما يعتورها من التغيير بالقلب والحذف وسلب الحركة عنها[2].

وسبق أن أشرت[3] إلى أنها عندهم تكون حروف مد ولين، وذلك إذا سكنت وجانستها حركة ما قبلها. وإن سكنت وفتح ما قبلها فهي حروف لين لا غير، وإن تحركت فهي حروف علة.

والواقع أن رؤية عبد الصبور شاهين لصوتي الواو والياء ووصفه لهما بصفة الانزلاق خالفه فيها كثير من اللغويين[4] والانزلاق أساساً هو ارتباط صوتين صائتين ينطقان بحيث يُكَوِّنان مقطعاً واحداً لا مقطعين، أي انزلاق بين صوتين لينتج عنهما معاً صوت واحد، أي تركيب بين صوتين صائتين في آن واحد، دون فاصل

---

[1] - المنهج الصوتي للبنية العربية ص: ١٧٠.

[2] - انظر تصريف الأفعال ومقدمة الصرف، عبد الحميد عنتر ص: ١٦٣.

[3] - انظر ص:٨٦ من هذا البحث.

[4] - انظر ظاهرة الإعلال في العربية، دراسة صوتية وصفية، رجب عثمان محمد ص: ٢٦.

بينهما[1]. وهو ما يظهر في اللهجات العربية الحديثة في مثل: بَيْـت خَـوْف /xawf/ /bayt/ – نظراً لاجتماع الفتحة مع شبه الصائت الياء والواو في الكلمتين ينزلقان لإنتاج الصائت /e/ أو /o/ فتصير الكلماتان /xoof/ – /beet/ بحركة ممالة طويلة.

٤- علاقة الهمزة بأحرف العلة:

الهمزة عند المتقدمين صوت حلقي مجهور شديد[2].ولكن طبيعة الهمزة من الناحية الصوتية عند المحدثين أنها صوت يخرج بعد انغلاق الوترين الصوتيين ثم انفتاحهما في صورة انفجار يصحبه همس، فهي صوت صامت حنجري انفجاري مهموس[3].

أما أصوات المد (الحركات الطويلة) فهي أصوات انطلاقية تتكون بالفم بعيداً عن الحنجرة والحلق واللهاة، وهي مجهورة، وأعلى الأصوات إسماعاً.

وما تبقى من أصوات العلة الياء والواو إذا سكنتا ولم تكن الحركة قبلهما من جنسهما أو تحركتا بأي حركة فهما شبيهان بالصائت مجهوران ويتكونان بمنطقة الفم بعيداً عن الحنجرة والحلق.

بهذا أصل إلى ما يشبه التعارض الكامل بين طبيعة الهمزة من جانب وطبيعة الصوائت الأخرى من جانب آخر يتمثل في الفروق التالية[4]:

- المخرجان متباعدان
- الهمزة مهموسة والأخرى مجهورة.
- الهمزة انفجارية وما تبقى انطلاقي.

وأستطيع أن أقرر مطمئناً، أنه لا علاقة فسيولوجية بين الهمزة وبين أصوات العلة الأخرى. فكل ما أعرفه عن هذه المسألة يوحى بالتباعد، إلا في الخواص الوظيفية حيث تقوم بأعمالٍ مشابهةٍ لأعمال أصوات العلة حيث كل منها يتغير ويتبدل ولا يبقى على حال واحدة داخل الكلمات العربية، مما يجعلني أطلق عليها كلها أصوات علة.

---

[1] - انظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران ص: ١٨٥ – ١٨٦.
[2] - انظر الكتاب ج٤ - ص: ٤٣٣.
[3] - انظر مناهج البحث في اللغة، تمام حسان ص: ٩٧
[4] - انظر المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين – ص: ١٧٢.

المبحث الثاني

وصف الإعلال بنقل صوت العلة القصير

هناك إعلال بالتسكين، وإعلال بالنقل فيكون التسكين ناشئاً عن حذف حركة صوت العلة وطرحها، أو ناشئاً عن نقل حركة صوت العلة إلى الساكن قبله، فهو ذو شقين:

- الأول منهما طرح للحركة فقط بعيداً عن صوت العلة الواو والياء، وهو ما يعرف بالتسكين.
- الثاني هو نقل للحركة عن أحد أصوات العلة (الواو أو الياء) إلى الصامت غير المتحرك قبله وهو ما يعرف بالإعلال بالنقل.

ولذا أمكن القول إن كل إعلال بالنقل فهو إعلال بالتسكين، ولا يمكن أن يعكس: إذ الإعلال بالتسكين طرح لحركة صوت العلة ودفعها إلى خارج الكلمة بغية التخفيف، بينما الإعلال بالنقل هو تسكين لصوت العلة الذي يحمل الحركة، بعد نقلها إلى صوت آخر صامت مجاور له.

أمثلة الإعلال بالتسكين

الكلمة	أصلها	توضيح
جاء القاضي مررت بالقاضي	القاضيُ القاضيِ	حق الياء أن تكون مضمومة أو مكسورة كالصوت الصحيح لكن، عندما استثقلت هاتان الحركتان على الصوت العليل طرحتا فسكنت الياء.
يدعو يرمي	يدعوُ يرميُ	الياء والواو بالفعلين حقهما الضم ونظراً لثقل الضم عليهما دفعت خارج الكلمة فهو إعلال بالتسكين.

إن الواو والياء صوتان من أصوات العلة والحركة عليهما ثقيلة، والفتح هو أخف الحركات، فإن تحركتا بالفتح لم يتطلب الوضع دفع هذا الفتح؛ إذ هو أخفها، أما إن تحركتا بضم أو كسر، فهاتان الحركتان ثقيلتان، وبالتالي يتطلب الوضع طرحهما خارج الكلمة.

ويشار إلى أن هناك نوعا آخر من الإعلال بالنقل يكون بتغيير حركة صوت العلة بحركة أخرى لغرض صرفي، كما في: قُلْتُ وبِعْتُ؛ إذ أصلهما قَوَلْتُ وبَيَعْتُ، فاستبدلت حركتهما بحركة من جنس عين الكلمة، ففي الأولى ضمة وفي الثانية كسرة،

ثم حذفت العين ونقلت الحركة إلى الفاء لتبقى الحركتان مشيرتين إلى المحذوف الـذي نقلت عنه.

أما الإعلال بالنقل فهو الذي يسكن معه صوت العلة بعد نقل حركته إلى الصوت الساكن الصحيح قبله. نحو: يَقُول يَبِيع، وأصلهما: يقْوُل يبْيِع – نقلت ضمة الواو، وكسرة الياء إلى الساكن الصحيح قبلهما، (القاف والباء) وهذا النوع، هو الذي يطلق عليه كثير من الصرفيين مصطلح الإعلال بالتسكين، ويقصدون الإعلال بالنقل، يسمونه باسم سببه، أي نقل الحركة عن صوت العلة إلى الصوت الساكن قبله، وحينئذٍ يصبح صوت العلة ساكناً، أعني إعلالاً بالتسكين، سببه نقل الحركة، وهو يجري في أربعة مواضع عند اللغويين[1]:

١ – الفعل الأجوف:

إذا تحركت عين الفعل الأجوف وسبقها صوت صامت ساكن يحدث فيه إعلال بالنقل، وذلك على اختلاف أزمنته: نحو:

الكلمة	أصلها	توضيح
أبان	أبْيَنَ	تحركت الياء وقبلها صوت صحيح ساكن نقلت إليه حركتها إعلالاً بالنقل (وفيها قلب كذلك)
استبان	استبْيَنَ	تحركت الياء وقبلها صوت صحيح ساكن نقلت إليه حركتها إعلالاً بالنقل (وفيها قلب كذلك)
يبِينُ	يُبْيِنُ	تحركت الياء وقبلها صوت صحيح ساكن نقلت إليه حركتها إعلالاً بالنقل (ليس فيها قلب)
أبن	أَبْيِنْ	تحركت الياء وقبلها صوت صحيح ساكن نقلت إليه حركتها إعلالاً بالنقل (وفيها حذف)
أجاب	أجْوَبَ	تحركت الواو وقبلها صوت صحيح ساكن نقلت إليه حركتها إعلالاً بالنقل (وفيها قلب)
استجاب	استَجْوبَ	تحركت الواو وقبلها صوت صحيح ساكن نقلت إليه حركتها إعلالاً بالنقل (وفيها قلب)
يجيب	يُجْوِب	تحركت الواو وقبلهما صوت صحيح ساكن نقلت إليه حركتها إعلالاً بالنقل (وفيها قلب)
أجب	أجوِبْ	تحركت الواو وقبلهما صوت صحيح ساكن نقلت إليه حركتها إعلالاً بالنقل (وفيها وحذف)

بعد هذا الجدول التوضيحي أعرض ما قاله بعض اللغويين في نقل الحركة في الفعل الأجوف، حيث تطرق إليه سيبويه مبينا بعض أسبابه في قوله: ((اعلم أن فعُلْت

[1] - انظر حاشية الصبان، ج٤، ص:٢٢٠-٢٢٤.

وفعِلْت منهما معتلة كما تعتل ياء يرمي، وواو يغزو، وإنما كان هذا الاعتلال في اليـــاء والواو لكثرة ما ذكرت لك من استعمالهم إياهما، وكثرة دخولهما في الكلام، وأنّه لـــيس يعرّى ــ أي الكلام ــ منهما ومن الألف أو من بعضهن، فلما اعتلـــت هـــذه الأحـــرف جعلت الحركة التي في العين محولة على الفاء، وكرهوا أن يقروا حركة الأصل حيـــث اعتلت العين))[١]

وفي موضع آخر يضيف أن الحرف الذي قبل الحرف المعتل ((إذا كان ســـاكناً في الأصل، ولم يكن ألفاً ولا واواً ولا ياءً، فإنك تسكن المعتل، وتحول حركتـــه علـــى الساكن، وذلك مطرد في كلامهم، وإنما دعاهم إلى ذلك أنهم أرادوا أن تعتل وما قبلهـــا إذا لحق الحرفَ الزيادةُ كما اعتل ولا زيادة فيه ... وذلك نحو: أجـــاد وأقـــال وأبـــان وأخاف واستراث واستعاذة))[٢].

وقريب من هذا المعنى يذكر أبو عثمان المازنيّ[٣]أن الأفعال منها ما تعل ويسكن موضع العين وتحول حركته وتزال عن أصله كل هذا يفعل به[٤]. ويشترط سيبويه لهذا النقل ألا يجري في مثل: ((هو أقْوَل الناس، وأبْيَع الناس...، إنما أتموا ليفصـــلوا بينـــه وبين الفعل المتصرف، نحو: أقال وأقام...))[٥]

وعند ابن جني: إذا وقع حرف معتل متحرك بعد صحيح ساكن، حرك الصـــحيح وسكن المعتل وأعل؛ فإذا كان الحرف الذي قبل الحرف المعتل من بنات الثلاثة ســـاكناً في الأصل ولم يكن ألفاً ولا واواً ولا ياءً، فإنك تسكن المعتل وتحـــول حركتـــه علـــى الساكن الذي قبله، وذلك مطرد كلامهم ... نحو: أجاد وأقال وأبان واستراث واســـتعاذة، وأصله: أجْوَد وأقْوَل، وأبْيَن، وأخْوَف، واستَرْيَثَ واستَعْوذَ، ولكنهم ألقوا حركـــة الـــواو والياء على الساكن الذي قبلها فانفتح ثم أبدلت الواو والياء ألفين لذلك[٦].

---

[١] ـ الكتاب لسيبويه ج٤ – ص: ٣٣٩.
[٢] ـ المصدر السابق ، ج ٤ – ص: ٣٤٥.
[٣] ـ هو بكر بن محمد بن عثمان أبو عثمان النحوي المازني البصري، له التآليف الحسنة منها كتاب التصريف، وكتاب الديباج ، توفي سنة سبع وأربعين ومئتين. انظر إشارة التعيين، ص: ٦١-٦٢.
[٤] ـ انظر المنصف، ج١، ص:٢٣٣.
[٥] ـ الكتاب، ج٤، ص:٣٥٠
[٦] ـ انظر المنصف ج١ – ص ٢٦٧

ويبرهن على صحة رأيه كون أصل هذه الكلمات ما ذكره آنفاً، هو ما ظهر من هذه الأمثلة المعتلة على أصله، وهو قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [1]. وقولهم: استَنْوَق الجمل.

وأنهم أرادوا إعلال هذه الأمثلة، لأنها كانت معتلة في الثلاثي فنقلوا حركة الواو والياء إلى الساكن قبلها، فقلبوهما ألفاً لتحركهما في الأصل وانفتاح ما قبلهما، ولولا اعتلالهما في الثلاثي لما وجب إعلالهما الآن؛ لأن الواو والياء إذا سكن ما قبلهما جريا مجرى الصحيح[2].

وجاء من بعدهما ابن يعيش فقدم تفصيلاً لهذا المضمون وتوضيحاً لما يمكن أن يعدّ غامضاً في موضوع الأفعال معتلة العينات، فيذكر في نحو: مضارع يقُول ويعُود والأصل فيهما: يَقْوُل ويَعْوُد، فنقلوا الضمة إلى الساكن بغية إعلاله، حملاً على الفعل الماضي في قال وعاد. والذي يدل على أن الإعلال يسري في هذه الأفعال من الماضي أنه إذا صحّ الماضي صحّ المضارع؛ لأنّهم قالوا: عَوِر وحَوِل فصححوهما، وقالوا: تعْوِر ويَحْوِل، و: عاور وحاول، فصححوا هذه الأمثلة لصحة الماضي[3].

---

[1] - سورة المجادلة الآية ١٩.

[2] - انظر المنصف ج١ – ص:٢٦٧ -٢٦٨.

[3] - انظر شرح المفصل ابن يعيش ج١٠ – ص: ٦٥- ٦٦.

٢- الاسم الموافق للمضارع:

إن الاسم الموافق للمضارع في حركاته وسكناته، يشاركه في الإعـــلال بالنقـــل، ويشترط لهذا الاسم[١] اشتماله على علامة تُميِّزه عن المضارع.

الكلمة	أصلها	موافقة المضارع	توضيح
مَقام	مَقْومَ	يَفْعَـــــل	نقلت حركة الواو إلى الساكن ثم قلبت الواو ألفاً.
مَطار	مَطْيَر	يَفْعَـــــل	نقلت حركة الياء إلى الساكن ثم قلبت الياء ألفاً.
مَشُورة	مَشْوُرة	يَفْعُـــــل	نقلت حركة الواو إلى الساكن.
مَثُوبة	مَثْوُبة	يَفْعُـــــل	نقلت حركة الواو إلى الساكن.
معاش	مَعْيَش	يَفْعَـــــل	نقلت حركة الياء إلى الساكن ثم قلبت الياء ألفاً.
مَعِيشَة	مَعْيِشَة	يَفْعِـــــل	نقلت حركة الياء إلى الساكن قبلها.

أما عن هذا الموضوع، وهو الاسم الذي يوافقه الفعل المضارع فـــي حركاتـــه وسكناته فيلخص ذلك سيبويه بأن صيغة مَفْعَل تجري مجرى يَفْعَل فتعتـــلّ كمـــا اعتـــلّ الفعل منهما، حيث تشابهه الصيغة في الزيادة، وفي موضع الزيادة، فتجـــري مجـــرى الفعل الذي على وزن يَفْعَل في الاعتلال، كما قالوا: مخافة أجروهـــا مجـــرى يخـــاف ويهاب، فكذلك اعتل هذا؛ لأنهم لم يجاوزا ذلك المثال المعتل، إلا أنهم وضـــعوا ميمـــاً مكان ياء، وذلك قولهم: مقام ومقال ومثابة ومنارة، فصار دخول الميم كـــدخول الألـــف وفي أفْعَلُ، وكذلك مَفْعِل يجري مجرى يَفْعِل وذلك قولك: المَبِيض والمَسِـــير، وكـــذلك مَفْعُلة تجري مجرى يَفْعُل، وذلك المَعُونة والمَشُورة أو المَثُوبة[٢].

---

[١] - المراد بالموافقة بين هذا الاسم والفعل المضارع، الموافقة في السكنات والحركات وعدد الحروف بقطع النظر عن الأصالة والزيادة. والمراد بالعلامة التي تميز الاسم عن الفعل هي المخالفة في الزيادة. أي أن تكون الزيادة في مكان الزيادة ولكن لا تكون مما تزاد في أول المضارع، أعني ليست من حروف المضارعة، وإنما بشرط الموافقة في الوزن لتكون هناك مشابهة بين الاسم والفعل تصحح حمله عليه؛ لأن الفعل هو صاحب الإعلال، وشرط المخالفة في الزيادة لأنه لو أعل وكانت الزيادة غير مختلفة لا تشبه الاسم بالفعل؛ لأنه حينئذٍ يكون على صورته من كل درجة، راجع الصبان، ج١ ، ص ٤٥٢.

[٢] - انظر المصدر ج٤ – ص: ٣٤٩.

وقد أوضح ابن جني أن جميع الأسماء الجارية على الأفعال المعتلة العينات يجب إعلالها بتسكين الواو والياء منها، ونقل حركتها إلى ما قبلها، ولا فصل بين الأسماء في هذا، والأفعال، وأسماء الفاعلين في هذا والمفعولين سواء؛ لأنها كلها جارية على الأفعال، فيجب إعلالها لاعتلال أفعالها[1]، نحو اسم الفاعل: مُخيف ومُبين، فقد جريا مجرى يُخِيف ويُقِيل.

وأجد بعض اللغويين يضيفون توضيحاً لا سيما في اسمي الزمان والمكان والمصادر التي يحدث فيها إعلال بالنقل، وهي تشابه الأفعال في الزيادة، فتعل لاعتلال أفعالها إذا كانت على وزنها وبها زيادة كزيادتها، فإذا بنيت مَفْعَلاً من القول والبيع وأردت به مذهب الفعل، فإنك تقول: مقالاً ومباعاً[2]، لأنه على وزن يَفْعَل، والميم في أوله كالياء في أول الفعل، ولم تخف التباساً بالفعل؛ لأن الميم ليست من زوائد الأفعال.

وكذلك يمكنك أن تقول مُفْعَل بضم الميم نحو: مُقام ومُعاد، يشابه الفعل يُقال ويُعاد، وكذلك مَفْعلَة نحو: مَقالة ومَغَازة، ومن ذلك مَفْعِل بكسر العين نحو: مَسِير ومَصِير.

---

[1] - انظر المنصف ج١ –ص: ٢٧٠.

[2] - انظر شرح المفصل ج١٠ – ص: ٦٧.

٣- مصدر أفعل واستفعل الأجوفين:

إن الأفعال الصحيحة التي على أفعل واستفعل تأتي مصادرها على إفعال واستفعال، كإبلاغ واستنصار مصدري أبلغ واستنصر، لكن الجوفاء منها جعل اعتلال عينها أن تظهر في صورة وكأنها مخالفة لها، ولا علاقة لمصادرها بمصادر الأفعال الصحيحة، النظيرة لها.

الكلمة	أصلها	توضيح
إقامة إبانة استقامة استبانة	إقْوَام إبْيَان اسْتِقْوَام استِبْيَان	نقلت حركة الواو والياء في الأمثلة إلى الساكن الصحيح قبلها فعقبها قلب الواو والياء ألفاً، فاجتمع ساكنان (ألف المصدر، والألف المنقلبة عن الواو) فحذفت إحدى الألفين، وعوض عن هذا الحذف تاء في آخر الكلمة.

وعن هذا الموضوع المتعلّق بالمصادر التي على وزن: إفعال واستفعال وكانت أفعالها جوفاء، نحو: ، ((الإقامة والاستقامة فإنّما أعلتا كما اعتلت أفعالهما؛ لأن لزوم الاستفعال والإفعال لاستفعل وأفعل، كلزوم يستفعل ويُفْعِل لهما))[١].

ويعني أنني إذا صغت مصدراً من فعل أجوف على وزن إفعال أو استفعال نحو: أقام واستقام، أقول: إقامة واستقامة، والأصل: إقوام واستقوام، نقلت حركة الواو عين الكلمة إلى فائها الساكنة، ثم قلبت العين ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حَذَفْتُ إحدى الألفين نظراً لالتقاء الساكنين[٢] قبل الحذف، و صورتها كالتالي: إقاٰمة. استقامة، ((فذهب أبو الحسن إلى أن المحذوف هي الألف الأولى، وذهب الخليل إلى أن المحذوفة هي الألف الثانية، وهي الزائدة ...))[٣]

وسواءٌ حذفت الأولى أم الثانية فالنتيجة واحدة تكون: إقامة – استقامة.

ولكن هذا الخلاف تظهر ثمرته عند وزن مثل هذه الكلمات، فعند أبي الحسن الذي يحذف الأولى وهي عين الكلمة فيكون الوزن: إفالة- استفالة.

---

[١] - الكتاب ج٤ – ص: ٣٤٥ – ٣٤٦.
[٢] - انظر شرح المفصل ج١٠ – ص:٢٩١ – ٢٩٢.
[٣] - المنصف ج١ – ص: ٢٩١ – ٢٩٢.

وعند الخليل الذي يحذف الثانية، وهي ألف المصدر فيكون الوزن: إفعلة – استفعلة.

وإذا أمكن الترجيح فيقوى عندي رأي أبي الحسن الأخفش اعتماداً على الحذف المعهود عند اجتماع الساكنين، حيث درج اللغويون عموماً عند اجتماع الساكنين حذف الأول منهما، فلماذا لا يكون المحذوف هنا الساكن الأوّل ؟

ثمّ إنّ الألف الثانية جيء بها لغرض، وهو إفادة المصدر في أصل البناء، فلا يمكنني حذفها، إذ إنّ دلالتها تقوى بوجودها.

٤- وزن مفعول من الأجوف:

إذا صيغ اسم مفعول من الفعل الثلاثي الأجوف، فإنه يعل إعلالاً بالنقل، أي تنقل حركة عينه إلى فائه، فتصبح العين ساكنة.

الكلمة	أصلها	توضيح
مَقُول مَصُوغ	مقْوُول مصْوُوغ	نقلت حركة العين إلى فاء الكلمة فاجتمع ساكنان، سكون عين الكلمة التي هي الواو وسكون واو مفعول، فحذف أحد الساكنين، فصارت: مقول – مصوغ.
مَكِيل مَخِيط	مكْيُول مخْيُوط	نقلت حركة عين الكلمة الياء فاجتمع ساكنان فحذف أحدهما وهو الأول وقلبت الواو ياء، وكسر ما قبلها للتفريق بين اليائي والواوي

و عن هذا الموضع الرابع من مواضع الإعلال بالنقل في صيغة مفعول من الأجوف فيعتلّ كما اعتلّ الفعل الأجوف في فَعَل، لذلك يقال فيه ((مزُور ومصُوغ، وإنما كان الأصل: مزْوُور، ومَصْوُوغ، فأسكنوا الواو الأولى كما أسكنوا في يَفْعَل، وحذفت واو مفعول؛ لأنه لا يلتقي ساكنان، ونقول في الياء: مَبِيع ومَهِيب، أسكنت العين وأذهبت واو مفعول؛ لأنه لا يلتقي ساكنان))[١] ومنه نحو: مَبِيع ومَخِيط ومَدِين من الدَيْنِ ((فهذا كله مُغيّر، وأصله مَبْيُوع و مَدْيُون ومَخْيُوط))[٢].

ويفصح المتقدمون أن وجوب إعلال مفعول من حيث ((وجب إعلال فاعل، وكلاهما من قِبَل الفعل وجب إعلاله؛ لأنهما جاريان عليه، وهو معتل، فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد ...))[٣].

وكذلك ورد الخلاف بين الخليل والأخفش في المحذوف هنا[٤] هل عين الكلمة التي هي الواو و الياء، أم المحذوف واو مفعول؟ على غرار ما حدث في مصدر الإفعال والاستفعال، ويترجح عندي حذف عين الكلمة للأسباب المتقدمة[٥].

---

(١) - الكتاب ج٤ – ص: ٣٤٨ – ٣٥٩.
(٢) - الخصائص لابن جني ج١ – ص: ٢٦٠.
(٣) - المصنف ج١ – ص: ٢٨٢ – ٢٨٣.
(٤) - انظر شرح التصريح على التوضيح للشيخ الأزهري ج٤ – ص: ٣٩٤.
(٥) - في الصفحة السابقة.

تصحيح اليائي في اسم المفعول.

يصحح اسم المفعول اليائي العين ويؤتى به على التمام دون النقل والحذف، وهذه ظاهرة لغوية يخرج على الأصل؛ لأن اسم المفعول اليائي العين أخف نطقاً عند تصحيحه من الواوي ، فورد عنهم: ((مخيوط – مبيوع، فشبهوا ياءها بياء صيُود وغَيُور، حيث كان بعدها حرف ساكن ولم تكن بعد الألف فتهمز، ولا نعلمهم أتمّوا في الواوات؛ لأن الواوات أثقل عليهم من الياءات، ومنها يفرّون إلى الياء، فكرهوا اجتماعهما مع الضمة))[١].

واشتهرت هذه الظاهرة عند بعض القبائل العربية، حيث لاحظها اللغويون وسطّروها منسوبة إلى تميم[٢] في تتميم المفعول من اليائي، لخفة الياء عن الواو، وقدرتها على تحمل الضمة. فالتميميون وحدهم[٣] يصححون اليائي لذا قال شاعرهم[٤]:

"قدْ كانَ قَومُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيّداً * وأخالُ أنّكَ سَيِّد مَعْيُونُ[٥] "

وأنشد أبو عمرو بن العلاء: "وكأنّها تفاحة مَطْيُوبَة" [٦]

ويحكى أن بعض العرب في التصحيح ربما تخطّوا الياء في هذه إلى الواو وأخرجوا مفعولاً منها على أصله، وإن كان أثقل من اليائي، وذلك قول بعضهم[٧]: ثوب مَصْوُون، وفرس مَقْوُود، ورجل مَعْوُود من مرضه، والمسك في عنبره مدْوُوف، أي مبلول[٨] ...

إن تصحيح الواوي وإن ورد فهو قليلٌ، مقارنة مع تصحيح اليائي، وتصحيح اليائي أيضاً في العربية يعدّ قليلاً جداً. لذا علّق ابن جني على الواوي في مثل تلك الشواهد بقوله: ((منها ما لا يمكن النطق به أصلاً))[٩]. نظراً لقلته، ولتتابع الضمات في آخره، وهي أثقل الحركات في العربية.

---

(١) - الكتاب ج٤ – ص: ٣٤٨– ٣٤٩.
(٢) - انظر المنصف ج١ – ص: ٢٨٤.
(٣) - انظر الخصائص ج١ – ص: ٢٦١.،
(٤) - هو: عباس بن مرداس السلمي، انظر راجع الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج البصري، ص:٢٤.
(٥) - معيون هو الشاهد، حيث لم يحذف منه شيء، ومعناه مصاب بالعين.
(٦) - انظر الخصائص ج٢ – ص: ٢٨١.
(٧) - انظر الخصائص، ج١، ص:٢٦١.
(٨) - انظر الصحاح، مادة: دوف، ج١، ص:٩٠.
(٩) - الخصائص ، ج٢، ص:٢٨١.

من خلال هذا الوصف للإعلال بالنقل عند المتقدمين استشفّ النقاط الآتية:

أ- أن يكون الصوت الذي قبل العين ساكناً صحيحاً أي الصوت الذي تنقل إليه حركة العين يسكن تهيؤاً لقبول الحركة العارضه عليه.

ب- لا تتم عملية الإعلال بالنّقل إلا فيما اعتلّت عينه في ماضيه، فما صحت عين ماضيه نحو: عَوِر عاور، وحَوِل حاول، تصح عين مضارعه ومصدره وكل ما يشتق عنه؛ إذ اعتلال المضارع أو اسم المفعول أو غيره يأتي تبعاً للماضي حتى يسير اللفظ على نسق واحد.

ج- نقل الحركة عن صوت العلة إلى الصحيح الساكن بغرض المحافظة على هذه الحركة من الضياع.

أما عن أسباب الإعلال بالنقل في هذه المواضع الأربعة، أي نقل الحركة عن الواو والياء، فيؤكد اللغويون أن النقل نتج بسبب كثرة شيوعها في الكلام فأرادوا تخفيفها بحذف حركتهما[1].

إن تصحيح اسم المفعول من اليائي دون الواوي؛ لأن الواو أثقل في النطق من الياء، فالياء خفيفة، وثقلها لا يصل إلى مستوى ثقل الواو؛ لذلك احتملت الياء الضمة بخلاف الواو.

سبب الإعلال بالنقل في اسم المفعول مع ما تقدم فهو كره العرب اجتماع الياء والواو والضمة في اليائي، والواوين والضمة في الواوي في آن واحد ومكان واحد؛ لذلك نقلوا الحركة ثم حذفوا لئلا يلتقي ساكنان.

---

[1] ـ كما هو عند سيبويه، انظر ص: ٩٧ـ ٩٨ من هذا البحث.

المبحث الثالث

وصف الإعلال بحذف صوت العلة

تقدم[1] أن الإعلال بالحذف هو سقوط صوت العلة بغية التخفيف فإن كان المحذوف صوتاً صحيحاً، أو كان الحذف لغاية إعرابية، فلا يدخل تحت مسمى الإعلال بالحذف، ولا فرق بين أن يكون المحذوف صوتاً أصلياً أم زائداً، وقد اشتهر عند الصرفيين[2] أن الحذف نوعان:

أ/ حذف غير قياسي، هو الحذف الذي تنعدم معه العلة التصريفية، نحو: يد – دم أب – أخ – ابن – اسم ... كل هذه الأسماء قد حذفت عنها لاماتها لا لعلة تصريفية منتظمة. وأصلها على التوالي:

يدي – دمو – أبو – أخو – بنو – سمو ...

ب/ حذف قياسي، وهو الحذف الذي يتم لأجل علة صرفية تقتضيه تلجئنا إلى حذف صوت العلة، والعلة الصرفية هي إما الاستثقال ويقصد تخفيفه، أو التقاء الساكنين[3] كحذف صوت الواو من: يثب ، وقل؛ وأصلهما: يَوثِب – قُوْلْ.

ففي المثال الأول استثقال، وفي الثاني اجتماع ساكنين، وهذا النوع من الحذف، أي الحذف لأحد هذين السببين هو الذي يطلق عليه: الحذف القياسي.

وقد حدّد العلماء مواضع هذا الحذف من الكلمات العربية وذلك بالنظر في الصوت المحذوف، فهو إما أن يكون الحذف متعلقاً بصوت زائد على أصل الكلمة، أو فاء الكلمة، أو عينها أو لامها، وبهذا تنحصر مسائله في أربعة[4] مواضع، تفصيلها في الآتي:

---

(1) ـ انظر ص: ١٨ من هذا البحث.

(2) ـ انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني – ج٤ – ص: ٤٧٨.

(3) ـ انظر شرح المفصل لابن يعيش ج١٠ – ص: ٦٨.

(4) ـ ذكر الصبان ثلاثة منها ، ج ٤، ص ٤٧٨– ٤٨٤، وذكر ابن عصفور في الممتع الرابع ، ج ٢، ص٥١٨.

١- حذف الصوت الزائد:

ويجري هذا الحذف على همزة أفعل إذا صيغ عنه فعل مضارع، فإن همزة أفعل تسقط إعلالاً بالحذف.

الكلمة	أصلها	توضيح
أُكْرم	أُأَكْرِم	تحذف العرب إحدى الهمزتين من مضارع أفعل المبدوء بالهمزة، وكذلك تحذفها مع المضارع المبدوء بغير الهمزة طرداً للباب على سنن واحد.
أُصْلح	أُأَصْلح	
نُؤْمن	نُؤَأمن	
مُكْرِم	مُؤَكْرِم	وكذلك تحذف هذه الهمزة من مشتقات أفْعل كما في مُكْرِم

حذفت الهمزة الثانية التي زيدت على الفعل. أما الأولى فقد جيء بها لغرض وهو إفادة المضارعة فأبقوها.

والأفعال المضارعة المبدوءة بغير الهمزة، أي بأحد حروف: أنيت غير الهمزة فلا يتوفّر فيها شرط حذف الحرف الزائد، إلا أنهم حذفوه بالمتابعة ليكون المضارع على نسقٍ متّحدٍ.

وتحذف كذلك هذه الهمزة مع بقية مشتقات هذا الفعل إلا فعل الأمر منه، فلا تسقط، فمن الأفعال المتقدمة تصوغ العربية الأمر: أَكْرِمْ – أَصْلِح – ببقاء الهمزة على حالها، أما بقية ما يتفرع عن هذا الفعل فتحذف منه الهمزة نحو: أَكْرَمَ – يُكرمُ – مُكْرِم – نُكْرِمُ– مُكْرَمُونَ – مُكْرَمات – مُكَرّمُونَ ...

وعن هذا الإعلال بالحذف، وهو حذف الصوت الزائد على الكلمة، أي همزة أفعل، يقول ابن جني تحت عنوان: (حملهم الشيء على حكم نظيره) مبيناً أسباب الاعتلال بالحذف للهمزة نحو: ((قولهم أنا أُكرم، فحذفوا الهمزة التي كانت في: أَكْرَمَ لئلا يلتقي همزتان؛ لأنه كان يلزم: أنا أُؤكرم، فحذفوا الثانية كراهة اجتماع همزتين.

ثم قالوا: نكرم وتكرم ويكرم فحذفوا الهمزة، وإن كانوا لو جاءوا بها لما اجتمع همزتان، ولكنهم أرادوا المماثلة، وكرهوا أن يختلف المضارع فيكون مرة بهمزة، وأخرى بغير همزة، محافظة على التجنيس في كلامهم ...))[1].

يظهر عندهم أنّ سبب حذف الهمزة من صيغة أفعل عند صياغة المضارع عنه يتوفّر مع المضارع المبدوء بالهمزة، إلا أنهم حذفوا همزة أفعل من المضارع المبدوء ببقية أحرف المضارع (ن – ي –ت) هو بالحمل على هذا المضارع المبدوء بهمزة المتكلم لكي يسير المضارع كله على نسق واحد.

أما ما ورد نادراً إبقاء الهمزة مع المضارع غير المبدوء بالهمزة، فحكمهم تجاهه واضح، وهو عدم جواز إثبات هذه الهمزة، إلا في ضرورة أو كلمة نادرة، فمن الضروري قولهم[2].:

"فإِنّهُ أهْلٌ لأَنْ يُؤَكْرَمَا[3]"

فيؤتى بمثل هذا الأصل ضرورة[4]. وعند بعضهم شذوذاً[5]. والكلمة النادرة قولهم: أرض مؤرنبة[6] على قول من يقول بزيادة همزة أرنب[7].

---

(1) ـ المنصف ج١ – ص: ١٩١ – ١٩٢.
(2) ـ قائله هو: أبو حيان الفقعسي، انظر شرح التصريح على التوضيح ج٤ – ص:٣٩٦.
(3) ـ انظر حاشية الصبان على شرح الألفية ج٤ – ص: ٤٨٣.
(4) ـ انظر المنصف ج١ – ص: ١٩٢.
(5) ـ انظر شرح التصريح على التوضيح –ج٤ – ص: ٣٩٦.
(6) ـ مؤرنبة بكسر النون، أي: أرض كثيرة الأرانب.
(7) ـ انظر حاشية الصبان ج٤ –ص: ٤٨٣.

٢- حذف فاء الكلمة:

يجري هذا الحذف في الفعل المثال الواوي إن كان ثلاثياً مجرداً وكسرت عين مضارعه، فتحذف هذه الفاء من المضارع، والأمر إعلالاً بالحذف.

الكلمة	أصلها	توضيح
يَعِد يَقِي	يَوْعِد يَوقِي	كان الفعل الماضي ثلاثياً فاؤه واو، صيغ منه مضارع مبدوء بياء مفتوحة وكسرت عينه، حينئذٍ حذفت فاؤه
عِدْ قِ	أوْعِد أوْقِي	كان الماضي ثلاثياً مجرداً فاؤه واو، صيغ منه أمر فحذفت فاؤه تبعاً للمضارع، فاستغني عن همزة الوصل، وفي الأخير، أي: قِ حذفت لامه لبناء الأمر، فصار الفعل على حرف واحد.

يلاحظ أن الواو وقعت في موقع يصعب وجودها فيه وهو الياء المفتوحة قبلها والحرف المكسور بعدها في الفعلين: يَوْعِدُ – يَوْقِي، فحذفت نظراً لوقوعها هذا الموقع، ويعرف بوقوعها بين عدوتيها.

أما مع المضارع المبدوء بأحد حروف أنيت غير الياء، فلا يتوفّر فيه شرط الحذف، ومع ذلك حذفت فاء الكلمة متابعة. وما جرى في المضارع يجري على الأمر، فلمّا حذفت فاء المضارع حذفت فاء الأمر أيضاً.

أما عن هذا الموضع وهو حذف فاء الكلمة إذا كان موضع الفاء منه واواً، وكان فعلاً على وزن فَعَل، فإنه يلزم أن يكون مضارعه على يَفْعِل، ويحذف في الأفعال المضارعة منه الواو التي هي فاء، ويكون المصدر على علة محذوف الفاء، وذلك قولك: وعد، وزن، وثب، تقول في يَفْعِل منه: يَعِد – يَزِن – يَثِب. والمصدر: عدة ــ زنة ــ ثبة. وكان الأصل فيه: يَوْعِد – يَوْزِن– يَوْثِب، و: وِعْدَة ــ وِزْنَة ــ وِثْبَة[١].

إذا كان الفعل ثلاثياً واوي الفاء مكسور العين، فإن فاءه تحذف في المضارع المبدوء بالياء، وكذلك أمره ومصدره، والمصدر[٢] بعد حذف فائه ((تحرك عينه بحركة الفاء وهي الكسرة، ليكون بقاء كسرة الفاء دليلاً، وعوضوا منها تاء التأنيث))[٣]

---

[١] - انظر المنصف ج١ – ص: ١٨٤.

[٢] - أصل المصدر يكون على فعلة إلا أنهم نقلوا حركة الفاء (الكسر) إلى العين فكانت الفاء ساكنة فلا يمكن الابتداء بساكن فحذفوا الفاء وسببه هو استثقالهم للواو المكسورة كما استثقلوا الواو الواقعة بين ياء وكسرة انظر المنصف ج١ – ص: ١٨١.

[٣] - حاشية الصبان – ج٤ – ص: ٤٧٩.

وعن سر حذفهم الواو من هذا الفعل هو اتّقاء وقوعها بين ياء وكسرة فحذفوها طلباً للخفة لوقوعها في هذه البيئة، وهو وجودها بين ياء مفتوحة وكسرة، وذلك مع المضارع المبدوء بالياء، نظراً للانتقال من كسرة إلى أخرى تتوسطهما ضمة. أما مع المبدوء بغيرها (ء – ن– ت) فلا يتوفّر فيه موجب الحذف، إلا أنهم جعلوا سائر المضارع تابعاً ليَفْعِل، أي المبدوء بالياء حتى لا يختلف المضارع في البناء. وهذه هي سنّة العرب في مخاطباتها؛ إذ ((حذفوه في قولهم: أعد ونعد وتعد، وإن لم تكن هناك ياء، لأنهم لو قالوا: أنا أوعد، وهو يعد، لاختلف المضارع، فكان يكون مرة بواو، وأخرى بلا واو، فحمل ما لا علة فيه على ما فيه علة. فهذا مذهب مطرد في كلامهم ولغاتهم، فاشٍ في محاوراتهم ومخاطباتهم أن يحملوا الشيء على حكم نظيره لقرب ما بينهما، وإن لم يكن في أحدهما ما في الآخر مما أوجب له الحكم))[1].

وأجد هناك تعليلاً غير صوتي لهذه المسألة عند المتقدمين لا سيما الفراء[2] فيرى أن الواو إنما حذفت من: يعد، ويزن؛ لأنهما متعديان، أما في نحو، وَجِل يَوْجَل و: وحل يَوْحَل، فأثبتوا الواو لما كان وَجِل يَوْجَل و: وَحِل يَوْحَل غير متعديين. لكن سرعان ما انهالت عليه الردود حينما جعل تعدي الفعل سبباً لحذف الواو في يعد ويزن، واللزوم مانعاً لهذا الحذف، فلم يسكت المتقدمون، ولم يرضهم هذا التعليل، فجاءت ردودهم من بين متعجب ومستنكر لهذا المنحى؛ إذ يقول أبو العباس؛ إن التعدي وغيره لا وجه لذكره في هذا الموضوع؛ لأنّهم قالوا: وَقَعَ يَقَعُ وَوَضَعَ في السير يضع، وقَدَتْ النارُ تَقِدُ، و وَبِلَ المطرُ يَبِلُ...ونحو ذلك فحذفوا الواو، وإن لم يكن في هذه الأفعال فعل متعد[3].

وأما يَوْحَل ويَوْجَل فلم تثبت فيه الواو من قِبَل أنه غير متعدٍ، إنما ذلك من قِبَل أنه لا كسرة بعد الواو، فتصبح الواو واقعة بينها وبين ياء المضارع فيجب حذفها.

---

(١) ـ المنصف ج١ ـص: ١٩١.
(٢) ـ انظر المصدر ج١ ـص: ١٨٨.
(٣) ـ انظر المصدر والصفحة.

٣- حذف عين الكلمة:

يجري هذا الحذف في الفعل الأجوف إذا سكنت لامه وأعلّت عين ماضيه.

الكلمة	أصلها	توضيح
صُغْتُ	صَوَغْت	تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فاجتمع ساكنان فحذف الأول
لم يصُغْ	لم يَصْوُغ	نقلت حركة العين إلى الصاد فاجتمع ساكنان فحذف الأول
صُغْ	أُصْوُغ	نقلت حركة العين إلى الصاد فاجتمع ساكنان فحذف الأول
كِلْتُ	كَيَلْتُ	تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فاجتمع ساكنان فحذف الأول
لم يَكِلْ	لم يكْيِلْ	نقلت حركة العين إلى الكاف فاجتمع ساكنان فحذف الأول
كِلْ	اِكْيِلْ	نقلت حركة العين إلى الكاف فاجتمع ساكنان فحذف الأول

يلاحظ أنّه في كلّ هذه الأفعال قد تحركت العين وهي صوت علة (واو أو ياء) أعلّت في الماضي، وكان ما قبلها صوت صحيح ساكن(إلا المثال الأول) فنقلت إلى الصحيح حركات العين لثقلها، فأصبحت العينات ساكنات، حينئذٍ اجتمع ساكنان: سكون عين الكلمة التي نقلت حركتها، وسكون لام الكلمة لاتصاله بالضمير، أو عامل الجزم، أو بناء الأمر، لذا سقطت عين الكلمة من الأفعال المذكورة كلها، فهو إعلال بالحذف لعين الكلمة. وعند المتقدمين أن ((فَعُلْتُ معتلة من: فَعَلْتُ ، وإنما حُوّلت إلى فَعُلْتُ ليغيروا حركة الفاء عن حالها لو لم تعل، فلو لم يحولها وجعلوها تعتل من قَوَلْتُ لكانت الفاء إذا هي أُلقي عليها حركة العين غير متغيرة عن حالها لو لم تعتل، فلذلك حَوّلوها إلى فَعُلْتُ فجعلت معتلة منها))[1].

ويعني ذلك أن قُلْتُ أصلها قَوَلْتُ بفتح الفاء والعين لكنها حولت إلى قَوُلت بضم العين لتتغير حركة الفاء بعد الإعلال بالنقل الذي يعقبه إعلال بالحذف، وتصبح الفاء محركة بالضم، وتكون حالها مغايرةً لحالها السابقة؛ ((لأن ما كان ثانيه حرف علة فإنه قد يعتل بالحذف كما يعتل بالتغيير، والحذف يدخله على ثلاثة أضرب منها: التقاء

[1] - الكتاب ج٤- ص: ٣٤٠.

الساكنين والتخفيف؛ أو لضرورة الإعلال ...))[1].

((وأمّا بِعْتُ فإنّها معتلة من فَعِلتُ يفْعل، ولو لم يحولوها إلى فَعِلْتُ لكان حال الفاء كما قُلتُ، وجعلوا فَعِلتُ أولى بها كما أن يُفْعَل من رميت حيث كانت حركة العين محولة من يفْعِل ويفْعُل إلى أحدهما، كان الذي من الياء أولى بها))[2].

بعد نقل الحركة إلى فاء الفعل؛ قلبت العين ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم التقى ساكنان سكون الألف عين الكلمة، وسكون لام الكلمة لاتصال الضمائر به، فحذف أول الساكنين، وهو عين الفعل.

ويرى المتقدمون أن الغاية من تغيير حركة عين هذا الفعل من فَعَلْتُ إلى فَعُلْتُ في الواوي، وفِعْلتُ في اليائي ((ليكون ذلك دلالة على حذف العين وأمارة للتصرف))[3].

ولو نطقا دون تغيير: قَلْتُ وبَعْتُ، لذُهِب بهما نحو: الفعل الجامد غير المتصرف كليس، في قولك: لستُ، ثم ليس هناك حركة غريبة تدل على العين المحذوفة.

أما الأفعال: خِفْت وهِبْتُ وطُلْت، فلم يحدث فيها تغيير يؤدي إلى النقل؛ لأن حركة العين في أصل تركيب الفعل جاءت مخالفة لحركة الفاء، فأصل خِفْتُ، خَوِفت وأصل هِبْتُ: هَيِبْتُ، وأصل طُلْت طَوُلْتُ، العين فيها متحركة، ومفتوح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ونقلت حركتها إلى الفاء قبلها.

هذا في قُلْتُ وبِعْتُ وأخواتهما، أما في غيرهما فحذف عين الفعل الأجوف يتم لمجرد التقاء العين الساكنة مع سكون اللام، ويجري كثيراً في الماضي والمضارع والأمر نحو: استقمت – لم يستقم – استقم. نقلت حركة العين إلى الساكن الصحيح قبلها فالتقت ساكنة مع سكون اللام، ثم حذفت إعلالاً بالحذف.

---

(1) - شرح المفصل لابن يعيش ج١٠ ص: ٦٨..

(2) - الكتاب ج٤ – ص: ٣٤٠.

(3) - المنصف ج١ – ص: ٢٣٤.

٤- حذف لام الكلمة:

إن حذف لام الكلمة واقع على الأفعال والأسماء معاً.

أ/ حذف لام الكلمة من الأفعال:

يجري هذا الحذف على الفعل الناقص أو اللفيف إذا أسند إلى واو الجماعة، سواء أكان ماضياً أم مضارعاً أم أمراً.

الكلمة	أصلها	توضيح
سَعَوا	سَعَيُوا	لما كان الفعل ناقصاً وأسندت إليه واو الجماعة حذفت لامه
دَعَوا	دَعَوُوا	- -
يَسعَون	يَسْعَيُونَ	- -
يَدعُون	يَدْعُوُون	- -
اسعَوْا	اسْعَيُوا	- -
أدْعُوا	أُدعُوُوا	- -

إن هذه الأفعال تشتمل على صوت علة وقد تحرك، وهو لام الكلمة وانفتح ما قبله، فقلب هذا الصوت إلى ألف، فاجتمع ساكنان: سكون الألف التي أصلها لام الكلمة وسكون واو الجماعة، فحذف الساكن الأول وهو لام الكلمة، وبقي الفعل في حالاته الثلاث دون لام، كما هو واضح في الصورة.

ب/ حذف لام الكلمة من الأسماء:

يجري هذا الحذف في المنقوص والمقصور إذا نُوِّنا ولم يكن المنقوص حالة نصب، وكذلك تحذف هذه اللام منهما إذا جمعا جمع مذكر سالماً.

الكلمة	أصلها	توضيح
هذا قاضٍ	هذا قاضيُ	اسم منقوص عند تنوينه حذفت لامه
هذا داعٍ	هذا داعو	- -
من قاضٍ	من قاضيٍ	- -
من داعٍ	من داَعِوٍ	- -
هذا مصطفًى	هذا مصطفُي	اسم مقصور عند تنوينه حذفت لامه
إلى مصطفًى	إلى مصطفي	- -
رأيت مصطفًى	رأيت مصطفياً	اسم مقصور منون حذفت لامه

يلاحظ في المجموعة الأولى (المنقوص) لما نوّنت كلماتها ولم يكن التنوين نصباً، تحرّكت لاماتها وهي أصوات علة، فحذفت عنها الحركات، فأصبحت اللامات ساكنة، واجتمع سكونها بسكون التنوين، حينئذٍ حذفت اللام عن كل واحدة منها، وبقي التنوين على عين الكلمة عوضاً عن اللام المحذوفة.

أما في المجموعة الأخيرة فقد تحركت الياء (لام الكلمة) وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فاجتمع ساكنان: سكون الألف التي أصلها لام الكلمة، وسكون التنوين فحذفت الألف وبقي التنوين.

فعن حذف لام الناقص من الأفعال إذا اتصلت بها واو الجماعة أو ياء المخاطبة تناوله سيبويه تحت عنوان: (هذا باب ما يضم من السواكن إذا حذفت بعد ألف الوصل) فيقول: ((وذلك الحرف الواو التي هي علامة الإضمار إذا كان ما قبلها مفتوحاً وذلك قوله عز وجل: ﴿ وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾[1] ورَمَوْا ابنك، واخْشَوا الله. فزعم الخليل أنهم جعلوا حركة الواو منها ليفصل بينها وبين الواو التي من نفس الحرف ...))[2].

أما عن ياء المخاطبة ((التي هي علامة الإضمار وقبلها حرف مفتوح فهي مكسورة في ألف الوصل. وذلك: اخشيِ الرجل، للمرأة؛ لأنهم لما جعلوا حركة الواو من الواو جعلوا حركة الياء من الياء، فصارت تجري ههنا كما تجري الواو ثَمَّ))[3].

ركّز سيبويه على بيان حركة الضميرين الواو والياء عندما يتصلان بالفعل الناقص ووليهما صوت ساكن، فيلتقي ساكنان سكون الضمير وسكون الحرف الذي بعده حينئذٍ يحرك الضمير بحركة من جنسه، فإن كان الضمير واواً كانت حركته الضمة وإن كان ياء كانت حركته الكسرة.

وبيان ما حدث أن تَنْسَوُا أصلها: تَنْسَيُوا ، تحركت الياء لام الفعل وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، والألف ساكنة، فالتقت مع سكون الواو، فحذفت الياء لام الكلمة، فصارت الكلمة: تَنْسَوْا وحُرّكَت الواو بالضم لالتقاء الساكنين. ومثلها تَخْشَوْا وأصلها: تَخْشَيُوا فقلبت الياء ألفاً ثم حذفت.

---

(1) - سورة البقرة آية: ٢٣٧.
(2) - الكتاب ج٤ – ص: ١٥٥- ١٥٦.
(3) - المصدر السابق والصفحة.

وعن حذف لام المقصور والمنقوص عند جمعهما جمع مذكر سالماً، أو عند تنوينهما ولم يكن المنقوص منصوباً. فإن واو تَتْسَوا مثلها مثل واو مُصْطَفَوْنَ، فإن واو مصطفَوْنَ زائدة، لحقت للجمع في الاسم المقصور، واو اخشوا وتنسوا لعلامة الجمع أيضاً، وحذفت من الاسم كما حذفت واو اخْشَوا وتَتْسَوا فتلك في الاسم وهذه في الفعل. والياء في مُصْطَفَيْنَ مثلها في اخْشَيِ ، وذلك نحو قولك: مصطفَوُا الله ومن مصطَفَيِ الله[1].

فمصطفَوْنَ اسم مقصور – وهو اسم مفعول من اصطفى – وجمع جمع مذكر سالماً فحذفت لامه، وأصله مُصْطَفَيُونَ تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فالتقت الألف ساكنة مع سكون الواو فحذف الساكن الأول، فأصبحت الكلمة مصطفَوْنَ. وعند سيبويه أن واو مصطفَوْنَ مثلها كمثل واو تتْسَوْا، كما أن حال الياء في مصطفَيْنَ حالة النصب والجر، هي كحال الياء في اخْشَيِ عند التقائهما مع ساكن بعدهما، فتحرك الواو بالضم والياء بالكسر في: مصطفى كما تحرك الواو في تنسوا والياء في اخشي.

أما عن الاسم المنقوص، فتناوله سيبويه تحت عنوان: (هذا باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهي الياءات)؛ إذ يقول ((حدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول: هذا رامي، وغازي، وعمي، أظهر في الوقف حيث صارت في موضع غير تنوين؛ لأنهم لم يضطروا هاهنا إلى مثل ما اضطروا إليه في الوصل من الاستثقال. فإذا لم يكن في موضع تنوين فإن البيان أجود في الوقف، وذلك قولك: هذا قاضي، وهذا العمي؛ لأنها ثابتة في الوصل))[2].

هذا الاسم المنقوص إذا كان منوناً حالة الضم والكسر حذفت عنه الياء؛ ((لأنه لا يلتقي ساكنان))[3] والتقاؤهما هنا يتأتى من خلال سكون الياء بعد حذف حركتها؛ الضم أو الكسر، والحذف كان بسبب ((استثقال ياء عليها كسرة بعد كسر))[4] أو ياء عليها ضمة بعد كسرة، لهذا الثقل تحذف حركتها فتصبح الياء ساكنة – وتلتقي بسكون التنوين

---

[1] - انظر الكتاب، ج٤ –ص: ١٥٦.
[2] – المصدر السابق، ج٤ –ص: ١٨٣.
[3] – المصدر السابق والصفحة.
[4] - المصدر السابق والصفحة.

مما هو مرفوض في العربية، وعند التقائهما فلا بد من حذف أحدهما، وهو الأول، أي لام الكلمة، وهي الياء، نحو: هذا قاضٍ وساعٍ وعمٍ ....

((أما حال النصب فليس إلا البيان[1]))[2]، نحو: رأيت قاضياً وساعياً وداعياً ...

ومن خلال هذا الوصف استنتج الآتي:

أ/ إن حذف الواو في نحو: وعد يعد مشروط، وهو وأن تكون الياء مفتوحة، فلا تحذف هذه الواو في نحو: يُوعِد مضارع أوعد، ولا من يُوعَد مبيناً للمفعول.

وكذلك أن تكون عين الفعل مكسورة فإن كانت مفتوحة نحو: يوجَل، لم تحذف الواو.

كذلك أن يكون الحذف في الأفعال فقط، فإن كان الحال في اسم نحو: من " يَوْمِ " لا تخذف الواو؛ لثقل الفعل عن الاسم.

ب/ فهم من تخصيص هذا الحذف بما فاؤه واو، أما ما كانت فاؤه ياء فلاحظ له في هذا الحذف إلا ما شذّ من قول بعضهم[3] في مضارع يَسَرَ : يَسِر ويَئِسَ: يَئِسُ، والصحيح يَيْسِرُ ــ يَيْئِسُ.

ج/ تعليلهم للحذف هو تعليل صوتي محض ورفضوا غيره من التعليلات التي بنيت على أسس غير صوتية حين زعم الفراء أنهم حذفوا فاء المثال الواوي من الثلاثي لتعديه، واللزوم مانع له[4]؛ وأفصحوا أن سبب حذف الواو هنا، هو وقوعها بين عدوتيها الياء والكسرة، فالواو جنس من الضمة تكويناً ونطقاً، والكسرة والياء من جنس واحد، والحال كأنها ضمة وقعت بين كسرتين فصعب نطقها في هذه البيئة فحذفت تخفيفاً. وهذا لا يتعارض مع رأي ابن جني[5] أن الحركة تحدث بعد الحرف: إذ إن ظاهر هذا الرأي يجعل أن تكون الواو بين فتحة وصامت، وليس بين ياء وكسرة. إلا أن تأكيد حدوث الحركة مع الصامت يجلي ما يتوهم أنه تعارض في المواقف فإذا كانت الصوائت تصدر مع الصوامت، فيمكن القول بوقوع الواو هنا بين ياء وكسرة.

---

[1] ـ أي حالة النصب لا تحذف لام الكلمة المنقوصة.

[2] ـ الكتاب، ج ٤، ص:١٨٣.

[3] ـ انظر الصبان ج٤ ـص: ٤٨٣.

[4] ـ انظر المنصف ج٢ ـص: ١٨٨، وكذلك ص: ١١١ من هذا البحث.

[5] ـ انظر الخصائص ج٢ ـص: ٣٢١ ــ ٣٢٧.

المبحث الرابع
وصف الإعلال بقلب صوت العلة

ذكرت[1] أن أصوات العلة كما حددها الصرفيون هي: الألف والواو والياء ثم ألحقوا بها الهمزة في مسائل الإعلال.

وأتناول تلك المواضع التي يقلب فيها صوت العلة إلى صوت علة آخر قلباً لازماً، متتبعاً في عرضها نهجاً يقوم على تقديم القاعدة التي تفسر مواضع القلب، ثم أتبع ذلك بأمثلة توضح هذه القاعدة عن طريق ذكر الكلمة المستعملة ثم أصلها، لأقف أمام الكلمتين، ومن ثَمَّ أصل إلى معرفة التغيير الذي طرأ عليها.

ومن خلال النظرة العقلية لأصوات العلة الأربعة (ا- ي – و ـ ء) وإحلال بعضها مكان بعض تكون النتيجة أن ينقلب كل صوت منها إلى الأصوات الثلاثة الأخرى، بحيث يصير القلب إلى اثني عشر موضعاً، وذلك عن طريق عملية الضرب (٤ × ٣ = ١٢)، أتطرق إليها جميعها متناولاً كل نوع منها بذكر موضع قلبه حسب ما ورد عن اللغويين المتقدمين، ذاكراً آراءهم حول هذا الموضوع، مكتفياً بما أجد فيه الإلمام أو الشمول أو الشهرة بين الصرفيين، أعرضها بحسبانها نماذج أستخلص عنها وصف الإعلال ومواضعه عند المتقدمين.

---

[1] ـ انظر ص: ١٥ من هذا البحث.

١ – قلب الواو والياء همزة:

تعرض اللغويون لموضوع قلب الواو والياء همزة وصفاً واستقراء، ومن العسير جمع تلك المقولات من خلال تلك المنصفات المتعددة والمتنوعة كيفاً وحجماً، إلا أن من خلال تتبعها يمكن حصرها في أربعة مواضع[1] هي:

أ/ أن تتطرف الواو والياء بعد ألف زائدة.

ب/ أن تقع الواو أو الياء عيناً لاسم فاعل أعلت هذه العين في فعله.

ج/ أن تقع الواو أو الياء بعد ألف مفاعل وشبهه[2] وقد كانت مدة زائدة في المفرد.

د/ أن تقع الواو أو الياء ثانية لحرف علة تتوسط بينهما ألف مفاعل.

يلاحظ أن الجامع المشترك بينها في هذه المواضع هو وقوع الواو أو الياء بعد ألف زائدة، وانفردت الواو في قلبها همزة بموضع خامس هو:

هـ/ أن تكون أولى واوين مصدرتين مع تحرك الثانية مطلقاً، أو سكونها وهي أصلية.

وهذا جدول يوضح الكلمة وأصلها.

الموضع	الكلمة	أصلها	توضيح
الأول	سماء بناء	سماو بناي	وقعت الواو في الطرف وسبقت بألف زائدة فقلبت همزة. " " " الياء "
الثاني	قائل بائع	قاول بايع	وقعت الواو عيناً لاسم فاعل أعلت في فعله فقلبت همزة " " " الياء " " " "" " " " " " " " " " " " " " " " " " "
الثالث	عجائز قصائد	عجاوز قصايد	وقعت الواو بعد ألف مفاعل وكانت مدة زائدة في المفرد فقلبت همزة " " " الياء "
الرابع	سيائد نيائف	سياود نيايف	وقعت الواو ثانياً لحرف علة توسطت بنهما ألف مفاعل فقلبت همزة " " " الياء ".
الخامس	أواصل أولى	وواصل وولى	وقعت الواو أولاً وتليت بثانية وهما في الصدارة مع تحـرك الثانيـة فقلبت الأولى همزة. وقعت الواو أولاً وتليت بثانية وهما في الصدارة مع سكون الثانية وهي أصلية فقلبت الأولى همزة

---

[1] ـ انظر كتاب سيبويه ج٤، ص: ٣٧٦، والمنصف شرح ابن جني ج١ – ص: ٢٨٠- ٣٢٦ ، والخصائص ج١- ص: ٢٥٩. وشرح المفصل لابن يعيش ، ج٩، ص:١١، و حاشية الصبان ج٤ – ص: ٣٩٩- ٤٠٧.

[2] ـ المراد بشبهه هو كل ألف جمع سبقت بحرفين وتُلِيَتْ بحرفين.

فيما يتعلق بالموضع الأول أجد سيبويه قد تناوله تحت باب كبير سمّاه:

(باب ما الهمزة فيه في موضع اللام من بنات الياء والواو). وأكّد ((أنه إذا كانت اليـاء والواو قبلهما فتحة أعتلت وقلبت ألفاً))[١] وإن كان ((الساكن الذي قبل الياء والواو ألفـاً زائدة همزت وذلك نحو: القضاء والنماء والشقاء))[٢] ونحا هذا المنحى. الإمام المازني ويذكر ((أن الواو والياء إذا وقعت قبلهما ألف زائدة ثالثـة فصـاعداً، وكانتـا حـرف الإعراب أبدلتا همزة، وجرى على الهمزة الإعراب))[٣] ويذهب سيبويه[٤] إلى أن الذي دعاهم إلى قلب الواو والياء همزة؛ لأنهم قالوا : عُتِيّ ومَغْزِيّ وعِصِيّ، فجعلـوا الـلام كأنها ليس بينها وبين العين شيء، إذ إن اللام اعتلت بالقلب من الواو إلى الياء للكسـرة التي في عين الكلمة؛ لذا جعلوها في قضاء ونحوها. كأنه ليس بين الياء فـي أخرهـا وبين فتحة العين شيء.

ويضيف ابن جني أن حقيقة الهمزة هنا ((إنما هي بدل من الألف، والألف التـي أبدلت الهمزة عنها بدل من الواو والياء ...))[٥] فالكلمات: قضاء – سـقاء– شـفاء – كساء – علاء، أصلها قضاي – سقاي – شفاي – كساو وعلاو، بدليل قولنا: "قضـيت وسقيت وشفيت وكسوت وعلوت". ويؤكد مسلك أهل النظر في هذا الموضوع أن الواو والياء هنا لم يقلبا مباشرة إلى همزة إلا أن النحويين اعتادوا على أن ((يقولوا إن الهمزة منقلبة عن ياء أو واو، ولم يقولوا من الألف؛ لأنهم تجوّزوا في ذلك، ولأن تلك الألـف التي انقلبت عنها الهمزة هي بدل من الياء أو الواو. فلما كانت بـدلاً منهمـا جـاز أن يقال: إن الهمزة منقلبة عنهما. فأما الحقيقة، فإن الهمزة بدل من الألف المبدلة عن الياء أو الواو، وهذا مذهب أهل النظرالصحيح في هذه الصناعة))[٦].

---

(١) ـ الكتاب ج٤، ص: ٣٨٣.
(٢) ـ المصدر السابق ج٤، ص: ٣٨٥.
(٣) - المنصف ج٢، ص: ١٣٧.
(٤) ـ انظر الكتاب ج٤ـ ص: ٣٨٥.
(٥) ـ سر صناعة الإعراب ج١ – ص: ٩٣.
(٦) ـ المصدر السابق ج١ – ص: ٩٤.

تعليل اللغويين لقلب الواو والياء همزة إذا تطرفتا بعد ألف زائدة:

برهن اللغويون على أن الواو والياء لم يقلبا همزة مباشرة؛ لأنه لما كانتا تقلبان ألفاً إذا كانت قبلهما فتحة[١]، فالفتحة من الألف، فإذا جاءت الألف قبلهما لم يكن من قلبهما بد، فلما وقعتا ((طرفين بعد ألف زائدة ضعفتا لتطرفهما ووقوعهما بعد الألف الزائدة المشبهة للفتحة في زيادتها، فلما قلبت الواو والياء ألفاً لتحركهما ووقوعهما بعد الفتحة نحو: عصىً ورحىً، كذلك قلبتا ألفاً أيضاً لتطرفهما وضعفهما وكون الألف زائدة قبلهما))[٢] فيصير التقدير للكلمات المتقدمة: ((قضاا وسقاا وشفاا وكساا وعلاا، فلما التقى ساكنان كرهوا حذف أحدهما فيعود الممدود مقصوراً، فحركوا الألف الآخرة لالتقائهما فانقلبت همزة))[٣] فصارت: قضاء وسقاء وشفاء وكساء وعلاء.

استخلص مما تقدم أن الواو والياء هنا قلبتا ألفاً أولاً ثم همزة ثانية، ولم تقلبا همزة مباشرة، نظراً لعدم العلاقة أو القرب بين الهمزة من جهة والياء والواو من جهة أخرى، إلا أن الواو والياء إذا سكنتا، والحركة قبلهما ليست من جنسهما لهما علاقة بالألف، لقولهم: ((إن الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما وكانتا ساكنتين فإنهما لم يخرجها من اللين كل المخرج بل فيها بقية منه))[٤].

وهنا زيادة الألف بمثابة الفتح الذي قبلهما، وهذا المعنى يؤكده ابن جني في أكثر من موضع[٥]، بقوله: إن الواو والياء اللتين تقلبان الفاً لتحركهما وانفتاح ما قبلهما، تحذف عنهما الحركة أولاً ثم تقلبان ألفاً ثانياً. فيكون التقدير في سماء وقضاء مثلاً إلى سماا وقضاا وأصلهما: سماو وقضاي ، قلبت الواو والياء ألفاً لتحركهما أصلاً وانفتاح ما قبلهما تقديراً، ولما التقت الألفان تحركت الثانية فيهما فانقلبت همزة فصار ذلك إلى سماء وقضاء، ((أفلا تعلم أن أحد ما قدرته، وهو التقاء الألفين لا قدرة لأحد النطق به)).[٦] إذ الأصول المقدرة أو المفترضه لم تكن مستعملة وذلك لتعذر النطق بها.

---

[١] - انظر الكتاب ج٤- ص: ٣٨٣.
[٢] - الخصائص ج١ –ص: ٢٥٩ وسر صناعة الإعراب ج١ –ص: ٩٤.
[٣] - سر صناعة الإعراب ج١- ص: ٩٤.
[٤] - المنصف ج٢ – ص: ٢٥٥.
[٥] - انظر الخصائص ج٢ ، ص: ٤٧١ – ٤٧٢.
[٦] - المصدر السابق ، ج١، ص: ٢٥٩.

ويدققق المتقدمون أكثر، في أن الألف التي كانت سبباً في قلب الواو والياء همزة أنها ثالثة زائدة. ويشير إلى ذلك ابن يعيش[1] أن بعض الصرفيين قد بالغ في الاحتياط ومن بينهم المازني، اشترط أن تكون الألف التي تُهْمَز الواو والياء معها زائدة ثالثة، وقوله ثالثة: احتراز من ألف زاي وآي، وغاية وطاية؛ لأن ألفاتها إن كانت زائدة، فهي لم تكن ثالثة لذلك لا وجه للقلب هنا.

كما لا يكون قلب الواو والياء همزة في نحو: دلو وظبي ونحوهما لسكون ما قبلهما وانعدام الألف الزائدة، ولو أردت القلب لغيرت البناء بتحريك الساكن وإيجاد الألف نحو: دلاء وظباء.

وعن قلب الواو والياء همزة إذا وقعت عيناً لاسم فاعل واعتلّت في الفعل تحدّث سيبويه تحت باب (ما اعتل من أسماء الأفعال المعتلة على اعتلالها) فيقول: ((اعلم أن فاعلاً منها مهموز العين، وذلك أنهم يكرهون أن يجيء على الأصل مجيء ما لا يعتل فَعَل منه، ولم يصلوا إلى الإسكان مع الألف، وكرهوا الإسكان والحذف فيه، فيلتبس بغيره، فهمزوا هذه الواو والياء إذ كانتا معتلتين وكانتا بعد الألف ... وذلك قولهم: خائف وبائع))[2].

يفهم منه أن صياغة اسم الفاعل من الثلاثي المجرد يائي العين أو واويها نحو خائف وبائع، كرهت العرب أن يجيء على أصله الذي هو: خاوف وبايع، ولم يتمكنوا من الإسكان نظراً لوجود الألف قبلهما وهي ساكنة طبيعة، ولم يتمكنوا من الحذف؛ لأنه يعمي الصيغة، أي تضيع صيغة اسم الفاعل، حينئذٍ لم يكن هناك بد من همزهما لاعتلالهما في الفعل، ولوقوعهما بعد الألف، فالهمز أخف من غيره.

ويضيف ابن جني وهو أن عين اسم الفاعل العليلة لم تقلب همزة مباشرة؛ إذ إنها انقلبت ألفاً في الفعل ((فلما جئت إلى اسم الفاعل وهو على فاعل صارت قبل عينه ألف فاعل، والعين قد انقلبت ألفاً في الماضي، فالتقى في اسم الفاعل ألفان من نحو: قام، وهذه صورتهما: قاام فلم يَجُز حذف إحداهما فيعود إلى لفظ قام، فحركت الثانية التي

---

[1] - انظر شرح المفصل ج١٠، ص: ١١١.
[2] - الكتاب ج٤، ص: ٣٤٨.

هي عين، كما حركت راء ضارب، فانقلبت همزة؛ لأن الألف إذا حركت صارت همزة...))[1].

يفهم مما تقدم أن وصف المتقدمين لقلب الواو والياء همزة في اسم الفاعل يتوقف على الأمور الآتية:

أ/ تهمزان نظراً لوقوعهما بعد الألف.

ب/ أن الهمز لم يكن مباشرةً، بل مرّ عن طريق قلبهما ألفاً أولاً، ثم جاء الهمز تالياً.

ج/ تهمز الواو والياء بناء على اعتلالهما في الفعل، لذلك أقول: عاوِر وصايد[2]، اسمي فاعل من عور وصيد. فاسم الفاعل يتابع فعله في الصحة والاعتلال، فقولي: خائف وبائع بالهمزة من خاف وباع اعتلت في الماضي، ولذلك أقول: مقاوم ومبايع لصحة الفعل قاوم وبايع.

وعن همز الياء والواو إذا وقعتا بعد ألف مفاعل وشبهه يقول ابن جني: ((إنما يهمز في الجمع حروف المد واللين التي لاحظ لها في الحركة في الواحد، نحو: ألف رسالة، وياء صحيفة وواو عجوز، إذا قلت: رسائل وصحائف وعجائز))[3]

أي أن تقع الياء والواو بعد ألف زائدة في جمع، وهي مدة زائدة في المفرد، فإن لم تكن مداً زائداً في المفرد فيمنع همزها، نحو مصائب، فإن اللغويين يبينون خطأه ناسبين إياه إلى بعض القبائل العربية[4].

وسئل سيبويه[5] عن سبب الهمزة في نحو: عجوز ورسالة وصحيفة وامتناعه في نحو: معاون ومعايش، فأجاب، أن معاون ومعايش تثبت الواو والياء هنا نظراً لقوتها بحركتها في المفرد: معوَن – معْيَش أو معْيِش، لكن الواو في عجوز، والألف في رسالة والياء في صحيفة، هي مدود ساكنة بمثابة الحروف الميتة فلم تقو. ولهذا يقول المازني: من قرأ[6] من أهل المدينة من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا

---

[1] - المنصف ج٢ – ص: ٢٨٠ – ٢٨١.

[2] - انظر الكتاب ج٤ – ص: ٣٥٦ – ٣٥٧.

[3] - المنضف ج١ –ص: ٣٠٩.

[4] - انظر المنصف ج١ – ص: ٣٠٩، وكذلك حاشية الصبان ج٤- ص: ٢٨٩،.

[5] - انظر الكتاب ج٤ – ص: ٣٥٦.

[6] - انظر الكشاف الزمخشري ج٢- ص٨٩، عن ابن عامر أنه همز على التشبيه بصحائف. ج٢ – ص: ٨٩.

مَعَــايشَ ﴾[1] معائش بالهمز فهو خطأ، فلا يلتفت إليها، وإنما أخذت عن نافع بــن أبــي نعيم، ولم يكن يدري ما العربية، وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هــذا. وقــد قالــت العرب مصائب فهمزوها وهو غلط...[2].

وتبع المازنيَ تلميذُه ابن جني[3] في باب سمّاه باب في أغلاط العــرب، فوســم ذلك بأغلاطهم ومثّل له بمصائب من مصيبة حيث شبهوها بصحيفة وصحائف ويبين أن ياء مصيبة ليست زائدة كياء صحيفة[4]. فإنها عين منقلبة عن واو وهي أصلية؛ إذ إنها مُصْوِبةِ حدث إعلال بالنقل – وهي مُفْعِلة من أصاب، كما أن أصل مقيمــة: مُقْوِمَــة، فنقلت الكسرة من العين إلى الفاء، فانقلبت الواو ياء، وجمعها القياسي مصاوب، والمفرد لها مصيبة.

ويدفع عنهم ابن جني، أن الذي استهواهم إلى همزها هو تشبيه ياء مصيبة بيــاء صحيفة، فإنها إن لم تكن زائدة، فإنها ليست بأصل واضح، إنما هي بدل مــن أصــل، والبدل ليس كالأصل تماماً فعاملوه معاملة الزائدة لذلك همزوها.

أخلص من هذا الموضوع بالانتصار للقراءة القرآنية معائش بــالهمز[5] مســتنداً على تعليل سيبويه كون مسوغ الهمز في غيرها هو أنها كالميتة؛ لانعدام الحركة عليهــا فكذلك معائش وأصلها معْيش أو معْيَش نقلت حركة الياء إلى فاء الكلمة فصــارت بعــد النقل كالميتة، ومثلها في ذلك بعد النقل هو مثل صحيفة. ثم انتصر لهــا لأنهــا قــراءة صحيحة أخذت عن نافع بن أبي نعيم[6] وهي قراءة أهل المدينة والقراءة ســنة متبعــة ثبتت بالتواتر فلا يمكننا ردها بوجه من الوجوه.

وعن الموضع الأخير من مواضع قلب الياء والواو همزة إذا وقعت إحداهما تالية لحرف لين، وتوسطت بينهما ألف الجمع (مفاعل وشبهه)، يقول سيبويه: ((إذا جَمَعْــتَ فوعلاً من قلت، همزت كما همزت فواعل من عورت وصيدت. فإذا جمعت سيداً وهو فَيْعِل وفَعْيلاً نحو: عيّن همزت، وذلك: عيّل وعيائل وخيّر وخيائر، لما اعتلت هاهنــا،

---

[1] - سورة الأعراف آية: ١٠.
[2] - انظر المنصف ج١ – ص: ٣٠٧.
[3] - انظر الخصائص ج٣ – ٢٧٧.
[4] - انظر المنصف ج١ –ص: ٣٠٩ – ٣١٠.
[5] - انظر الكشاف ج٢- ص: ٨٩.
[6] - انظر المصدر والصفحة.

فقلبت بعد حرف مزيد في موضع ألف فاعل، همزت حيث وقعت بعد ألف، وصار انقلابها ياءً نظيرة الهمزة في قائل...))[1].

يذهب سيبويه إلى أن اجتماع الواوين بينهما ألف الجمع الزائدة تلجئنا إلى همز الثانية، والهمز هنا هو نظير همز الواو، كما في: قائل؛ إذ إنه وقع بعد ألف زائدة، ومثله ما اشتمل على يائين بينهما ألف مفاعل نحو: خيائر.

وفي هذا يقول ابن جني: ((يلزمك إذا اكتنف الألف واوان، أو ياءان، أو واو وياء أن تهمز الآخرة))[2]. واوان نحو: أوائل وأصله: وواول؛ لأنه من وول. وياءان نحو: خيائر وأصله: خيایر، وهو من خيّر. ومختلفان نحو: سيائد وأصله: سیاود؛ لأنه من سيّد، وأصله سيود.

ويكون الهمز سواء أكانت اللام صحيحة نحو: سيائد وفوائد، أم كانت اللام مهموزة نحو: ((فاعل من جئت وسُؤْت، تقول فيها: سوايا وجيايا ... فلما وافقت اللام مهموزة لم يكن من قلب اللام ياء بد، فأجريت مجرى مطايا))[3] أي إن اللام مهموزة فالتقت همزتان فتقديرهما سوائِءُ وجيائِءُ لما التقت همزتان قلبت الثانية ياء لانكسار ما قبلها، فصارت: سوائِيُ وجيائِيُ، ثم قلبت الكسرة فتحة للتخفيف، فصارت: سَوائَيُ جَيَائَيُ. تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً: سواءا – جياءا. اجتمع شبه ثلاث ألفات، فقلبت الثانية ياء فصارت سوايا– جيايا[4].

ويشترط اللغويون لصحة الهمز هنا، أي إذا اكتنف الألف حرفا علة أن يكون الثاني والياً للطرف لصيقاً به، و ((إذا كان في هذا الجمع بين الياء والواو التي بعد الألف ياء تحول بينها وبين آخر الكلمة لم تهمز وذلك نحو: طواويس ونواويس، والياء نحو: سايور وسواوير))[5] فإن موجب القلب يكمن في الثقل الذي ينتج عن قرب الطرف. فإذا ما بعدت خف الثقل وهجر الهمز.

---

(1) - الكتاب ج٤ –ص: ٣٦٩.
(2) - المنصف ج٢ –ص: ٦٢.
(3) - الكتاب ج٤ –ص: ٣٧٨ – ٣٧٩.
(4) - انظر المنصف ، ج٢ ص:٤٦.
(5) - المصدر السابق ج٢ – ص: ٤٧ – ٤٨.

أما عن الموضع الخامس وهو الذي انفردت به الواو عن الياء بقلبها همـــزة إذا تصدرتا وتحركت الثانية، فإنهم يذكرون أنه لما ((قل التضعيف بالحروف الصحاح فـــي أول الكلمة امتنع في الواو لثقلها. فمن هنا وجب الهمز لو جمعت واقداً، لقلت، أواقـــد وأصله: وواقد، فهزمت الأولى لاجتماع الواوين))[١].

وسبب القلب عندهم نتج عن اجتماع مثلين أول الكلمة لا سيما وهمـــا واوان؛ إذ اجتماع المثلين ثقيل ونادر في الصحاح، وثقله في العليل من باب أولى، ومن ذلك قـــول الشاعر[٢] بعد قلب الأولى همزة:

"ضَرَبَتْ صَدْرَها إِليَّ وقالتْ * يا عَدِيًّا لقدْ وقَتْكَ الأَوَاقِي"[٣].

فالأواقي جمع واقية وأصلها وواق، جمعت على فواعل فصارت: وواقي، حينئذٍ هزمت الأولى هروباً عن اجتماع مثلين أول الكلمة، بغية التخفيف.

وما ورد في قوله تعالى: ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾[٤] صـــحت الواو لعدم تحرك الثانية وهي بدل من ألف وارى مبنياً للمجهول.

هذه المواضع التي عرضت لها تتفق في أن قلب الواو والياء همـــزة لا بـــد وأن تسبق بألف زائدة، ثم إنها قلبت ألفاً أولاً ثم همزة ثانية. فالألف تتفق مع الياء والـــواو، وتتقارب مع الهمزة؛ لذلك اعتبرت حلقة وسطى بين الياء والواو من جهة، وبين الهمزة من جهة أخرى.

---

[١] - المنصف ج١ –ص: ٢١٧.

[٢] - هو عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة من بني جشم من تغلب، راجع الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج البصري، ص: ٥٨٥.

[٣] - البيت في الحماسة: ضربت نحرها إليّ وقالت بخلاف رواية ابن جني في المنصف، ج١، ص:٢١٨.

[٤] - سورة الأعراف آية ٢٠.

٢- قلب الواو والياء ألفاً:

تقلب الواو والياء ألفاً إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما فتحاً أصلياً أم عارضاً فإنهما تقلبان ألفاً وهناك شروط لهذا القلب تتلخص في الآتي[١]:

ا/ أن يتحركا في الأصل وفي الحال إذا كانتا فيما هو الأصل في الإعلال نحو: قال باع.

ب/ أن تكون حركتهما أصلية، فإذا عرضت فلا يعلان: نحو: جَيَل -تَوَم مخففي جَيْأَل وتَوْأَم بحذف الهمزة.

ج/ أن يفتح ما قبلهما ولو على سبيل العروض كما في: أقام وأبان.

د/ أن تكون الفتحة متصلة بهما وفي كلمتيهما، فلا يعل نحو: قَاوَم و بَايَع للفصل بالألف، ولا يعل نحو: إن أحمدَ وَجَدَ يَزيد، لوقوع الفتح في كلمة والواو أو الياء في كلمة أخرى.

هـ/ أن يتحرك ما بعدهما إن كانتا عينين، فلا يعل نحو: بيان – طويل.

و/ ألا يليهما ألف ولا ياء مشددة ولا نون توكيد إن كانتا لامين، فلا يعل نحو: رمَيَا – علَوِيّ – ارْضَيَنّ ؛ لالتباس المعنى.

ز/ ألا تكون إحداهما عيناً لفَعِل بكسر العين الذي الوصف منه على أفْعَل نحو: سَوِد وعَوِر فهو: أسْوَد وأعْوَر.

ح/ ألا تكون إحداهما عيناً لمصدر فَعِل الذي الوصف منه على أفْعَل، فلا يعل نحو: العَوَر والهَيَف.

ط/ ألا تكون إحداهما متبوعة بحرف يستحق الإعلال، فإذا اجتمع حرفا علة كل منهما متحرك مفتوح ما قبله أعل الثاني دون الأول .

ي/ ألا تكون إحداهما عيناً لما آخره زيادة تختص بالأسماء كالألف والنون، وألف التأنيث المقصورة، نحو: جولان – سيلان – صورى – صَيدَى .

س/ ألا تكون الواو عيناً لافتعل الدال على معنى التفاعل، فإن وقعت كذلك وجب تصحيحها حملاً لافتعل على تفاعل لأنه بمعناه نحو: اجْتَوَرُوا – اشْتَوَرُوا بمعنى تجاوروا وتشاورا، حُمل الذي فيه علةٌ على الذي ليس فيه علةٌ .

---

[١] – انظر الخصائص، ج١، ص:١٤٧، و شرح المفصل لابن العيش ج١٠ ص:١٧ وما بعدها.

أما إذا كانت عيناً لافتعل الذي لا يدل على التفاعل فإنها تعلّ ؛ لعدم ما يحمل عليه في التصحيح، نحو: اجتاز واشتاق، وأصلهما اجتوز واشتوق.

هذه هي شروط قلب الواو والياء ألفاً، وهذا جدول يشتمل على بعض الأمثلة:

الكلمة	أصلها	توضيح
بان	بَيَنَ	تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً
أبان	أبْيَنَ	تحركت الياء بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب الحال فقلبت ألفاً
استبان	استَبْيَنَ	.....
قام	قَوَم	تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً
أقام	أقْوَم	تحركت الواو بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب الحال فقلبت ألفاً
استقام	استقْوَم	.....

يجمل ابن جني قاعدة قلب الواو والياء همزة، سواء أكانت عيناً أم لاماً، من خلال عرض بعض الأمثلة في نحو: ((باع، وسار، وهاب، وحار، وقام، وصاغ، وخاف، ونام، وطال، لقولك: البَيْع، والسَيْر، والهَيْبة، والحِيرة، وقَوْمة، وصَوْغة، وخوف، ونوم، وطويل، ومن ذلك: رمى وسعى وودعا، وعدا، لقولك: الرمْيُ والسعْيُ والعَدْو والدَعْوُ، فهذا حكم الياء والواو متى تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفاً))[1]

يبين أن الواو والياء تقلبان ألفاً إذا تحركتا بأيّ حركة، وسواء أكانتا في موضع عين الكلمة أم لامها، وعلى هذا نقيس، ((إلا أن يضطر أمر إلى ترك قلبهما، وذلك نحو: قولك للاثنين: قضيا، ورميا، وخلوا، ودعوا، وإنما صحتا هنا ولم تقلبا ألفاً ؛ لأنهم لو قلبوهما ألفاً وبعدها ألف تثنية الضمير لوجب أن تحذف إحداهما لالتقاء الساكنين فيزول لفظ التثنية، ويلتبس الاثنان بالواحد))[2] ويحترز ابن جني أن القاعدة ليست على إطلاقها، بل هناك ضوابط، إذ يقول ((سأضع في ذلك رسماً يقتاس فينتفع به بإذن الله ومشيئته، وذلك أن تقول في علة قلب الواو والياء ألفاً، إنهما متى تحركتا حركة لازمة، وانفتح ما قبلهما، وعريَ الموضعُ من اللَّبس، أو أن يكون في معنى ما لا بُد من صحة

---

[1] - سر صناعة الإعراب: ج٢، ص: ٦٦٧.

[2] - المصدر السابق والصفحة.

الواو والياء فيه، أو أن يخرج على الصحة منبهة على أصل بابه، فإنهما يقلبان ألفاً. ألا ترى أنك إذا احتطت في وصف العلة بما ذكرناه سقط عنك الاعتراض عليك بصحة الواو والياء في: حَوَبة[1] وجَيَل[2]، إذ كانت الحركة فيهما عارضة غير لازمة))[3]

أما عن تفسير ظاهرة قلب الواو والياء ألفاً في نحو: قام وخاف، فيرون[4] أن الأصل قوم وخَوف، لما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة وهي:

ـ الفتحة قبل الواو والياء

ـ حركة الواو أوالياء

ـ الواو والياء نفساهما

كره هذا الاجتماع، لأمثال متقاربة، فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة وهو الألف[5].

وسوغ وجود الألف انفتاح ما قبلها، هذه هي علة قلب الواو والياء ألفاً.

ويتطرق ابن جني في هذا الصدد إلى موضوع مهم، وهو أن عملية قلب الواو والياء ألفاً لم تتم مباشرة بل هناك تسكين للواو أو الياء تمهيداً لقلبهما ألفاً، فيذهب إلى أن أصل قام: قَوَم ، أبدلت الواو ألفاً وكذلك باع: بَيَع، ثم ((أبدلت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وهو لعمري كذلك – إلا أنك لم تقلب واحداً من الحرفين إلا بعد أن أسكنته استثقالاً لحركته، فصار إلى: قوْم وبيْع، ثم انقلبا لتحركهما في الأصل وانفتاح ما قبلهما الآن، ففارقا بذلك باب ثوب وشيخ؛ لأن هذين ساكنا العينين، ولم يسكنا عن حركة)) [6].

إن ابن جني قد فطن إلى البعد الواقع بين الألف والياء من جهةٍ والألف من جهةٍ آخرى فعملية تسكين الواو أو الياء أولاً ممهدة ومقربة نسبياً للواو والياء من الألف.

---

(1) ـ أصلها: حوأبة وهي موضع بين مكة والبصرة، نقلت حركة الهمزة إلى الواو ثم حذفت، فصارت: حوبة.

(2) ـ أصلها: جَيْأل، وهو الضخم من كل شيء، نقلت حركة الهمزة إلى الياء ثم حذفت فصارت: جَيَل.

(3) – الخصائص ج١ ص١٤٧.

(4) - انظر سر صناعة الإعراب ج١ – ص: ٢٢.

(5) ـ انظر شرح المفصل ج١٠ ص:١٦.

(6) ـ الخصائص ج٢ ـ ص: ٤٧١ـ ٤٧٢.

٣- قلب الواو ياء:

تقلب الواو ياء في العربية في كثير من المواضع[١] لظروف مختلفة، ويلاحظ أن القاسم المشترك بينها في هذه المواقع المتعددة هو وقوع الواو بعد كسر، أو أن تلتقي الواو مع الياء في كلمة واحدة وسبْق أحدهما بالسكون، فتقلب الواو ياء وتدغم الياء في الياء، وهذان قسمان يتمثلان في نحو:

الكلمة	أصلها	توضيح
ميزان	مِوْازن	وقعت الواو ساكنة بعد كسر فقلبت ياء.
قوي	قَوِو	تطرفت الواو بعد كسر فقلبت ياء.
صيام	صِوَام	وقعت الواو عيناً لمصدر فعل أعتلت فيه، وقبلها كسرة وبعدها ألف فقلبت ياء.
ديار	دِوَار	وقعت الواو عيناً لجمع صحيح اللام، وقبلها كسرة وهي في المفرد معلة، فقلبت ياء.
ثياب	ثِوَاب	وقعت الواو عيناً لجمع صحيح اللام وقبلها كسرة، فقلبت ياء.
سيّد	سَيْوِد	اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.

عن القسم الأول وهو وقوع الواو بعد كسر يصف ابن جني ((أن كل واو سكنت غير مدغمة وانكسر ما قبلها قلبت ياء، وذلك نحو: ميقات، وميزان، وميعاد، أصل ذلك: مِوْقات – مِوْزان – مِوْعاد، فلما سكنت الواو غير مدغمة وانكسر ما قبلها، قلبت ياء ...))[٢]. أما المدغمة في نحو: قِوّام فلا قلب فيها وكذلك اجلِوّاذ.

لما وقعت الواو ساكنة مسبوقة بكسر لا مناص من قلبها إلى ياء توافقاً وانسجاماً، إذا الكسرة لا يناسبها إلا الياء، كذلك عندما تقع متطرفة تطرفاً حقيقياً نحو: قَوِي – رَضِي – أم تطرفاً حكمياً، كأن تقع بعدها هاء التأنيث، أو الألف والنون، نحو: شَجِيّة – راضية – غَزَيان – شَجَيان.

أما صيام وقيام وديار وثياب، عندما تكون الواو عيناً لمصدر – فتقلب ياء، وأصل تلك الكلمات: صِوَام – قِوَام – دِوَار – ثِوَاب، قلبت ياء لأشياء خمسة اجتمعت حول كل كلمة منها فزادتها ثقلاً، وهي:

- أن الكلمة جمع والجمع أثقل من الواحد.

---

[١] - ذكر الصرفيون عشرة مواضع لقلب الواو ياء . انظر شرح المفصل لابن يعيش ج١٠- ص: ٢١-٢٣.
[٢] - سر صناعة الإعراب ج٢ – ص: ٧٣٢- ٧٣٣.

- أن واو الواحد منها ضعيفة ساكنة في صَوْم وقَوْم ودَوْر وثَوْب.
- إن ما قبل الواو كسرة؛ لأن الأصل: صِوَام – قِوَام – دِوَار – ثِواب
- أن بعد الواو ألف، والألف قريبة الشبه بالياء.
- أن اللام صحيحة وهي في الكلمات المتقدمة ميم وراء وباء.

هذه النقاط بمثابة أسباب وشروط في آن واحد لصحة قلب الواو ياء في مثل هذه الكلمات، إذ إنه ((متى لم تذكر هذه الأسباب كلها، وأخللت ببعضها انكسر القول، ولم تجد هناك علة))[1] لقلب الواو ياء، فَصِيام مصدر لما كانت عينه واواً واقعة بعد كسرة وبعدها ألف قلبت ياء، واعتمادا على هذه القاعدة عدت: نِوَار من الكلمات الشاذة، ومثل هذا المصدر تماماً إذا كانت الواو عيناً لجمع صحيح اللام وقلبها كسرة نحو: رياح[2] – ديار – نيار – قيم – حياض، ومفردها: ريح – دار – نار – قيمة – حوض وأصل جمعها: رواح – دوار – نوار – قوم – حواض، وقعت الواو في كل عيناً لجمع صحيح اللام قبلها كسرة وبعدها ألف في أغلبها، فقبلت ياء.

وأما عن القسم الثاني فهو ((أن الواو متى وقعت قبلها الياء الساكنة، قلبت الواو ياء، وكذلك إذا وقعت ساكنة قبل الياء، فالأول نحو: سيّد وميّت، والثاني نحو ليّة وطيّة))[3]

إنه بمجرد التقاء وسبق أحدهما الآخر ساكناً، تقلب الواو ياء فلا يشترط لأحدهما السبق في الموضع أو التأخير فيه، لذلك يقول سيبويه: فالأول، أي الذي سبقت الياء فيه الواو: سيّد وميّت، وأصلهما: سيود وميوت، والثاني أي الذي سبقت الواو فيه الياء: ليّة وطيّة وأصلهما: لوية وطوية.

ويعلل المتقدمون لهذا القلب بكره العرب لهذا الثقل الناشئ عن اجتماع الواو والياء في ميزان وسيّد وما شاكلهما ، ففي: ميزان كسرة بعدها واو، والكسرة من جنس الياء، وفي سيّد: اجتماع ياء بعدها واو، والنطق العربي يكره ((الضمة بعد الكسرة حتى إنه ليس في الكلام أن يكسر أوّل الحرف، ويضم الثاني نحو: فِعُل....))[4] ولا يكون

---

[1] - سر صناعة الإعراب ج٢، ص: ٧٣٣.
[2] - انظر ص: ٢٢٤ من هذا البحث.
[3] - الكتاب ج٤، ص: ٣٣٥.
[4] - الكتاب ج٤، ص: ٣٣٥.

هذا التتابع شائعاً في غير الأول أيضاً من بناء الثلاثي إلا ما يصادفنا في الأواخر بسبب الإعراب، نحو: فَخِذ وكَتِف وما شابهها.

ويذهب سيبويه[1] أن ترك الواو في: موازن وعدم المساس بها، بقلبها ياء أثقل في النطق؛ لسكونها وعدم وجود حاجز يفصلها عن الكسرة؛ إذ الواو تقوى إذا كانت محركة، وتضعف بسكونها فإذا قلت مثلاً: وَتِد، قويت الواو بحركتها وسلمت، فإذا صارت ساكنة لا وجه إلا الإدغام ؛ لأنه ليس بينهما حاجز. لذلك كان العمل فيهما وتسييرهما إلى وجه واحد بدنو الحرف من الحرف وهو قلب الواو الساكنة من جنس الحركة التي قبلها أخف عليهم.

[1] – انظر الكتاب ج٤، ص:٣٣٥.

٤- قلب الياء واواً:

ذكر الصرفيون أربعة مواضع لقلب الياء واواً وهي[١]:

أ/ أن تقع الياء ساكنة مفردة بعد ضم في غير جمع[٢] نحو: موقن – موسر.

ب/ أن تقع الياء بعد ضمة وهي لام فعل[٣]، نحو: قَضُو.

ج/ أن تقع الياء عيناً لِفُعْلَى اسماً، نحو: طُوبى (مصدر طاب) ،أما إن كانت الياء عيناً لفُعْلى صفة جاز فيها وجهان عند ابن مالك[٤]، نحو: طوبى، كوسى، خورى، صفات المؤنث بقلب الياء واواً، والثاني قلب الضمة كسرة، فتقول: طِيبَى، كِيسَى، خِيرَى.

د/ أن تقع الياء لاماً لفَعْلَى (بفتح الفاء) اسماً لا صفة[٥] نحو: تقوى – فتوى، وهذا جدول يوضح المواضع الأربعة:

الكلمة	أصلها	توضيح
موسِر	مُيْسِير	وقعت الياء ساكنة مفردة في غير جمع قلبت واواً
قَضُو	قَضُيَ	وقعت الياء بعد ضمة وهي لام فعل، قلبت واواً
طُوبَى	طُيْبَى	وقعت الياء عيناً لفعلى اسما، فقلبت واواً
فَتْوَى	فَتْيَى	وقعت الياء لاماً لفعلى اسما فقلبت واواً

ومن الشواهد في ذلك قوله تعالى:

﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٨].

---

[١] – انظر شرح المفصل ج١٠، ص:٢١-٢٢

[٢] - مفردة، أي غير مدغمة، فالمدغمة نحو: حُيّض، تحصنت بالإدغام من قلبها واوا. وفي غير جمع، أما الجمع في نحو: هِيُم، وأصله: هُيُم، بضم الهاء؛ لأنه نظير حُمُر جمع أحمر، فخفف بإبدال ضمة فائه كسرة لتصح الياء، وإنما لم تبدل ياؤه واوا كما في المفرد؛ لأن الجمع أثقل من المفرد، والواو أثقل من الياء، فكأن يجتمع ثقيلان. انظر حاشية الصبان، ج٤، ص:٤٣٠.

[٣] - لم يجئ مثل هذا في فعل متصرف إلا ما ندر من نحو قولهم: نَهُوَ الرجلُ فهو نهي. حاشية الصبان، ج٤، ص: ٤٣٣.

[٤] - انظر الصبان ج٤ – ص: ٤٣٦ – ٤٣٧.

[٥] - تقول في الصفات: صديا – خزيا – فلا تقلب. انظر الكتاب ج٤ –ص: ٣٦٤..

[٦] - سورة الجاثية آية: ٢٠.

[٧] - سورة الرعد آية: ٢٩.

[٨] - سورة الحج آية: ٣٢.

الشاهد في الآية الأولى: يوقنون وأصله: يُيْقنون، قلبت الياء واواً، وفي الثانية: طوبى، وفي الثالثة تقوى وأصلهما: طُيْبَى، وتَقْيَى.

تناول هذا الموضوع سيبويه تحت عنوان: هذا باب ما تقلب فيه الياء واواً، وتحدث أولاً عن ((فُعلى إذا كانت اسما. وذلك الطوبى والكوسى ... فأجريت مجرى الأسماء التي لا تكون وصفاً))[١].

أما إذا كانت فُعْلى صفة فلا تقلب الواو ياء عند سيبويه وذلك مثل قولهم: امرأه حيكى، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [٢].فلم تقلب الياء واواً، ولكن قلبت الضمة كسرة في الفاء، بخلاف ما ذهب إليه متأخراً ابن مالك بجواز الأمرين[٣]. كما تقدم.

يظهر من خلال عرض المتقدمين أن القلب هنا جاء للتفريق ما بين الاسم والصفة[٤]، فإن كان اللفظ المشتمل على الواو اسماً قلبت ياء، وإن كان عكس ذلك فلا يتم القلب، وهذا ما جعل ابن جني يستنكر قلب الواو ياءً إذا كانت لاماً لفَعْلى (بفتح الفاء) اسماً وعدم القلب لفَعْلى إذا كانت صفة، فيحكم على هذا التعليل والتفسير بالضعيف، وعدم الاستحكام، وذلك حين حديثه عن: الفَتْوى والتَقْوَى والبَقْوَى والشَرْوَى ... فقال: ((ألا ترى أنهم قلبوا الياء ههنا واواً من غير استحكام علة أكثر من أنهم أرادوا الفرق بين الاسم والصفة وهذه ليست علة معتدة ...))[٥]

وتعتبر هذه المسألة عند سيبويه من المسلمات؛ إذ يقيس على قلب فَعْلى اسماً لا صفة، نظيرها فُعلى اسماً لا صفة بقوله: وفرّقوا بين الاسم والصفة في فُعْلى بناء على تفريقهم بين فَعْلى اسماً، وبين فَعْلى صفة، في بنات الياء التي الياء فيهن لام[٦] إلا أن ابن جني يعتبره من باب الاستحسان لقوله: ((لسنا ندفع أن يكونوا قد فصلوا بين الاسم والصفة في أشياء غير هذا، إلا أن جميع ذلك إنما هو استحسان لا عن ضرورة علة))[٧].

---

[١] - الكتاب ج٤، ص: ٣٦٤.
[٢] - سورة النجم آية ٢٢ .
[٣] - انظر الصبان ج٤، ص: ٤٣٦ – ٣٤٧.
[٤] - انظر الكتاب ج ٤، ص: ٣٦٤.
[٥] - الخصائص ج١، ص: ١٣٣.
[٦] - انظر الكتاب ج٤، ص: ٣٦٤.
[٧] - الخصائص ج١، ص: ١٣٣ – ١٣٤.

أما في ما سكنت ياؤه فيرى ابن جني أن وجوب قلبها واواً ينبني على ضعفها وعدم تمكنها من الثبات أمام الضمة؛ ((لأنها لما سكنت ضعفت، فقويت الضمة قبلها على قلبها كما انقلبت في ميزان الواو ياء لانكسار ما قبلها، وضعفها بالسكون))[1].

فالياء إذا تحركت جرت على أصلها وثبتت كما في: مُيَيْقن لما كانت الياء محركة فلم يعتريها الإبدال رغم وجود الضمة قبلها ومثل ذلك: حِوَل – طِوَل سلمت الواو من القلب إلى الياء وإن انكسر ما قبلها؛ لأن الحركة في الحرف تقويه والسكون يضعفه.

---

[1] ـ المنصف ج١، ص: ٢٢١.

٥- قلب الألف ياءً وواواً وهمزة:

أ/ قلب الألف ياءً.

تقلب الألف ياءً في موضعين [١] لدى الصرفيين، هما: وقوعها بعد كسر، أو بعد ياء التصغير ويمكن جمع الموضعين في القول إذا وقعت الألف بعد كسر تقلب ياء. نجو:

الكلمة	أصلها	توضيح
مفاتيح	مفاتـــ اح من مفتاح	وقعت الألف تالية لكسرٍ فقلبت ياء
مصابيح	مصا بـــ اح من مصباح	" " " " " " " " " " " " " " " " " " " "
غُليّم	غلي ام من غلام	وقعت الألف تالية لياء التصغير فقلبت ياء
كُتيّب	كتي اب من كتاب	"" " " " " " " " " " " " " " " " " " "

وقعت الألف في المثالين الأولين بعد كسرة، وفي الأخيرين بعد ياء فقلبتا ياءين، ويجمل هذا ابن جني في قوله: ((كل ألف انكسر ما قبلها أو وقعت قبلها ياء التحقير ...))[٢] قلبت ياء؛ إذ الألف صوت ساكن وهو مد بطبيعة الحال، يشترط أن يكون ما قبله حركة من جنسه، فإذا ما كانت مغايرة له تحول إلى صوت آخر موافق لها، وفي التصغير إن لم يكن ما قبل الألف متحركاً، فما قبله هو ياء التصغير ساكنة، وهي من جنس الكسرة فاعتبرت كسرة. وإذا انكسر ما قبل الألف قلبت ياء، لاستحالة بقائها بعد الكسرة فقلبت إلى ما يجانس الكسرة[٣] ثم إن ياء التصغير ساكنة توجب تحريك ما بعدها، فقلبت الألف ياء، واختيرت الياء لمناسبة ما قبلها. ولو قلبت واواً للزم بعد ذلك قلبها ياء كما في سيّد، وميّت.

---

[١] - انظر سر صناعة الإعراب ج٢، ص: ٧٣١ – ٧٣٢. وكذلك ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ج١- ص: ١٣٦.

[٢] - سر صناعة الإعراب ج٢، ص: ٧٣١- ٧٣٢.

[٣] - انظر ارتشاف الضرب من لسان العرب ج١ – ص: ١٣٦.

ب/ قلب الألف واواً: تقلب الألف واواً في موضعين(٤) هما:

أن يعرض انضمام ماقبلها وهي في فعل عند بنائه للمجهول، أو هي في اسم عند تصغيره، وكذلك الألف الثانية الزائدة في موازن فاعل وفاعلة عند جمعه الجمع الأقصى نحو:

الكلمة	أصلها	توضيح
حُوكِم	حاكم	عرضت الضمة على صيغة بناء المجهول فقلبت الألف واواً
كُوَيْتِب	كاتب	عرضت الضمة على صيغة كاتب عند تصغيره فقلبت الألف واواً
خَواتِم	خاتم	ميزان فاعل من خاتم جمع جمعاً أقصى فقلبت ألفه واواً
كَواتِب	كاتب	" " " " " " كاتب " " " " " " " " "" " "" " " " " "" " " "

يتضح من عرض المتقدمين لموضوع قلب الألف واواً أنهم يقصدون الألف الأصلية(١) غير المنقلبة، والتي لها أصل قلبت منه(٢) والزائدة(٣) فإنها ((ثلاثة أضرب: أحدها أن تبدل الواو من الألف، والألف أصل، والآخر إبدالها منها وهي بدل، والثالثة إبدالها منها وهي زائدة))(٤).

أما قلب الألف الثانية الزائدة في موازين فاعل وفاعلة نحو: ضارب وخاتم ((فمتى أردت تحقير شيء من ذلك أو تكسيره قلبت ألفه واواً، وذلك نحو: ضُوَيْرِب وخُوَيْتِم ... وكذلك ضَوَارب وخَوَاتِم))(٥).

الألف لا تكون أصلاً أبداً وإنما هي زائدة أو بدل في الأسماء المعربة، والأفعال المتصرفة، فأما في غيرهما من الحروف والأسماء المبنية فالألف أصل فيهن، لأنه استُقْرِيَ(٦) جميع الأسماء والأفعال، أو جمهورها فلم يجد الألف فيها إلا كذلك، فقضى

---

(٤) - انظر سر صناعة الإعراب ج٢، ص: ٥٨١.

(١) - قلب الألف واواً والألف أصل (فقولك في تثنية إلى ولدى اسمي رجلين ألوان ولدوان .)

(٢) - قلب الألف واواً والألف مبدلة عن حرف آخر نحو : قولك في الإضافة إلى نحو: عصا وقطا وقنا : عصوي وقطوي وقنوي، فالألف في عصوي بدل من ألف عصا، والألف في عصا بدل من الواو في : عصوين.

(٣) - قلبت الألف واواً والألف زائدة (وذلك نحو: ضارب وخاتم ... فمتى أردت تحقير شئ من ذلك أو تكسيره، قلبت ألفه واواً وذلك نحو: ضويرب وخويتم)

(٤) - سر صناعة الإعراب ج٢، ص: ٥٧٦.

(٥) – المصدر السابق، ج٢، ص: ٥٨٠.

(٦) - انظر المنصف ج١، ص: ١١٨.

ابن جني لها بهذا الحكم. فضلاً عن أنها ساكنة دائماً، ولا بد أن تسبقها حركة مجانسة لها حتى تستقر، نحو: رسالة وبيان، فإن سبقتها ضمة قلبت الألف واواً، أو كسرة قلبت ياءً.

وقد تكون في موضع يجب تحريكه، فتقلب واواً نحو: كَوَاتِب جمع كاتب، أو ياء نحو: مُصْطَفَيَانِ في تثنية مُصْطَفَى – فلا بقاء لها إلا بسكونها وفتح ما قبلها، وإلا قلبت إلى حرف آخر.

ج/ قلب الألف همزة:

تقلب الألف همزة في موضعين هما[1]:

- أن تتطرف الألف بعد ألف زائدة.
- أن تقع الألف بعد ألف مفاعل، وقد كانت مدة زائدة في الواحد

الكلمة	أصلها	توضيح
حمراء	حمرااُ	تطرفت الألف بعد ألف زائدة فقلبت همزة
صحراء	صحرااُ	.....
رسائِل	رسااِل	وقعت الألف بعد ألف مفاعل وهي في المفرد مدة زائدة
عمائِم	عماِم	.....

تحدث الصرفيون عن موضوع قلب الألف همزة وهو نوعان: أولاً قلب لازم وينحصر في النقطتين اللتين ذكرتهما، وهذا النوع شائع في كتبهم واطردت أمثلته وشواهده، ونظرتهم أن ((الهمزة في صحراء وبابها إنما هي بدل من ألف التأنيث كالتي في نحو: حُبلى وسَكرى ... إلا أنها في حمراء وصحراء ... وقعت الألف بعد ألف قبلها زائدة))[2] فاجتمع في نهاية الكلمة ألفان زائدتان.

وفيما يتعلق بالموضع الثاني من قلب الألف همزة إذا وقعت بعد ألف الجمع في نحو: رسائل، جمع رسالة، فتم هذا الإعلال باطراد هروباً من التقاء الساكنين، ألف

---

[1] - انظر سر صناعة الإعراب، ج١، ص: ٨٣، و شرح المفصل، ج١٠، ص:٩.
[2] - سر صناعة الإعراب ج١، ص: ٨٣.

الجمع، وألف رسالة الزائدة، فقلبت الثانية همزة، لأن الألف تعذر نطقها بحركة، فهي لا تقبلها، وإذا حركت أصبحت همزة. وكانت حركتها الكسرة وذلك على الأصل عند التقاء الساكنين.

ثانياً قلب غير لازم، يتحدث عنه شارح الشافية[١] أنه يتم عند اجتماع الساكنين اللذين يكون الساكن الثاني فيهما مدغماً، والأول ألف، نحو دابّة وشابّة، وفي اللسان أنشد الراجز:

"يا عجباً لقدْ رَأَيْتُ عَجَباً * حِمار قبّان[٢] يسوقُ أرنباً

خاطِمَها زَأمّها أنْ تَذْهبا * فَقُلتُ أردفيني فَقَالَ مَرْحَبَا"[٣]

في البيت قلب للألف همزة، قلباً غير لازم نتج عن اجتماع الساكنين، سكون الألف، وسكون الحرف الذي بعدها مدغم فيما بعده أيضاً "زأمّها" وعندما يلتقي ساكنان يحرك الثاني عند إرادة التخفيف، وهنا يترتب عليه فك الإدغام ، فلم يكن هناك بدّ من الالتجاء إلى الساكن الأول الذي هو الألف، وعندما تتحرك الألف تؤول إلى الهمزة كما تقدم، و((إن كان للألف أصل متحرك بحركة حركت الهمزة بتلك الحركة))[٤] فقطعت الألف، الساكن الأول – فأصبحت همزة دون تحريك.

وسئل المازني عن إمكان القياس على هذا، فرفضه، وبين عدم قبوله[٥]. وتحدث بعضهم[٦] عن قلب الألف همزة إن لم يكن بعدها ساكن مبيناً قلّته، وعدم القياس عليه كهمز كلمة العالم والخاتم في قولهم: العألم والخأتم.

---

[١] - رضى الدين الأستراباذي ج٢ – ص: ٢٤٨ – ٢٤٩-.

[٢] - حمار قبان: دويبة مستديرة كأن ظهرها قبة ولها ستة أرجل.

[٣] - انظر مادة قبب من لسان العرب – ج١ – ص: ٦٥٩. لم يذكر قائلهما .

[٤] - سر صناعة الإعراب ج١ – ص: ٩١. وشرح شافية ابن الحاجب ج٢ – ص: ٢٤٩.

[٥] - انظر شرح شافية ابن الحاجب ج٢ – ص: ٢٤٢

[٦] - انظر الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي ج١ – ص: ٣٤٢..

٦- قلب الهمزة ألفاً وياء وواواً:

أ/ قلب الهمزة ألفاً:

تقلب الهمزة ألفاً في موضعين[١] أحدهما لابد من قلبها فيه، والثاني للقلب منه بد، نحو:

الكلمة	أصلها	توضيح
آمن	أأمن	وقعت الهمزة ساكنة بعد همزة مفتوحة فقلبت ألفاً
آوى	أأوى	.....
راس	رأس	وقعت الهمزة ساكنة بعد فتح أريد تخفيفها فقلبت ألفاً
قرات	قرأت	.....

عن الموضع الأول يذكر الصرفيون ((أما ما لا بد منه فأن تلتقي همزتان الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، فلا بد من إبدال الثانية ألفاً، وذلك نحو: آدم وآخر وآمن وآوى))[٢]

أما عن الموضع الثاني الذي للقلب منه بدّ ، فهو قلبها عند إرادة التخفيف، فمتى ((كانت الهمزة ساكنة مفتوحاً ما قبلها غير طرف، وأريد تخفيفها أو تحويلها أبدلت الهمزة ألفاً أصلاً [٣]كانت أو زائدة[٤]))[٥] ومنه نحو: رأس ويأس وفأل[٦] يخفف إلى: راس وياس وفال ... فيمكن تحقيق الهمزة ويمكن قلبها ألفاً تخفيفاً.

ب/ قلب الهمزة ياء:

تقلب الهمزة ياء في موضعين هما[٧]:

أ- أن تقع الهمزة ساكنة مسبوقة بهمزة أخرى مكسورة

ب- أن تقع الهمزة بعد ألف مفاعل وهي عارضة، واللام ياء أو واو أو همزة، وذلك في الجدول التالي:

---

[١] – انظر سر صناعة الإعراب، ج٢، ص:٦٦٥.
[٢] - سر صناعة الإعراب ج٢ –ص: ٦٦٥.
[٣] - قلبها وهي أصل نحو: راس من رأس
[٤] - قلبها همزة وهي زائدة نحو: شأمل فقالوا: شامل واحبنطأت قالوا: احبنطات
[٥] - الكتاب ج٣ – ص: ٤٤. وكذلك سر صناعة الإعراب ج٢ –ص: ٦٦٤.
[٦] - الفأل عرق في الفخذ ينحدر نحو الرجل.
[٧] – انظر الكتاب، ج٣، ص:٥٤٤، و سر الصناعة ج٢، ص: ٦٦٥، وكذلك: شرح المفصل، ج١٠، ص:٢٢.

الكلمة	أصلها	توضيح
إيثار	إئثار	وقعت الهمزة ساكنة بعد همزة مكسورة، فقلبت ياء
إيمان	إئمان	.....
قضايا	قضاييُ	وقعت الياء بعد ألف مفاعل فقلبت همزة، فصارت قضائِيُ، قلبت كسرة الهمزة فتحة للتخفيف، فصارت قضائَيُ، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصارت قضاءا، اجتمع شبه ثلاث ألفات فقلبت الثانية ياء، فصارت: قضايا بعد أربع خطوات.
مطايا	مطايوُ	تطرفت الواو بعد كسر فقلبت ياء، فصارت: مطاييُ، وقعت الياء بعد ألف مفاعل فقلبت همزة، فصارت مطائِيُ، قلبت كسرة الهمزة فتحة للتخفيف فصارت مطائَيُ، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصارت: مطاءا. اجتمع شبه ثلاث ألفات، فقلبت الثانية ياء فصارت مطايا، بعد خمسة أعمال.
خطايا	حطايئُ	وقعت الياء بعد ألف مفاعل وهي في المفرد مدة زائدة فقلبت همزة، فصارت: حطائِءُ اجتمعت همزتان في الطرف فقلبت الثانية ياء، فصارت خطائِيُ، قلبت الكسرة فتحة للتخفيف، فصارت خطاءَيُ تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فصارت خطاءا. اجتمع شبه ثلاث ألفات، فقلبت الثانية ياء، فصارت خطايا. بعد خمسة أعمال.

للغويين في قلب الهمزة الساكنة وقبلها مكسور حديث طويل في مصنفاتهم أختار منه كلام سيبويه حين حديثه عن قلب الهمزة ((إن كان ما قبلها مكسوراً – وهي ساكنة– أَبْدَلْتَ مكانها الياء، كما أَبْدَلْتَ مكانها واواً، إذا كان ما قبلها مضموماً، وألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً...))[1] مفرقاً بين نوعين من أنواع القلب هنا، وهما القلب اللازم، والقلب لإرادة التخفيف، وعن اللازم يذكر ابن جني أنه ((متى اجتمعت همزتان وانكسرت الأولى منهما قلبت الثانية ياءً ألبتة، وكان البدل لازماً وذلك قولك إيمان وإيلاف وإيناس، وأصله: إئمان وإئلاف وإئناس، فقلبت الثانية ياءً ألبتة؛ لانكسار ما قبلها، ولم يجز التحقيق لاجتماع الهمزتين فقس على هذا))[2]

---

[1] - الكتاب ج٣ – ص: ٥٤٤.

[2] - سر صناعة الإعراب، ج٢، ص:٧٣٨.

بناء على هذا القياس حكم الصرفيون بشذوذ قراءة[١] ﴿إئلافهم﴾ [٢] من قوله تعالى: ﴿ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ﴾[٣] قرأها بهمزتين الأولى مكسورة والثانية ساكنة، وحسب القياس قلب الثانية ياءً.

ويعلل المتقدمون لعدم إمكان جعل الهمزة الثانية هنا بين بين؛ لأنه ليس بالإمكان أن ينحوا بها ((نحو الألف وقبلها كسرة، كما أن الألف لا يكون ما قبلها مكسوراً...))[٤] لذا لا سبيل غير القلب إلى الياء التي تعدّ أخفّ نطقاً من الهمزة.

وتناول سيبويه تحت باب (ما الهمزة فيه في موضع اللام من بنات الياء والواو) الموضوع الثاني، وهو قلب الهمزة ياء إذا وقعت بعد ألف مفاعل وهي عارضة، كخطايا، ومفردها خطيئة عندما صيغ منها فعاعل خطايئُ وقعت الياء بعد ألف مفاعل وهي مدة زائدة في المفرد فلا مناص من قلبها همزة [٥] فعرضت الهمزة حينئذٍ في الجمع لذلك يقول: ((وأما خطايا فحيث كانت همزتها تعرض في الجمع أجريت مجرى مطايا))[٦] .

ويضيف، أنك إذا أخذت فاعل من: جِئت وسُؤت، وجمعتهما على فعاعل فتقول فيها: سوايا وجيايا ((فلما وافقت اللامَ مهموزةً[٧] لم يكن من قلب اللام ياءً[٨] بدّ، كما قلبتها في: جاءٍ وخطايا، فلما كانت تقلب ياء وكانت الهمزة، إنما تكون في حال الجمع أجريت مجرى فواعل من شويت وحويت حين قلت: شوايا؛ لأنها همزة عرضت في الجمع وبعدها ياء فأجريت مجرى مطايا...))[٩]

يلاحظ أن سيبويه يخالف شيخه الخليل بإضافته موضعا آخر على مواضع قلب الهمزة ياء، سيما في مسألة الأجوف الثلاثي الذي لامه همزة، نحو: جاءَ وشاءَ وما

---

(١) - البحر المحيط لابن حيان ج١٠ – ص: ٥٤٨.
(٢) - قرأ بهمزتين الثانية ساكنة وهذا شاذ، و أبدلو ا الهمزة التي هي فاء الكلمة لثقل اجتماع همزتين – البحر المحيط ج١٠- ص: ٥٤٨.
(٣) - سورة قريش آية ٢.
(٤) - الكتاب ج٣ – ص: ٥٤٣.
(٥) - انظر قاعدة قلب الياء همزة، ص: ١١٩ من هذا البحث.
(٦) - الكتاب ج٤ –ص: ٣٧٧.
(٧) - أي وافقت اللامَ العينُ في الهمز، نحو: سوائء وجيائء، إذ الياء عين الكلمة وقعت بعد ألف مفاعل لا بد من قلبها همزة. كما تقدم في موضوع قلب الياء همزة.
(٨) – أي لما اجتمعت همزتان، في الطرف لم يكن هناك بد من قلب الهمزة الثانية ياء.
(٩) - الكتاب ج٤، ص: ٣٧٨- ٣٧٩.

شاكلهما، فاسم الفاعل منهما: جاءٍ وشاءٍ، وأصلهما: جائء وشائء على حسب رأي سيبويه، فاجتمعت همزتان، فحولوا اللام ياءً لدفع الثقل الذي يعود إلى صعوبة النطق بصوتين متجاورين ثقيلين. ثم أعلت إعلال قاضٍ. بينما يرى شيخه الخليل أن فيهما وما شاكلهما قلباً مكانياً[١].

وأؤيد رأي أبي الفتح الذي يقول: ((رأيت أبا علي يذهب إلى قوة قول الخليل في هذا الباب، قال: لأنه لا يجتمع على الكلمة إعلالان، إنما هو إعلال واحد وهو تقديم اللام وتأخير العين))[٢] أي جاء أصله: جايئ، قبل أن تقلب العين همزة حولت إلى موضع اللام واللام إلى موضع العين، ثم أعلت إعلال قاضٍ، فهو قلب مكاني أما من قال: إنه ليس بمقلوب، فقد جمع على الكلمة إعلالين قلب العين همزة وقلب اللام ياء والجمع بين إعلالين[٣] من نوع واحد وفي كلمة واحدة غير محمود عند الصرفيين.

أخلص من هذا العرض إلى أن الهمزة العارضة تقلب ياءً إذا كان لام المفرد ياء أصلية مثل: قضيّة وقضايا، وهديّة وهدايا، وكذلك إن كان لام المفرد ياء منقلبة عن واو مثل: مطيّة ومطايا، وصبية وصبايا وعطيّة وعطايا، وكذلك إن كان لام الكلمة همزة، نحو: خطيئة وخطايا.

أما إن كان لام المفرد واواً سالمة فتقلب الهمزة حينئذٍ واواً، وهذا ما أتناوله في الموضوع اللاحق.

ج/ قلب الهمزة واواً:

تقلب الهمزة واواً في موضعين[٤] هما:

أ- أن تقع الهمزة ساكنة – مسبوقة بضم

ب- أن تكون الهمزة عارضة واقع بعدها واو سالم وهو لام في المفرد.

---

[١] - انظر الكتاب ج٤ – ص: ٣٧٧.

[٢] - المنصف ج٢ –ص: ٥٣.

[٣] - انظر المنصف ج٢ – ص: ٢٠٦- ٢٠٧.

[٤] - انظر الكتاب، ج٣ ، ص:٥٣٤، وسر صناعة الإعراب، ج٢ ص:٥٧٣.

الكلمة	أصلها	توضيح
أومن	أُؤْمن	وقعت الهمزة ساكنة بعد ضم فقلبت واواً
أوثر	أؤثر	- - - - - - - - - - - - - - - -
هراوى[1]	هرائِوُ أصل الجمع بقلب ألف المفرد همزة كما في رسالة رسائل من: هراوة	تطرفت الواو بعد كسر فقلبت ياءً فصارت هرائِيُ، فقلبت الكسرة فتحة للتخفيف، فصارت هرائَيُ. تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فصارت هراءا، اجتمع شبه ثلاث ألفات، فقلبت الثانية واواً ليشاكل الجمع المفرد، فصارت: هراوى. بعد أربعة أعمال.
علاوى	علائو من علاوة	ما قيل في هراوى ينطبق على علاوى
أداوى[2]	أدائو من إداوة	ما قيل في: هراوى ينطبق على أداوى.

إن هذا الصنيع من العرب ابتداءً يفسره سيبويه على أنه ضرب من التخفيف حيث يؤكد في أكثر من موضع أن الهمزة الساكنة إذا ضم ما قبلها وأردت أن تخفف أبدلت مكانها واواً، و ((ذلك قولك في الجؤنة والبؤس والمؤمن: الجونة والبوس والمومن))[3].

ثم إن كانت الواو متحركة بالفتح مثلاً وقبلها ضم وأردت تخفيف نطقها، ((أبدلت مكانها واواً...وذلك قولك في التؤدة: تُوَدَة[4]، وفي: الجُؤَنة[5]: جُوَنة، وتقول: غلام وبيك، إذا أردت: غلام أبيك))[6] ونحو قولك: (هو يضربُ وَباك). يقول ابن جني[7] فالواو هنا واو خالصة وليس فيها شيء من بقية الهمزة، وكذلك في قراءة أبي عمرو:

---

(1) - مفردها هراوة وهي العصى الضخمة، والجمع هراوى ، انظر للسان مادة: هرو ج١٥- ص: ٣٦٠

(2) - مفردها: إداوة وهي المطهرة وجمعها أداوى كمطايا، انظر لسان العرب مادة: أدو ج١٤- ص: ٢٤.

(3) - الكتاب ج٣، ص: ٥٣٤

(4) - التؤدة التأني في الأمر.

(5) - الجؤنة سواد في حمرة.

(6) - الكتاب ج٣ – ص: ٥٤٣.

(7) - انظر سر صناعة الإعراب ج٢ – ص: ٥٧٣ – ٥٧٤.

((﴿ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء﴾ [1] قرئت: ﴿السفهاء ولا إنهم هم السفهاء﴾ ، فهذه الواو بدل من الهمزة لا ممالة))[2]، نظراً لوقوعها مفتوحة بعد ضم وأردت التخفيف.

وعن الموضوع الثاني يقول المازني ((اعلم أن اللام إذا كانت واواً وكانت ظاهرة في الواحد، فإن الهمزة تبدل مكانها الواو إذا كُسّر الواحد على هذا الجمع نحو: إداوة وأداوى، وغباوة وغباوى، وشقاوة وشقاوى ...))[3].

فغباوى وأخواتها عند جمعها تقلب فيها الهمزات واوات، وذلك أن غباوى أصلها: غبائِو قلبت ألف المفرد في غباوة همزة لوقوعها بعد ألف مفاعل وهذا يفسر القول: أن تكون الهمزة عارضة، واقع بعدها واو سالم، ــ أي سالم من الإعلال والتبديل ــ وهو لام المفرد. فقد عرضت الهمزة على الكلمة، وبعد تلك الخطوات التي تقدمت في الجدول[4]. قلبت هذه الهمزة العارضة إلى واو فصارت الكلمة غباوى.

---

[1] ـ سورة البقرة، آية ١٣ وتمامها : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء ألا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ .وقرأ أبوعمر بإبدال الهمزة الثانية واواً. راجع روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١، ص ١٥٦.

[2] ـ سر صناعة الإعراب ج٢ – ص: ٥٧٤.

[3] ـ المنصف ج٢ – ص: ٦٣.

[4] ـ انظر ص: ١٤٤ من هذا البحث.

الفصل الرابع

وصف ظاهرة الإبدال

المبحث الأول:

الإبدال والاشتقاق

المبحث الثاني:

حروف الإبدال

المبحث الثالث:

شواهد الإبدال اللغوي

المبحث الرابع:

شواهد الإبدال الصرفي

وصـــــــف ظاهـــــرة الإبدال

توصف العربية بأنها أغنى من كثير من لغات العالم في أصول الكلمات وسـعة التعبير، وكثرة المفردات، إذ قد أتيح لها من الظروف والعوامل ما لا نظير له في لغات عديدة، ومن المسلمات ((أن الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يتـاح لها من الاستعمالات؛ لأن كثرة الاستعمال لا بد أن تخلق كلمات جديدة تُلبّى بها مطالب الحياة والأحياء))[١]

ومما يلاحظ أن من وسائل السعة التعبيرية والجهة المسـاهمة فـي ذلـك هـي التبدلات الصوتية؛ لأن الأصوات في العربية غير ثابتة – تتغيـر بمـرور الـزمن، أو تتغير لوقوعها في وضع خاص حالة التركيب، تتطلب جهداً فـي البحـث عـن عللـه وأسبابه لاستنتاج القانون الذي ينظم إحداثها، وهو قانون الإبدال في اللغة العربية.

وعند اللغويين أن ((الإبدال قسمان شائع وغيره ...))[٢]، فالشائع هو الصـرفي أي هو الإبدال اللازم الضروري القياسي ومخالفته توقع في الخطأ؛ إذ لا تستخدم الكلمة المبدل منها إنما تستخدم الكلمة المبدلة، أي لا يستخدم الأصل بل الفرع.

أما غير الشائع فهو الإبدال اللغوي غير الضروري، ويقع في جميـع حـروف الهجاء، أي الذي يتم التبادل فيه بين الصحاح فحسب. ورأى كثير من العلماء أن ظاهرة إقامة حرف مكان آخر يمكن حدوثها في لغة العرب، حيث وجه العلماء عنايتهم لجمـع أكبر عدد من تلك الكلمات التي تتفق في معناها، وتختلف في صوت واحد من أصواتها المكونة لها، كما هو عند ابن فارس "مدحه" و "مدهه" وفرس "رفل" و"رفـن"، و"يعلـق" على هذا بقوله: ((هو كثير مشهور ألف فيه العلماء))[٣]. فالإبـدال مهـم وهـو كثيـر ومشهور قد ألف فيه العلماء ومنهم ابن السكيت... وأمثلته كثيرة جداً لا تكاد تنحصـر، وقد أطنب السيوطي في المزهر في بيان حروف الإبدال وأمثلتها[٤].

وخلال المسح لكتاب الزجاجي اتضح أن الإبدال يحصـل بـين أصـوات كـل مخرج، وبين مخارج مختلفة، الأقرب فالأقرب، وقد يقـع الإبـدال بـين الأصـوات

---

[١] - فقه اللغة صبحي الصالح ص: ٢٩٢.
[٢] - انظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي ج٢- ص: ٤٦٦.
[٣] - الصاحبي لأحمد بن فارس ص: ٣٣٣.
[٤] - انظر البلغة في أصول اللغة، محمد صديق حسن خان القنوجي ص: ٢١٩ – ٢٢٠.

المتقاربة في حكاية أصواتها، ولو كانت من مخارج متباينة، كالتبادل الحاصل كثيراً بين الميم والنون ...

وعلى غرار ما طبق الدكتور أنيس فكرته في الإبدال على ما جاء من أبواب في كتاب الإبدال لابن السكيت، طبقت هذه المقاييس على كتاب الزجاجي فلحظت أن الصلة وثيقة بين الأصوات المتبادلة في الأبواب من حيث الصفة أو المخرج من ذلك مثلاً:

- باب العين والهمزة مخرجاهما متقاربان
- باب الباء والميم المخرج متحد وهو الشفتان
- باب النون واللام المخرج متحد وهو طرف اللسان مع اللثة

هكذا كانت جل الأبواب التي بلغ عددها خمسة وثلاثين باباً بعد تتبعها وما بقي من صور الإبدال التي جاءت في كتاب الزجاجي، ويصعب إدراك ما بينها من علاقة صوتية، كتلك الصور التي جاءت في باب: الهاء والخاء، وباب التاء والكاف، فإن اللغويين يرون ((أن الصورتين تنتميان إلى معنيين مختلفين، وأن كلاً منهما أصل في ذاته، وجاء القدماء فربطوا بينهما لأدنى ملابسة))[1].

إن إدراك الإبدال في ألفاظ اللغة ((أعظم أهمية؛ لأنه أوسع دائرة، وأشد تأثيرا، وهو عبارة عن إبدال حرف من كلمة ما، بحرف يقرب منه لفظاً))[2]

ومن الحقائق والمسلمات التي توصل إليها علماء اللغة المحدثون ((أن ظاهرة الإبدال بصفة عامة لا تحدث إلا على أساس التقارب بين الأصوات المتبادلة، وأن الغاية منه تحقيق نوع من الاقتصاد في عمليات النطق المتتابعة))[3].

وقبل التطرق إلى شواهد الإبدال، أقدم فكرة عما بين الإبدال والاشتقاق من علاقات.

---

[1] - القلب و الإبدال لابن السكيت تحقيق حسين محمد شرف ص: ٥٤.
[2] - الفلسفة اللغوية، جرجي زيدان ص: ٣٤.
[3] - المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين ص: ١٦٨.

المبحث الأول
الإبدال والاشتقاق

هناك بعض المصطلحات قد تتشابه أو تتفق في تسميتها إلا أن ما يراد منها يختلف حسب الأزمنة والأمكنة، لتدل على أشياء مختلفة، لذا أحاول استجلاء معنى المصطلحين والعلاقة التي تربط بينهما أي بين الإبدال والاشتقاق.

الإبدال كما ذكرت له مدلولان أحدهما عام يدخل تحته مسمى الإعلال، ومدلول خاص، يعني تبادل الصوامت بعضها ببعض في بعض الكلمات العربية.

أما الاشتقاق عند المتقدمين فهو أنواع، أهمها: ارتباط بين كلمات ثلاثية الأصوات وترتيبها بحيث يرجع تقلبها الصوتي وما يتصرف من كل منها إلى مدلول واحد مهما يتغاير ترتيبها الصوتي.

أطلق على هذه الظاهرة ابن جني في الخصائص الاشتقاق الأكبر، وسلك الخليل ابن أحمد من قبل هذا المسلك لترتيبه الكلمات في كتابه العين، فكان حين يعرض لشرح كلمة من الكلمات يذكر معها تقلباتها، ويذكر معنى كل صورة من صوره. وهي طريقة إحصائية، أو قسمة عقلية لجأ إليها بغية حصر المستعمل من كلمات اللغة.

وهناك مصنف آخر جعل من هذا المصطلح عنواناً بارزاً (الاشتقاق) للعالم ابن دريد[١] وكذلك وقف عندها أحمد ابن فارس[٢] مؤكداً أن أهل اللغة أجمعوا إلا من شذ عنهم على أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلمات من بعض[٣].

وأجد لغوياً أخر يبرهن على قياسية هذه الظاهرة في العربية هو أبو منصور الأزهري[٤] يقول عند نهاية حديثه عن مادة قطع ((كل ما مرّ في هذا الباب من هذه الألفاظ واختلاف معانيها، فالأصل واحد والمعاني متقاربة وإن اختلفت الألفاظ، و كلام العرب آخذ بعضه برقاب بعض ...))[٥].

---

[١] - هو أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي اللغوي : ٢٢٣- ٣٢٣ ـ ولد بعمان وتنقل في الجزائر البحرية وكان أبوه من ذوي اليسار – إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، ص: ٣٠٤.

[٢] - هو أحمد بن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي من أهل قزوين، صاحب كتاب الجمل في اللغة، وفقه اللغة وغيرهما، توفي سنة خمس وتسعين وثلاث مئة. انظر إشارة التعيين، ص:٤٣.

[٣] - انظر الصاحبي في فقه اللغة، ص: ٥٧.

[٤] - هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة ٢٨٢– ٣٧٠هـ انظر المعجم المفصل ص:٨٩.

[٥] - تهذيب اللغة، مادة قطع ج١ –ص: ١٨٧.

إن الكلام حول معنى الاشتقاق قديم تطرقت إليه جماعة من اللغويين إلا أن ابن دريد ((بدأ النجاح الكبير لهذه الفكرة وثناه ابن فارس بتأليف المقاييس ، فنجاح فكرة الاشتقاق في نطاقها الواسع قد ظفر به في العربية هذان العالمان، وإن كان لابن دريد فضل الإيحاء والسبق، فإن لابن فارس فضل القوة البارزة والاقتدار العارم))[١]

وقد عاصر ابن فارس عالم استطاع أن يصعد درجة فوق هذا بإذاعته قاعدة الاشتقاق الأكبر التي تجعل للمادة الواحدة وجميع تقاليبها أصلاً، أو أصولاً ترجع إليها. وهو عثمان ابن جني. عقد فصلاً في صدر كتابه الخصائص، في تفسير هذا المذهب جعل من أمثلته مادة: "ق – و – ل"[٢] وبين أنها أين وجدت، وكيف وقعت من تقدم بعضها حروفها على بعض وتأخره إنما هي للخفة والسرعة.

ولقد أعجب بعض الكتاب بهذا النوع من الدراسة، فقال: ((ظهرت في القرن الرابع دراسة جديدة للاشتقاق اللغوي، وبقيت عصراً طويلاً، وكان أستاذ هذه الدراسة ابن جني الموصلي، وهو الذي ينسب إليه ابتداع مبحث جديد في علم اللغة، وهو المسمى الاشتقاق الأكبر. وهو المبحث الذي لا يزال يؤتي ثمره إلى اليوم ، والذي يختص بمادة الكلمة دون هيئتها، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هذا))[٣].

ولذا أنظر إليه نظرة إجلال وتوقير، فبإذاعته لهذه الظاهرة توج التأليف العربي بتاج لا أجد له نظيرا فلا أعلم بعد استقصاء وبحث أن لغة من لغات العالم ظفرت بمثل هذا التأليف المبدع في قديم الزمان ولا في حديثه، على كثرة ما نرى ونسمع من تعدد النشاط اللغوي واختلاف وجوهه[٤]. من غير اهتمام بما يراه السيوطي من أن الاشتقاق ليس معتمداً في اللغة، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب ...))[٥] وما دعا ابن جني إلى الإطالة فيه والتركيز عليه، حسب رأي السيوطي إلا لبيان ((قوة ساعده ورده المختلفات إلى قدر مشترك))[٦].

---

[١] - قطوف أدبية دراسات نقدية في التراث العربي محمد عبد السلام هارون ص: ٢٠٧.
[٢] – انظر الخصائص ج٢- ص: ١٣٤ – ١٣٥.
[٣] - فقه اللغة في الكتب العربية ، عبده الراجحي ص: ١٦٦.
[٤] - انظر قطوف أدبية، ص :٢٠٣.
[٥] - المزهر ج١ –ص: ٣٤٧.
[٦] – المصدر السابق والصفحة نفسها.

١- مفهوم الاشتقاق:

إن عموم الاشتقاق ((هو أخذ كلمة من أخرى بينهما ارتباط في اللفظ والمعنى ليعرف رجوع إحداهما إلى الأخرى، فيدخل فيه نحو: فهم، يفهم، وافهم، وفاهم إلى آخر المشتقات، ونحو: يئس وأيس، ونحو: نعق ونهق، وبذلك صار التعريف جامعاً لأنواعه الثلاثة))[١] التي هي اشتقاق صغير وكبير وأكبر.

١/١- الاشتقاق الصغير:

الاشتقاق الصغير كما حدده اللغويون هو ((أخذ كلمة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً وهيئة، كضارب من ضرب وحذِرَ من حذْر))[٢]

فهو توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد ((يحدد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد))[٣]

وتتم معرفته عن طريق تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطراد أو أكثر حروفا غالباً [٤] كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط، أما ضارب ومضروب ويضرب واضرب، فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفاً، وضرب الماضي مساو حروفاً، وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في (ض – ر – ب–) وفي هيئة تركيبها.

هذا النوع من الاشتقاق هو ما يعرف بالاشتقاق الصغير عند اللغويين، وإن كان بعضهم يحبذ تسميته بالاشتقاق العام[٥]. ووسمه بالاشتقاق الصغير هي تسمية قديمة، كما يؤكد ابن جني أن ((الصغير ما في أيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلاً من الأصول وتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كتركيب (س– ل –م) فإنك تأخذ عنه معنى السلامة في تصرفه نحو: سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم... وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته: فهذا هو الاشتقاق الأصغر ...))[٦] ((ولسنا

---

[١] - تصريف الأسماء محمد طنطاوي ص: ٣٨.
[٢] - المزهر ج١ –ص: ٣٤٦.
[٣] - دراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح- ص: ١٧٤.
[٤] - انظر المزهر ج١ – ص: ٣٤٧- ٣٤٨.
[٥] - انظر فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي – ص: ١٧٨.
[٦] - الخصائص ج٢- ص: ١٣٤.

نرى في التسمية الحديثة ما يجعلنا نستبدل بها التسمية القديمة، فإن وصف هذا الضرب من الاشتقاق بالأصغر كاف في رأينا لتمييزه من الاشتقاقين الكبير والأكبر))[1].

ومعنى هذا أن الألفاظ التي تشترك في الحروف أو الأصوات ثلاثية الأصل تشترك كذلك في معنى عام ينتظم مفرداتها، ويختلف هذا المعنى العام في كل واحدة من مفردات المادة بحسب الصيغة التي تصاغ بها مثل: قطّاع – مقطوع – يقطعون من قطع؛ إذ تشترك كلها في المعنى العام للقطع. تدل الأولى على من يقوم به بشدة وكثرة، والثانية على ما وقع عليه القطع، والثالثة تدل على حدوث الفعل عن جماعة غائبين:

٢/١- الاشتقاق الكبير:

أما الاشتقاق الكبير((فيحفظ فيه المادة دون الهيئة، فيجعل "ق – و– ل" و "ل – و– ق" و "و – ق –ل" و "ل – ق – و" وتقاليبها الستة بمعنى الخفة والسرعة))[2].

إنه بخلاف الاشتقاق الصغير الذي يراعى فيه الهيئة والترتيب الداخلي للأصوات المكونة للكلمة، فهذا النوع يتصل بالصوت وقدرته في الدلالة، وأثره في تكوين معنى الكلمة، حيث تجتمع مواد مؤلفة من ثلاثة أحرف بعينها، مهما اختلف ترتيبها، فإذا أخذت الحروف الثلاثة "ر– ك – ب" استطعت أن تؤلف منها بتنويع ترتيب هذه المواد الستة (ركب – ربك – كبر – كرب – برك – بكر). وذكر المتقدمون أمثلة من التراكيب الستة للكلمة الواحدة، وبينوا لهذه التقاليب معنى جامعاً، كقولهم: إن "ق –و – ل" وسائر تراكيبها تفيد الخفة والسرعة[3]، وتقاليب "ق – ل– م" تفيد القوة والشدة[4] ومقاليب "ق س – و" تفيد القوة والاجتماع.[5]

كان المتقدمون يعتقدون أن تقلبات اللفظ الواحد تؤدي إلى معانٍ متقاربة اعتمادا على ما قرروه من وجود علاقة بين اللفظ ومدلوله، وهذا الصنيع ((مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني، وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً ...))[6].

---

[1] - دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح ص: ١٧٦.
[2] - المزهر ج١ –ص: ٣٤٧.
[3] - انظر المصدرالسابق والصفحة نفسها.
[4] - انظر الخصائص ج٢ – ١٣٥.
[5] - المصدر السابق ج٢، ص: ١٣٦.
[6] - المزهر ج١، ص: ٣٤٣.

ويفيد ابن جني أن أستاذه أبا علي الفارسي قد فطن من قبله إلى هذه الروابط المعنوية بين هذه الألفاظ، إلا أن أستاذه لم يتوسع في شرحه ولم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه، ويتعلل به، فأطلق عليه ابن جني اسم الاشتقاق الأكبر مؤكداً أن هذا الصنيع من التقليب له، وكذلك اللقب، وهو مستحسن[١].وكثر ((من محدثي الباحثين يؤثرون تسميته بالاشتقاق الكبير))[٢]. بخلاف ما أطلق عليه المتقدمون (الأكبر)[٣].

إن هذه الروابط المعنوية بين هذه الطائفة من هذه الألفاظ تعرف أيضاً بالقلب المكاني ويرجع فضل توضيحها إلى أبي الفتح ابن جني الذي يرى فيها أنها تنتظم معظم مواد اللغة. وأوافق الدكتور علي عبد الواحد وافي فيما ذهب إليه أنه ((قد بالغ بعضهم في هذا النوع من الاشتقاق فزعم أنه يطرد في معظم المواد – والحق يقال إنه لا يبدو في صورة واضحة إلا في طائفة يسيرة من المواد، ومحاولة تطبيقه في غيرها يقتضي كثيراً من التكلف والتعسف، أو الخروج باللفظ عن مدلوله الأصلي، أو التشبث بملابسات ضعيفة واهية))[٤]، ولا أوافق السيوطي فيما ذهب إليه أن هذا القلب ((ليس معتمداً في اللغة، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب ...))[٥] كما لا أوافق ابن درستويه الذي ذهب إلى أبعد من ذلك حينما أنكر القلب من أساسه[٦] وألف في ذلك كتاباً سماه: إبطال القلب.

لذا أرجح وجود الاشتقاق الكبير في العربية في ألفاظها دون إنكار له كلياً ودون إطلاق له أيضاً كلياً.

٣/١- الاشتقاق الأكبر:

((هو ارتباط بعض المجموعات الثلاثية الصوتية ببعض المعاني ارتباطاً عاماً لا يتقيد بالأصوات نفسها، بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته، وحينئذٍ متى وردت إحدى تلك المجموعات الصوتية على ترتيبها الأصلي فلا بد أن تفيد الرابطة

---

[١] - انظر الخصائص، ج٢، ص:١٣٣.
[٢] - المصدر السابق، ج٢ –ص: ١٣٣. وما بعدها.
[٣] - انظر فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي ص: ١٨٣.
[٤] - المرجع السابق، ص: ١٨٣.
[٥] - المزهر ج١ – ص: ٣٤٧.
[٦] - المصدر السابق، ج١ – ص: ٤٨١.

المعنوية المشتركة، سواء احتفظت بأصواتها نفسها أم استعاضت عن هذه الأصوات أو بعضها بحروف أخرى تقارب مخرجها الصوتي، أو تتحد معها في جميع الصفات))[1]

هذا النوع من الاشتقاق، هو تناسب المعنى في كلمتين واتحاد في أكثر الأصوات على أن يكون الباقي منها من مخرج متحد أو من مخرجين متقاربين، فهي ((عملية ربط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطاً غير مقيد بنفس الأصوات بل بنوعها العام وترتيبها فحسب، فتدل كل مجموعة منها على المعاني المرتبطة به متى وردت مرتبة حسب ترتيبها في الأصل، سواء أبقيت الأصوات ذاتها، أم استبدل بها أو ببعضها أصوات أخرى متفقة معها في النوع))[2]. نحو: فسطاط وفستات – وثلب وثلم.

ففي الأولى بين الطاء والتاء وهما من مخرج متحد، والثاني بين الباء والميم وهما أيضاً من مخرج متحد، ومن الأمثلة في تقارب المخرج الصوتي قولهم: هديل الحمام وهديره، تناوب بين اللام والراء وكذلك كشط الجلد وقشطه، تناوب بين الكاف والقاف وهو من باب القرب المخرجي.

وأمثلة هذا النوع وشواهده كثيرة في كتب المتقدمين، وهذا النوع هو ما يعرف بالإبدال، أورده ابن جني في باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) فقال: هذا باب واسع من ذلك قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ[3] أَزًّا﴾[4]، ((أي تزعجهم وتقلقلهم، فهذا في معنى تهزّهم هزّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ، لأنك قد تهزّ ما لا بال له كالجزع، وساق الشجرة،، ونحو ذلك ومنه العسف والأسف، والعين أخت الهمزة ... فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين))[5].

---

[1] - دراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح ص: ٢١٠.
[2] - فقه اللغة علي عبد الواحد وافي ص: ١٨٤.
[3] - في الكشاف ((الأزّ والهزّ الاستفزاز، أخوات ومعناهما التهيج وشدة الإزعاج))ج٣ – ص: ٤٢.
[4] - سورة مريم آية ٨٣.
[5] - الخصائص ج٢، ص: ١٤٦.

هذه هي أنواع الاشتقاق الثلاثة، فأولها الاشتقاق الصغير وهو أهم أنواعها وأكثره وروداً في العربية، وهو قياس، أما النوعان الأخيران فهما:

الاشتقاق الكبير الذي يقوم على القلب، والاشتقاق الأكبر ويقوم على الإبدال مع كثرة ورودهما في العربية إلا أنهما سماعيان، وابن جني سمى الأول منهما بالاشتقاق الأكبر، وأغفل تسمية الثاني، وجعل الحديث عنه تابعاً للأول، وتكلم عن الأول في البابين الآتيين: (باب القول على الفصل بين الكلام والقول)[1] (وباب الاشتقاق الأكبر)[2] وعن الثاني في :(باب في الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه)[3].

إن الاشتقاق الكبير والأكبر هما أكثر ارتباطاً بموضوعات اللغة من الصرف، كما أنهما لا يطردان في جميع مفردات العربية ((بل يقتصران على عدد قليل منها، وكثيراً ما يعتمد فيها على التأويل البعيد، والتكلف الواضح، بخلاف الاشتقاق الصغير، الذي يعد وسيلة لتوليد المفردات بصوغ أنواع مختلفة منها، كالأسماء والأفعال والصفات... فهو وسيلة آلية دقيقة لصوغ أنواع مختلفة من الأبنية في العربية))[4]

وأشير إلى أن موضوع الاشتقاق لم يكن خالصاً لعلم الصرف وحده، فهو يمثل نقطة تقاطع بين الصرف والنحو واللغة، ذلك أنه يدرس من زوايا مختلفة:

- من حيث كونه وسيلة تغيير بنية الكلمة وإنتاج بنية جديدة ، صرف.
- من حيث كونه وسيلة لتوليد المفردات في العربية عن طريق التقليب والتبديل، أي إحلال صوت مكان أخر، لغة.
- من حيث كونه وسيلة للتعبير عن بعض الوظائف النحوية كالبناء للمجهول، نحو.

أخلص إلى أن الاشتقاق الأكبر إذا كان مبنيا على إقامة حرف مكان آخر في بعض الكلمات مع بقاء الحروف الأخرى، فتكون هذه الكلمات مشتركة في حرفين مثلاً، وأبدل الحرف الثالث في إحداها بحرف آخر قريب منه في المخرج، أو يتفق معه في بعض الصفات، فهو عين الإبدال، ويكون بينهما شيء من العموم والخصوص، فالإبدال، اشتقاق ونوع واحد من أنواع الاشتقاق إبدال، وهو الاشتقاق الأكبر.

---

[1] - انظر الخصائص ج١، ص: ٥.
[2] - انظر المصدر السابق ،ج٢، ص: ١٣٣.
[3] - انظر المصدر السابق، ج٢- ص٨٢.
[4] - دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها لطيفة النجار ص: ٩١.

المبحث الثاني
حروف الإبدال

تقدم أن اللغويين قسموا الإبدال قسمين كبيرين، سموا الأول إبدالاً قياسياً ضرورياً شائعاً وهو الإبدال الصرفي، وحروفه ثمانية، والآخر إبدالاً غير ضروري، أو غير قياسي، هو الإبدال اللغوي، وكل نوع منهما له حروفه الخاصة به.

وأعني بالحروف تلك الأصوات التي يمكن أن يتم تبادل بينها داخل المنظومة اللفظية نتيجة لتجاور أو تقارب في الشبه والمخرج.

أما من حيث عدد حروف الإبدال فهناك آراء كثيرة متغايرة، قد عدها بعض الصرفيين[١] أحد عشرة حرفاً تجمع في هجاء: "أجد طويت منها"، وعدها بعضهم اثني عشر حرفاً، وجمعها في هجاء: "طال يوم أنجدته"، وبعضهم جعلها ثلاثة عشر حرفاً وجمعها في قوله: "استنجده يوم طال" ومنهم من جعلها أربعة عشر حرفاً وجمعها في "أنصت يوم زل طاه جد" [٢]، وهي عندي سبعة: "مطت يدنو"[٣].

وأتفق هنا مع من يقول ((كل ما زاد عن الثمانية المجموعة في هجاء طويت دائماً فإنما هو من الإبدال اللغوي، ولكن الذين أوردوا أكثر من ثمانية أحرف قد خلطوا بين الإبدال الصرفي الضروري، والإبدال اللغوي غير الضروري)) [٣].

وأؤيد كذلك رأي من يقول، إن الإبدال اللغوي يقع في كل حرف حتى الألف[٤] وهو ذلك الإبدال الذي تستعمل فيه الكلمتان اللتان وقع فيهما الإبدال، أي الكلمة المبدلة والمبدل منها.

والإبدال بمفهومه الواسع يدخل تحته مسمى الإعلال، وقد تحدثت عن حروفه، والآن أقدم فكرة مختصرة عن حروف الإبدال عامة من حيث تكوينها وصفاتها.

ولكي أظفر بدراسة جيدة لأصوات التبادل قمت بالآتي:

---

[١] - انظر المقتضب للمبرد ج١ – ص: ٦٥.
[٢] - انظر ص: ٩ مفهوم الإبدال عند القدماء .
[٣] - انظر ص: ١٠ من هذا البحث.
[٣] - إبدال الحروف في اللهجات العربية ، سليمان بن سالم السحيمي ص: ٧٨.
[٤] - انظر المرجع السابق والصفحة.

أ- تصنيف صوامت التبادل إلى مجموعات متشابهة على أساس من الملامح الصوتية.

ب_ أجريت اختبارات التبادل داخل كل مجموعة متشابهة حسب ما ورد من تبادل بين الأصوات في كتاب الزجاجي.

وعلى هذا المنوال سرت بعد توزيع الأصوات على حسب مخارجها بادئاً بأقصى هذه المخارج من جهة الحلق وهو الحنجرة ومتدرجاً في المجرى الصوتي نحو الأمام إلى الشفتين آخر موضع لإصدار الأصوات، مراعياً ترتيبها المخرجي وتوزيعها المجموعي عند كل حيز من أحياز الجهاز، وهي أربعة مناطق:

أ- منطقة بداية المجرى وتشمل الحنجرة والحلق، وأصواتها: (هـ – ء – ع – ح).

ب- منطقة ما قبل وسط الفم تشمل والطبق واللهاة، وأصواتها هي (غ – خ – ق – ك)

ج ــ منطقة وسط الفم، وتشتمل الغار واللثة والثنايا، وأصواتها هي: (ش – ي – ج – ل – ن- ر – ز – س – ص – ض – ت – د – ط – ث – ذ – ظ).

د ــ منطقة نهاية الفم وتشمل الشفتين، والشفة السفلى مع الثنايا العليا، وأصواتها هي: (ب – م – و – ف)، فإلى وصفها:

ــ الهمزة صوت قصي حلقي مجهور عند المتقدمين[1]، وعند المحدثين حنجري مهموس[2] انفجاري.

ــ الهاء صوت صامت حنجري مهموس احتكاكي[3].

ــ العين صوت حلقي[4] مجهور احتكاكي.

ــ الحاء صوت حلقي[5] مهموس احتكاكي.

ــ القاف صوت لهوي مهموس[6] انفجاري.

ــ الغين صوت يخرج من الحلق[7]، وعند بعضهم أنه من أدناه[8]،

---

(1) ـ انظر الكتاب ج٤ص:٤٣٣.
(2) ـ انظر علم اللغة العام الأصوات، ص:١١٢.
(3) ـ انظر السابق،ص:١٢٣.
(4) ـ انظر الكتاب، ج٤،ص:٤٣٣.
(5) ـ انظر المصدر السابق والصفحة.
(6) ـ انظر الدراسات الصوتية عند علماء العربية ، عبد الهادي إبراهيم الأصيبعي، ص:٦٧.
(7) ـ انظر تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، ج١،ص:٤٨.
(8) ـ انظر الكتاب،ج٤،ص:٤٣٣.

وعند المحدثين[١] هو طبقي مجهور احتكاكي.

ـ الخاء صوت طبقي مهموس احتكاكي.

ـ الكاف صوت طبقي مهموس انفجاري مرقق[٢].

ـ الشين صوت غاري مهموس[٣] احتكاكي مرقق.

ـ الياء صوت غاري مجهور شبه علة[٤].

ـ الجيم صوت غاري مركب[٥] مرقق.

ـ اللام صوت لثوي مجهور متوسط[٦]، مائع[٧] جانبي.

ـ النون صوت لثوي مجهور متوسط مائع أنفي.[٨]

ـ الراء صوت لثوي مجهور متوسط مائع مكرر[٩].

ـ الزاي صوت أسناني لثوي مجهور احتكاكي[١٠].

ـ السين صوت أسناني لثوي مهموس احتكاكي[١١].

ـ الصاد صوت أسناني لثوي مهموس احتكاكي مفخم[١٢].

ـ الضاد صوت أسناني لثوي مجهور انفجاري مفخم[١٣].

ـ التاء صوت أسناني لثوي مهموس انفجاري مرقق.[١٤]

ـ الدال لا فرق بينه وبين التاء إلا أنه مجهور والتاء مهموس[١٥].

---

[١] ـ انظر علم اللغة العام مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، ص:١٧٧.

[٢] ـ انظر علم اللغة العام الأصوات، كمال بشر ص:١٠٨.

[٣] ـ انظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:٧٧.

[٤] ـ انظر المرجع السابق، ص:٤٢.

[٥] ـ انظر الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها من الراشدين، سعد عبد الله الغريبي، ص:٤١.

[٦] ـ ((متوسط بين الشدة والرخاوة)) راجع الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس، ص:٦٤.

[٧] ـ مائع لقلة احتكاكيته، ولشبهه بأصوات العلة. راجع الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها، سعد عبد الله الغريبي، ص:٥١.

[٨] ـ انظر الأصوات اللغوية، سعد عبد الله الغريبي، ص:٥١.

[٩] ـ انظر السابق والصفحة.

[١٠] ـ انظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس،ص:٧٦.

[١١] ـ انظر علم اللغة العام الأصوات، كمال بشر، ص: ١١٩-١٢٠.

[١٢] ـ انظر علم اللغة العام مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران،ص:١٧٥.

[١٣] ـ انظر علم اللغة العام الأصوات ، كمال بشر ،ص:١٠١.

[١٤] ـ انظر السابق والصفحة.

[١٥] ـ انظر السابق، ص: ١٠٢.

ـ الطاء صوت أسناني لثوي مهموس انفجاري مفخم.
ـ الثاء صوت بين أسناني مهموس احتكاكي[١].
ـ الذال صوت بين أسناني مجهور احتكاكي[٢].
ـ الظاء صوت بين أسناني مجهور مطبق[٣].
ـ الفاء صوت شفوي أسناني مهموس احتكاكي[٤].
ـ الواو صوت شفوي مجهور نصف علة[٥].
ـ الباء صوت شفوي مجهور انفجاري[٦].
ـ الميم صوت شفوي مجهور أنفي[٧].

---

(١) ـ انظر علم اللغة العام ، كمال بشر، ص:١١٩.
(٢) ـ انظر السابق والصفحة.
(٣) ـ انظر علم اللغة، محمود السعران، ص: ١٧٤.
(٤) ـ انظر السابق، ص: ١٧٣.
(٥) ـ انظر السابق والصفحة.
(٦) ـ انظر علم اللغة العام الأصوات، كمال بشر، ص:١٠١.
(٧) ـ انظر الأصوات العربية، سعد عبد الله الغريبي، ص: ٥١.

المبحث الثالث
شواهد الإبدال اللغوي

بعد الحديث عن العلاقة ما بين الإبدال والاشتقاق، ووصف أصوات التبادل، أعرض في هذه الجزئية أمثلة وشواهد حدث فيها تبدل صوتي بين بعض الأصوات في بعض الكلمات للكشف عن أصول كثير من الكلمات برفع الستار عما بينها من روابط.

أستقي هذه الشواهد أو جلها عن كتاب الإمام الزجاجي (الإبدال والمعاقبة والنظائر) الذي اعتمد عليه، مستعيناً ببعض القواميس اللغوية في هذا العرض، مرتباً الشواهد حسب التسلسل المخرجي. بادئاً بالحنجرة ومنتهياً بالشفتين حسب الطريقة المألوفة عند اللغويين المتقدمين، مقسماً الأصوات المتبادلة إلى مجموعات مخرجية ، إذ إن من أسس التبادل هو الاتحاد أو التقارب في المخرج والصفة، موزعا الأصوات على المناطق الأربعة المتقدمة[1]؛ إذ تكاد تنحصر حالات الإبدال بين أصوات كل مجموعة على حدة، دون تداخل يذكر، ساعياً في إيضاح العلاقات بينها، أو الصفات الصوتية التي تشترك فيها إن وجد ما بينها من علاقات وخصائص، مع توضيح المسألة الإبدالية إن كان منشؤها اختلاف اللهجات العربية في بعض الحالات، أو كان سبب تبدلها ناتجاً عن البيئة الصوتية للفظ نفسه، كأن يتغير الفونيم فيظهر في صورة تبادل بين صوتين، فإلى ذلك.

---

[1] ـ انظر ص" ١٥٧ من هذا البحث.

١- تبادل بين أصوات بداية المجرى (حنجرية حلقية)

١/١- التبادل بين صوتي الهمزة والهاء (ء – هـ):

يقول الزجاجي أراق هراق[١] هراق ماءه وأراقه[٢].

فالهاء هنا (إنما هي بدل من همزة أراق)[٣].

- أهل وآل[٤] ((وهم أهل عبد الله وآل عبد الله وهم آلي وأهلي))[٥] و((آل الرجل: أهله ... أصلها أهل، ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير أأل، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً كما قالوا آدم وآخر ...))[٦].
- هيهات وأيهات، أصلها هيهات ((وقد تبدل الهاء همزة فيقال: أيهات))[٧]

وأورد الزجاجي: هؤلاء وأولاء[٨] من قبيل وقوع الإبدال بين الهاء والهمزة، إلا أنه يبدو عدم وقوع الإبدال بين هاتين الكلمتين، ففي كلمة " هؤلاء" اقترنت بحرف التنبيه "الهاء" وفي: أولاء، حذفت عن الكلمة هذه الهاء، كما في قولنا: هذا مقترناً بحرف التنبيه و: ذا، دونه. كما ألاحظ في لفظ أولاء مداً وإطالة لحركة الهمزة مما تولد عنها حرف المد الواو: أولاء.

وعند العودة إلى موضوع التبادل بين الهمزة والهاء تفيد الوقائع إمكان تبادل المواقع بينهما، وهي ظاهرة قديمة عند العرب؛ إذ جاء في اللسان ((إياك أن تفعل ذلك وهياك، الهاء على البدل، مثل: أراق وهراق))[٩]، وورد أيضاً أن الحجازيين هم الذين يقلبون همزة الاستفهام هاء في مثل قولهم: ها، إنك زيد ؟ [١٠] ويريدون أإنك زيد.

بعد هذا العرض في موضوع التبادل بين الهمزة والهاء أخلص إلى أنه واقع في العربية نظراً للاتحاد المخرجي بينهما، والاتفاق في صفة الهمس على رأي المحدثين،

---

(١) - راق الماء بريقه : أنصب، وهراق كذلك أراق. انظر لسان العرب مادة : هرق ج١٠ – ص: ٣٦٧. .
(٢) - انظر الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ص: ٢٩
(٣) - انظر لسان العرب لابن منظور مادة: هراق ج١٠ – ص: ٣٦٥.
(٤) - آل أصلها أهل ، ويتفقان في المعنى تماماً.انظر اللسان مادة: أهل.
(٥) - الإبدال والمعاقبة والنظائر ، ص: ٢٩.
(٦) - لسان العرب مادة وولى ج١١ – ص: ٣٠.
(٧) - المصدر مادة هيه ج ١٣ – ص: ٥٥٣ .
(٨) - انظر الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ٣٠.
(٩) - لسان العرب لابن منظور مادة أني ج١٥ –ص: ٤٣٨.
(١٠) - انظر العين للخليل بن احمد الفراهيدي ج٤ –ص: ١٠٣

وأُرجح أصالة الهمزة[١] في أكثر الكلمات وعرضية الهاء (وإن كانت الهاء أصلا في البعض) للأسباب التالية:

أ/ تأكد اللغويين أن بعض القبائل العربية تقلب همزة الاستفهام هاء[٢]، وفي ((هراقت السماء ماءها تهريق، والماء مهراق، الهاء في ذلك كله متحرك؛ لأنها ليست بأصلية، إنما هي بدل من همزة أراق ...))[٣].

ب/ الهمزة صوت حنجري شديد هربت عنه العرب في كثير من المواقع ، فلا يمكن أن يؤتى به مرة أخرى ليحل محل الهاء التي تخف عنه نطقاً.

٢/١- التبادل بين الهمزة والعين (ء- ع)

ورد تبادل بين الهمزة والعين، في نحو قولهم: ((هو عيصك وإيصك أي: أصلك، وهو يوم عك وأك[٤] وعكيك وأكيك وعبد[٥] وأَبد))[٦]

إن إبدال الهمزة عيناً ظاهرة تميمة[٧] ثبتت في النصوص العربية، فإنهم يجعلون بدل الهمزة العين.

وورد أنهم يقولون: عن عبد الله قائم[٨] يريدون إن عبد الله قائم.

وعند اللغويين أن الرديء والمذموم من اللغات كثير ((من ذلك العنعنة، وهي في كثير من العرب في لغة قيس، وتميم، تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً فيقولون في : أنك: عنك، وفي أسلم: عسلم، وفي أذن: عذن))[٩]

وتفسير إبدال الهمزة عيناً يكمن في صعوبة نطق الهمزة، نظراً لتطلبها جهداً عضلياً، قال ابن يعيش: ((اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به : إذ كان إخراجه كالتهوع فلذلك من

---

[١] - انظر إبدال الحروف في اللهجات العربية د. سالم السحيمي، ص: ١٣٤.
[٢] - انظر العين للخليل ج٤ – ص: ١٠٣.
[٣] - لسان العرب مادة هرق ج١٠ –ص: ٣٦٧.
[٤] - في اللسان يوم عك أو أك شديد مادة: أكك ج ١٠- ص: ٣٩٢.
[٥] - الأبد: الدهر، والأبد: الدائم. أنظر مختار الصحاح، مادة: أبد، ج١، ص:١.
[٦] - الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ٣٤.
[٧] - انظر إبدال الحروف في اللهجات العربية، ص: ١٢٩
[٨] - انظر الخصائص لابن جني ج٢ – ص: ١١.
[٩] - المزهر للسيوطي ج١ –ص: ٢٢٢.

الاستثقال ساغ فيها التخفيف، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز وهو نوع استحسان لثقل الهمزة))[١].

ويمكن القول اعتماداً على هذه الصعوبة لجأ العرب في حديثهم إلى التخلص عن الهمزة بإحدى ثلاث وسائل، هي:

إبدالها هاء[٢] أو تخفيفها[٣] (التسهيل) أو إبدالها عيناً، وصوت العين يخرج من مخرج مجاور لمخرج الهمزة، ثم إن صوت العين صوت احتكاكي، وصوت الهمزة شديد، فاستبدل الشديد بصوت رخو (احتكاكي) قريب منه مخرجاً، هو صوت العين، وهي عملية تلمس الأصوات السهلة.

٣/١- تبادل بين الحاء والهاء (ح-هـ)

هو تبادل بين أصوات حنجرية حلقية نحو قولهم: ((حم وهم، هو محموم ومهموم. ومدحته ومدهته. وحقحقة وهقهقة[٤]))[٥].

وفي اللسان حمني الأمر وأحمني: أهمني. واحتم له واهتم ... المعنى واحد[٦].

وعند اللغويين[٧] أن بين حقحق وهقهق إبدالاً، أما قولهم: قهقه فهو من قبيل القلب المكاني جاء بعد البدل.

فالتبادل بين الحاء والهاء يعود إلى التشابه النطقي بينهما، فهي ظاهرة صوتية محضة يقول السيوطي: ((ومن الحاء والهاء كدحه وكدهه[٨] وقحل جلده وقهل إذا يبس ..))[٩].

وثبت عن العرب التبادل بين الحاء والهاء، وهي مسألة صوتية إذ يتفقان في الصفات، أي في الهمس والاحتكاك والترقيق، ويتحدان في المخرج عند المتقدمين حيث يعدّونهما حلقيتين ويتقاربان مخرجياً عند المحدثين.

---

(١) - شرح المفصل لابن يعيش ج٩ –ص: ١٠٧.
(٢) - تقدم انظر ١لتبادل بين الهمزة والهاء ، ص: ١٦١ من هذا البحث
(٣) - انظر كتاب سيبويه ج٣ ص: ٥٤١.
(٤) - سير حقحاق ، سير الليل. اللسان ، مادة: حقحق، ج١٠، ص:٥٨
(٥) - الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ١٠٢ – ١٠٣.
(٦) - انظر لسان العرب مادة : حمم ج١٢ –ص: ١٥٢.
(٧) - هو ابن سيدة، راجع اللسان مادة حقحق ج١٠ – ص:٥٨.
(٨) – الكده بالحجر ، اللسان، ج١٣، ص:٥٣٣.
(٩) - المزهر للسيوطي ج١ – ص: ٤٦٦.

واعتماداً على هذا التشابه الكبير في الصفات والاتحاد في المخرج أقول يمكن وقوع التبادل الصوتي بينهما.

٤/١- التبادل بين الهاء والخاء (هـ - خ)

يقال: ((الطخا والطها[١] ويقال هرش الكلب يهرش هرشاً، وخرش يخرش خرشاً، ويقال: ظهيرة صيخود وصيهود، شديدة وقعة الشمس وقد صخدت وصهدت...))[٢]، وفي اللسان قد صهدهم الحر وصخدهم بمعنى واحد[٣].

ويمكن القول هنا اعتماداً على البعد المخرجي بين الهاء والخاء فيما استقر حديثاً، وبناءً على ما ورد عن اللغويين أن ((الطهاء لغة في الطخاء))[٤] يمكن أن أقرر عدم إمكان التبادل بين الصوتين، وما تم فهو من قبيل الاختلاف اللهجي فحسب.

---

[١] - هو الغيم أو السحاب المرتفع اللسان مادة طخو ج١٥ – ص: ١٧.
[٢] - الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ٥٣.
[٣] - انظر مادة صهد ج٣ –ص: ٢٦٠.
[٤] - لسان العرب مادة طها ج١٥- ص: ١٧.

٢- تبادل بين أصوات ما قبل وسط الفم (اللهاة والطبق)

٢/١- التبادل بين صوتي الغين والخاء (غ - خ)

يقال ((غط[١] يغط في نومه وخط يخط. دخل يدخل دخولاً، ودغل[٢] يدغل دغولاً))[٣].

وفي اللسان: ((الشاة إذا حلبت عند ولادتها يوجد في أحاليل ضرعها شيء يابس يسمى الصمخ والصمغ، الواحدة صمخة وصمغة فإذا قطر ذلك أفصح لبنها بعد ذلك واحلولى))[٤].

وبناء على ورود هذه الكلمات يمكن اعتبار التبادل بين الغين والخاء إذ إن الخاء هو النظير المهموس للغين فهما طبقيان (أقصى الحنك) احتكاكيان. لا يختلفان إلا في أن الوترين الصوتيين عند الغين يهتزان، ولا يهتزان مع الخاء.

واعتماداً على الاتحاد المخرجي والتشابه في كثير من الصفات أقول يمكن وقوع التبادل بينهما وأذهب إلى رجحان احتمال قلب الغين خاء؛ إذ إنها مجهورة، ومعلوم ((أن المهموس أخف من المجهور))[٥] فأبدلت الغين المجهورة بصوت مشابه لها مهموس، وهو صوت الخاء تخفيفاً.

٢/٢- التبادل بين صوتي القاف الكاف (ق -ك)

أي بين لهوي وطبقي تقول: دق يدق، ودك يدك[٦] قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾[٧].

وفي الصحاح ((الدك : الدق، وقد دكه إذا ضربه وكسره حتى سواه بالأرض))[٨] ومنه قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾[٩].

---

(١) - غط البعير غطيطا: هدر. راجع مادة: غط، اللسان، ج٧، ص:٣٦٢.
(٢) - في اللسان الدغل بالتحريك الفساد مثل الدخل وأدغل في الأمر أدخل فيه ما يفسده، راجع مادة دغل ج٤- ص: ٣٦٥..
(٣) - الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ٩١.
(٤) - اللسان مادة: صمغ ج٣ – ص: ٣٥.
(٥) - الكتاب ج٤ –ص: ٤٥٠.
(٦) - انظر الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ٧٧.
(٧) - سورة الفجر آية ٢١.
(٨) - الصحاح للجوهري مادة: دك ج١ –ص: ٨٧.
(٩) - سورة الحاقة آية ١٤.

ومنه قهر وكهر، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[١] قرئت الآية: ﴿فَلَا تَكهَرْ﴾[٢] بالكاف بدل القاف وهي قراءة ابن مسعود. [٣] ومنه قشط وكشط[٤] ((فتميم وأسد يقولون: قشطت بالقاف وقيس تقول: كشطت، وليست القاف في هذا بدلاً من الكاف؛ لأنهما لغتان لأقوام مختلفين))[٥].

تتجاور القاف مع الكاف مخرجياً فعند سيبويه ((من أسفل موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف))[٦]. وعند المحدثين أن القاف لهوية والكاف طبقية وكل منهما مرقق مهموس إلا أن القاف احتكاكية والكاف انفجارية ونظراً للقرب في المخرج والاتحاد في بعض الصفات أرى إمكان حدوث الإبدال بينهما. وورد هذا التبادل في النصوص العربية، وإذا أردت تفسير ذلك أجد القاف قد اتخذ اتجاهاً أمامياً، حيث إن مخرج القاف تقدم من اللهاة إلى منطقة الطبق مع المحافظة على الهمس، فنتج عن هذا التحول صوت الكاف التي هي مظان الخفة النطقية بدل القاف اللهوية.

٣/٢- التبادل بين الكاف والشين (ك –ش)

تقول لقيتُكِ ولقيتش، وهذا لكِ ولتش[٧] وفي هذا الإطار يذكر سيبويه أن كاف خطاب المؤنثة في حالة الوقف عليها تشبه كاف خطاب المذكر؛ لذلك عمدت العرب إلى التفريق بينهما[٨]

يؤكد هذا المنحى كثير من اللغويين الذين جاءوا بعد سيبويه، لأن ((من العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شيناً حرصاً على البيان: لأن الكسرة الدالة على التأنيث تخفى في الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شيناً، فقالوا: عليش، ومنش، ومررت بش، ومنهم من يجري الوصل مجرى الوقف فيبدل أيضاً))[٩].

---

(١) - سورة الضحى آية ٩.
(٢) - قرأ ابن مسعود وإبراهيم التيمي بالكاف راجع البحر المحيط ج١٠ –ص: ٤٩٨.
(٣) - انظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ١٠ – ص: ٤٩٨.
(٤) - قشط قشطاً: نزع وكشف، ومثله كشط اللسان ج٧ –ص: ٣٧٩.
(٥) - اللسان، مادة قشط ج٧ –ص: ٣٧٩.
(٦) - الكتاب ج٤، ص:٤٣٣.
(٧) - انظر الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ١٠٥.
(٨) - انظر الكتاب ج٤ –ص: ١٩٩.
(٩) - سر صناعة الإعراب لابن جني ج١، ص: ٢١٦.

إن صوت الكاف صوت طبقي وهو مهموس انفجاري مرقق، أما الشين فهي غارية، وهي صوت مهموس مرقق، وبناء على هذا القرب المخرجي والاتحاد في بعض الصفات اعتبر عملية البدل هنا ممكنة، إلا أن هذه الظاهرة ثبتت عند اللغويين كونها لغة لقبائل عربية[1] هم جماعة من تميم، وجماعة من أسد، وعرفت في الدراسات اللغوية بكشكة ربيعة[2].

[1] - انظر سر صناعة الإعراب، ج١، ص:٢١٦

[2] - انظر الكتاب ج٤، ص: ١٩٩.

٣- تبادل بين أصوات وسط الفم

٣/١- التبادل بين صوتي الياء والجيم (ي - ج)

تقول: كوفي – كوفج، علوي علوج – مري ومرج[١]. قال الراجز[٢]:

" جارية منزلها علوج
كيف بها وأنت ساجنج
مصوب عن دارها مرج"

يريد علوي وساجني ، ومري. [٣]

يلاحظ هنا إحلال الجيم محل الياء المشددة. وقد جاءت نصوص كثيرة على هذا المنوال تؤكده، وهي ظاهرة منسوبة إلى بعض القبائل العربية يقول سيبويه: ((وأما ناس من بني سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف؛ لأنها خفية، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف وذلك قولهم: هذا تميمج يريدون: تميمي وهذا علج، يريدون علي، وسمعت بعضهم يقول: عربانج، يريد: عرباني، وحدثني من سمعهم يقول:

"خالي عويف وأبو علج.
المطعمان اللحم بالعشّج.
وبالغداة فلق البرنج))[٤].

وزاد الصبان : يقلع بالود وبالصيصج[٥]

تعرف هذه الظاهرة عند الدارسين باسم: العجعجة[٦] ونسبها السيوطي إلى قبيلة قضاعة، وعدها ضمن اللغات الرديئة والمذمومة، في قوله: ((العجعجة في لغة قضاعة يجعلون الياء المشددة جيماً ...))[٧]

---

(١) - انظر الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ١٠٣.
(٢) - المصدر ص: ١٠٤.
(٣) - ساجني منسوب إلى ساجنة وهي بلد ، ومري منسوب إلى مرّة.
(٤) - الكتاب ج٤ – ص: ١٨٢. والبارنج هو جوز الهند وهو البرنيّ.
(٥) - انظر الحاشية على شرح الأشموني، ج٤، ص:٣٩٤. وفي رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعرّي:
لا تعجبي لحجة المحتج
إن الفرار في الحروب منج
خالي لقيط وأبو علج ....
والصيصج شوك يُؤكل به، ومنه صيصة الديك التي في رجله.
(٦) - انظر إبدال الحروف في اللهجات العربية للسحيمي، ص:٢٤٣
(٧) - المزهر ج١، ص:١٢٢

فالياء صوت غاري مجهور مرقق، والجيم أيضاً صوت غاري مجهور مركب، ولما كانت الياء مشددة فصارت كأنها مركبة، حينئذٍ قربت من الجيم كثيراً لتشابهها معها في جل الخصائص مما جَعَلَ من عملية التبادل شيئاً غير غريب اختصت به بعض القبائل دون بعض، وإن كانت الجيم أثقل من الياء.

أما عن قلب الجيم ياءً فورد نادراً، ذكر السيوطي أنّ أعرابيةً[1] سُئلت ((هل يبدل العرب من الجيم ياءً في شيءٍ من الكلام؟ فقالت: نعم، ثم أنشدتني:

إذا لمْ يَكُن فيكُنّ ظِلّ ولا جنًى * فَأَبْعَدَكُنّ الله من شَيَرَاتٍ))[2]

قولها شيرات: قلبت فيها الجيم ياءً، والياء هنا أخف من الجيم كثيراً ويُؤيّد هذا الإبدال الدلائل الصوتية.

٢/٣- تبادل بين صوتي الشين والجيم (ش ــ ج)

جرى تبادل بين الشين والجيم في قولهم: ((هبش وهبج وهو الدق، ومكان شاس وجاس أي: مرتفع، وعنز جاسية وشاسية أي قليلة اللبن، وشمخ الرجل يشمخ شموخاً فهو شامخ، إذا نخا بأنفه وتكبر، وجمخ يجمخ جموخاً فهو جامخ ...))[3]

ظاهر النصوص يفيد بوقوع التبادل بين الشين والجيم، والشين صوت غاري مهموس احتكاكي – والجيم أيضاً غاري مجهور مركب فلم يتفقا إلا في المخرج والترقيق، ومادام بهذه الحال فإن الاتجاهات الصوتية توحي ببعد التبادل بينهما؛ لأن العلاقة بينهما لم تكن قوية لهذا أرجح أن يكون التبادل قد نشأ عن الألفون لصوت الجيم؛ فالجيم صوت مركب والتركيب جمع بين الانفجار والاحتكاك، فخفف هذا بذوبان الانفجار ليبقى الاحتكاك وحده، نتج عنه الألفون الذي عرف بالشين التي تشبه الجيم؛ إذ ورد في الكتب القديمة أن هناك شيناً تشبه الجيم كقولهم: (الشين التي كالجيم) أو ((الحرف المعترض بين الشين والجيم))[4] وهذا من الفروع الصوتية التي تعرف في الدرس الصوتي بالألفون (Allophone) وهي عملية استحسنها اللغويون قديماً[5].

---

[1] - هي عثيمة المشهورة بأمّ الهيثم المزهر ج١، ص: ٤٧٥.
[2] - المزهر ج١ –ص: ٤٧٥.
[3] - الإبدال والمعاقبة والنظائر، ص: ٥٨ ــ ٥٩.
[4] - المقتضب للمبرد ج١، ص: ١٩٤.
[5] - انظر الكتاب ج٤، ص: ٤٣٢.

ووجه شبه هذا الصوت بالجيم فلأنه ينطق مجهوراً، أمّا من حيث إنّه كالشين فلأنّه ينطق رخواً من مخرج الشين، فلذلك عدّوه بين الجيم والشين، فأخذ صفة الجهر من الجيم وصفة الاحتكاك من الشين. ويصف ابن جني هذا الصوت بقوله: أمّا الشين التي كالجيم فهي الشين التي يقلّ تفشيها واستطالتها وتتراجع قليلاً متصعدة نحو الجيم[١]،وهي التي يسمّيها بعض المحدثين بالشين المجهورة ، فتكون الألفون (Allophone) الذي يتفرع عن الجيم العربية بدلاً عنها أو فرعاً عنها ويرمز له بـ: /J/ [٢].

وإذا صح هذا، فتكون الكلمات المشتملة على الجيم هي أصل والتي تشتمل على الشين فرع عنها، وهي عملية تحدث من أجل تلمس الأصوات السهلة.

٣/٣- التبادل بين اللام والنون والراء (ل – ن – ر)

فمما هو بين النون واللام قولهم: أبّنت الميت وأبّلته[٣] وإسرائيل[٤] وإسرائين أنشد الفراء:

يَقولُ أَهلُ السّوق لمّا جِينَا * هذا وَرَبُّ البيتِ إِسْرائينا[٥]

وهتلت السماء وهتنت تهتن وتهتل، هتناناً وهتلاناً[٦].

دلّت النصوص على حدوث التبادل بين النون واللام؛ إذ العلاقة بينهما هي اتفاقهما في الجهر والترقيق والمخرج الذي هو اللثة، وهما من الأصوات المائعة[٧] إلا أن الهواء المصاحب لهما يخرج مع النون عن طريق التجويف الأنفي ومع اللام بأحد جانبي اللسان عبر الفم.

ولهذه العلاقة القوية أرجح إمكان وقوع التبادل بينهما، كما أرجح في إسرائيل أن اللام تحولت إلى نون بناءً على قاعدة الأصالة للذي يكثر في الاستعمال، فإسرائيل أكثر استعمالاً من إسرائين، ولم يرد في القرآن لفظ إسرائين مرة [٨]. أما في قولهم ((ما قام زيد بل عمرو، وبن عمرو، فالنون بدلٌ من اللام، ألا ترى إلى كثرة استعمال (بل) وقلّة

---

(١) - انظر سر صناعة الإعراب ج١ – ص ٥٠.
(٢) - انظر المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، ج١،ص:٤٣.
(٣) - في اللسان: أبّن الرجل وأبّله مدحه بعد موته. مادة: أبن ج١٣، ص:٤.
(٤) - معنى إسرائيل نذر الله وهو لقب يعقوب عليه السلام ثم أطلق على زريته. الإبدال والمعاقبة ص:٩٢.
(٥) - انظر المعاني الكبير في أبيات المعاني، عبد الله أبو محمد بن قتيبة بن مسلم، ص: ١٠٠١.
(٦) - انظر الإبدال والمعاقبة والنظائر|، ص: ٩٢ – ٩٦.
(٧) - انظر ص: ١٥٨ من هذا البحث في موضوع حدوث الإبدال.
(٨) - انظر من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس، ص: ٧٩.

استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل ... وكذلك قولهم: رجلٌ خاملٌ وخامنٌ ، النون بدل من اللام، ألا ترى أنه الأكثر ...))[1] عند المتقدمين أن ((هتلت السماء وهتنت هما أصلان ألا تراهما متساويين في التصرف، يقولون هتنت السماء تهتن تهتاناً، وهتلت تهتل تهتالاً، وهي سحائب هتن، وهتل))[2].

ورأي المحدثين فيه، هو حكمهم بأصالة تهتان بالنون، والتهتال باللام فرعٌ عنه؛ لأنّه حينما ((يرد كل من النطقين في نصوص قديمة فكثرة الشواهد الخاصة بأحد النطقين ترجح في الغالب أصالة التهتان لكثرة شواهدها في معاجم اللغة، في حين أن التهتال لم يرد لها إلا شاهد واحد نراه ملتزماً في كتاب ابن السكيت ولسان العرب))[3] وبهذا تكون اللام قد حلت محل النون، وأخلص بأنهما قد تساويا في التبادل نظراً للقرب الشديد بينهما: ولانعدام خفّة أحدهما على الآخر، لذلك تحلّ النون محلّ اللام، وتحلّ اللام محل النون فيما تقدّم.

وورد التبادل بين الراء واللام في نحو قولهم: ((هو منك أو جل وأوجر، قال الشاعر:

" لَعَمْرُك مَا أَدْرِي وإِنّي لأَوْجَلُ * عَلَى أيّنا تَأْتِي المَنِيّةُ أوّلُ" [4]))[5].

وقولهم: ربكت الثريد ولبكته[6]؛ وفي اللسان ((في أسنانه رصص ولصص))[7] وقولهم: خلق وخرق، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [8] قرئت "خرقوا"[9]، ((وخرقوا أي اختلقوا وافتروا ويقال خرق الإفك وخلقه واختلقه واخترقه ...))[10].

هذه الشواهد تفيد بوقوع تبادل المواقع بين الراء واللام عند العرب، وليس فيه ما يدعو إلى الدهشة؛ إذ العلاقة بين الصوتين واضحة؛ لاتفاقهما في المخرج والصفات إلا التكرار والانحراف. ونظراً لهذه التشابه في الصفات والاتحاد في

---

(١) - الخصائص لابن جني ج٢، ص: ٨٤.
(٢) - الخصائص لابن جني ج٢، ص: ٨٢.
(٣) - من أسرار اللغة – د/ أنيس ص: ٧٩.
(٤) - هو معين ابن أوس المزني، انظر زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي الحصري، ص:١٧٠٤.
(٥) - الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ٦٩.
(٦) - لبك، أي: خلطته. اللسان، مادة: لبك، ج١٠، ص:٤٨٢.
(٧) - اللصص تقارب ما بين الأضراس حتى لا ترى بينها خللاً، اللسان مادة الصص ج٧ ، ص: ٨٧.
(٨) - سورة الأنعام آية ١٠٠.
(٩) - انظر الكشاف للإمام الزمخشري ج٢، ص: ٥٣.
(١٠) - البحر المحيط لأبي حبان الأندلسي ج٤، ص: ٦٠٣.

المخرج كانت ((تدغم هذه اللام والنون مع الراء ... لتقاربهن ...))[١]. هذه العوامل هي السبب المباشر في إحلال أحدهما محل الأخر.

٤/٣- تبادل بين أصوات لثوية أسنانية (س – ز – ص – ض – ت – ط –د)

أ- فمما هو بين السين والزاي ورد قولهم: شَزَبَ الفرس وسَسَبَ[٢] وفي اللسان ((الشاسِب لغة في الشازِب وهو النّحيف اليابس من الضُمر))[٣].

ومنه سرط اللقمة وزرطها[٤] وارتجز وارتجس[٥]؛ ولذا يقول الجوهري في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء ﴾[٦] فهو العذاب ... ويقول الفراء في قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [٧] ((إنه العقاب والغضب، وهو مضارع لقوله: الرجز، قال: ولعلهما لغتان أبدلت السين زاياً كما قيل للأسد الأزد))[٨].

ب- ومما بين الصاد والسين قولهم: ((قصصت خبري وقسسته، وقد أفرسك وهو من الفريصة والفريسة. ويقال للرّمّاح: المداعِص والمداعِس. قال الشاعر:

" ...تكسارة القَنَى المُدَاعِصا" [٩]

وقال آخر:

"فَأُبْنا وأَبْقَى طَعْنُنا منْ رِمَاحِنَا * مَطَارِدَ خَطِّيٍّ وحُمُراً[١٠] مُدَاعِسَا"[١١]))[١٢].

---

[١] - الكتاب ج٤ –ص: ٤٤٨.

[٢] - عند ابن جني ليست الزاي ولا السين بدلاً إحداهما من الأخرى لتصرف الفعلين. سر صناعة الإعراب ج١ ص: ١٩٥.

[٣] - اللسان مادة: شسب ج١ – ص: ٤٩٨.

[٤] - المصدر ، مادة: زرط، ج٧، ص:٣٠٧..

[٥] - انظر الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ٦٦- ٦٧.

[٦] - سورة البقرة آية ٥٩.

[٧] - سورة يونس آية ١٠٠.

[٨] - الصحاح مادة رجس ج١ –ص: ١٧٨.

[٩] - تمام البيت في الديوان :"فإن يلق قومي قومه تر بينهم * قتالا وأكسار القنى ومداعصا" شرح ديوان الأعشى، ص: ١٠٣.

[١٠] - مطارد خطيّ هي السهام. مداعسة مطاعنة بالرماح.

[١١] - الأصمعيات، عبدالملك بن قريب أبو سعيد الأصمعي، ص: ٩٠.

[١٢] - الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ٦٠- ٦٢.

يقول ابن منظور: ((المداعسة بالرماح حتي تقصد، أي تكسر، ورجل مُدْعس: طعّان))[١]، ويقول: دعصه بالرمح طعنه به، والمداعص: الرمّاح، ورجل مُدْعَصٌ بالرمح: طعّان [٢] فيستوي الصوتان في الكلمة دون أدني تغيير في معناها.

ج- ومما هو بين الصاد والزاي قولهم:" أصدرت الإبل وأزدرتها، ومكان شأز وشأص أي مرتفع وامرأة ناشز[٣] وناشص[٤].

ومما هو بين الثلاثة السين والصاد والزاي قولهم: ((بزق وبصق وبسق، وهو البزاق والبصاق والبساق، وقد لصق ولزق ولسق، والصقر والزقر والسقر. ومنه الرجس والرجز والرجص وهو الشيطان))[٥] .

تشترك هذه الأصوات الثلاثة (س- ص- ز) في أن مخرجها واحد، وهو الأسنان واللثة عندما يتصل بهما ذلق اللسان، لقول سيبويه ((ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد))[٦] كما تشترك أيضاً في صفة الصفير الذي يصاحب نطقها فيطلق عليها الأصوات الأسلية أو الصفيرية[٧]. وسميت بهذا لأن الصوت يخرج معها بما يشبه الصفير[٨]. وتشترك أيضاً في نقطة ثالثة وهي أن خروج الهواء المصاحب لها عند تكونها يخرج محتكاً بالمخرج من غير انحباسٍ تامٍ كما يحدث مع الأصوات الانفجارية، فهي رخوة (احتكا كية).

نظراً لهذا التشابه الكبير بينها والاشتراك في كثير من الخصائص سهلت عملية التبادل بينها.

السين والزاي

دلّت الشواهد علي وقوع التبادل بين السين والزاي، والسين هي التي تقلب زايا كثيراً، لأنّها إن كانت ((في موضع الصاد وكانت ساكنة لم يجز إلا الإبدال إذا أردت التقريب، وذلك قولك في التسدير: التزدير، وفي يسدل ثوبه: يزدل ثوبه؛ لأنها من

---

[١] - اللسان مادة: دعس ج٦- ص: ٨٤.
[٢] - المصدر مادة: دعص ج٧- ص: ٣٦.
[٣] - المنشاص المرأة التي تمنع فراشها في فراشها. الفراش الأول الزوج، انظر اللسان، مادة نشز، ج٧- ص: ٩٧.
[٤] - انظر الإبدال والمعاقبة والنظائر ص:٨٩-٩٠
[٥] - المصدر السابق ٦٤-٦٥
[٦] - الكتاب ج٤، ص: ٤٣٣.
[٧] - انظر الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس ص.٧٤
[٨] - انظر الكتاب ج٤، ص: ٤٣٣

موضع الزاي وليست بمطبقة...))[1] فالسين المهموسة لما جاورت الدال المجهورة جرتها إليها للانسجام بين الأصوات المتجاورة، فقلبت صوتاً مجهوراً يحمل خصائص السين وهو صوت الزاي.

الصاد والسين:

ظهر من خلال العرض أن الصاد والسين يتبادلان المواقع ولا فرق بينهما إلا التفخيم في الصاد والترقيق في السين، يقول سيبويه: ((لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سيناً...))[2] ويشترط لإبدال السين صاداً أن يقع بعد السين صوت مفخم، تناول سيبويه الموضوع تحت عنوان: (هذا باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات)[3] وسبب قلبها ((القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة))[4] ولما كانت السين صوتاً مرققاً لا يناسبها إلا المرقق، فلما وقع بعدها صوت مفخم في كلمة واحدة، صعب التناسب بينهما، فجذب السين المرقق ليناسبه في التفخيم، ونظير السين المفخم هو صوت الصاد ((فلما كان كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجهٍ واحدٍ وهي الصاد، لأن الصاد تصعّد إلى الحنك الأعلى للإطباق))[5].

هذه الظاهرة تعرف في الدراسات الصوتية بالمقاربة بين الأصوات لتنسجم عند تجاورها دون حدوث شيء من التنافر النطقي بينها، وهي غير متوقفة على القاف فحسب، بل إذا وقعت بعد السين الخاء والغين وهما بمنزلة القاف[6].

وفي النصوص العربية كثير من الكلمات يظهر فيها التبادل بين السين والصاد ولم أجد بعدها صوتاً من أصوات التفخيم كما اشترطه سيبويه نحو: فريسة وفريصة ومُداعِس ومُداعِص[7] لذا أُرجّح أن هذا من قبيل الإبدال الذي يشتهر في بعض البيئات منه لفظ، ولفظ آخر في بيئةٍ أخري وما توفّر فيه الشرط فهو من قبيل الانسجام الصوتي بين الأصوات المتجاورة وهي عملية المقاربة، أو المماثلة الصوتية عند المحدثين.

---

(١) - الكتاب، ج٤، ص: ٤٧٨-٤٧٩

(٢) – المصدر السابق، ج٤- ص: ٤٣٦.

(٣) - انظر المصدر السابق، ج٤ ص: ٤٧٩

(٤) - المصدر السابق والصفحة.

(٥) - المصدر السابق ج٤ ص:٤٨٠

(٦) – انظر المصدر السابق والصفحة

(٧) - تقدم في هذا البحث راجع ص:١٧٢.

الصاد والزاي:

هما صوتان أسنانيان لثويان صفيريان احتكاكيان، إلا أن الصاد مهموس مفخم والزاي مجهور مرقق، وفي النصوص العربية ما يشير إلى حدوث التبادل بينهما، وأكّده اللغويون، إذ إنهم سمعوا العرب الفصحاء يجعلون الصاد زاياً خالصة، ((وذلك قولك في التصدير: التزدير، وفي الفصد: الفزد وفي أصدرت: أزدرت))[١].

جعلوا الصوت الأول تابعاً للآخر فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي لأنها مجهورة غير مطبقة. ويمكن اعتبار هذا الإبدال من قبيل البحث عن التخفيف؛ إذ التفخيم شدّة وصعوبة فمال المتحدّثون إلى الترقيق بإزالة التفخيم عن الصاد فصارت سيناً، ونتيجةً لتجاور الصاد مع الدال بعدها جرّتها إليها، فأصبحت مشابهةً لها في الجهر وهي الزاي، فهي مقاربة رجعية، والعملية في مجملها تتوافق مع نظرية السهولة واليسر.

٤/٣- التبادل بين التاء والدال والطاء (ت - د - ط)

فمما هو بين التاء والدال قولهم: ((السّتَى والسّدَى، وأستيت الثوب وأسديته))[٢] وقولهم: ((رميت مدّ يدي ومتّ يدي))[٣] وفي اللسان: "المتّ كالمدّ"، ومنه أيضاً: ((سَبَنْتَى وسَبَنْدَى))[٤].

ومما هو بين التاء والطاء، قولهم ((غَلِتَ وغَلِطَ، وهو الغَلَتُ والغَلَطُ))[٥] ومنه: قطر وقتر، والأقطار والأقتار))[٦] وهو قطر الأرض وقترها. وفي التنزيل ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ﴾[٧] أقطارها نواحيها واحدها قطرٌ وكذلك أقتارها واحدها قتر))[٨].

---

(١) - الكتاب ج٤- ص: ٤٧٨
(٢) - الإبدال والمعاقبة والنظائر ص:٤٢
(٣) - اللسان، مادة: مدد ج٢ - ص٨٨
(٤) - المزهر ج١- ص: ٤٦٤. السبندى الجريء أو الطويل، وقيل هو النمر.
(٥) - الإبدال والمعاقبة والنظائر ص: ٤٥
(٦) - المزهر للسيوطي ج٤- ص٤٦٤
(٧) - سورة الرحمن آية: ٣٣
(٨) - لسان العرب مادة: قطر ج٥ - ص٤٠٦

ومما هو بين الدال والطاء قولهم: أبْعَطَ وأَبْعَدَ وهو الإبعاد والإبعاط[١]، ومنه: ((دحا الأرض و طحاها، أي: بسطها))[٢] وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾[٣] قال الفرّاء: طحاها ودحاها واحد، فأبدل الطاء من الدال))[٤]. ومنه أيضاً قولهم: ((مدّ الحرف ومطّه، وبَدَغَ وبَطَغَ[٥]... وما عندي إلا هذا فَقَدْ، وإلا هذا فَقَطْ))[٦].

أما ما هو مشترك بين الثلاثة (ت– د– ط) فيقولون: ((ترياق وطرياق ودرياق))[٧] وورد أيضاً: ((مدّ– يمدّ – مداً ، ومطّ – يمطّ – مطاً ، ومتّ – يمتّ – متّاً ، وكذلك، قط – يقط – قطاً ، وقدّ – يقدّ – قداً ، وقتّ – يقتّ – قتّاً))[٨].

هذه الشواهد أوردها الزجاجي بغية تأكيد وقوع التبادل بين هذه الأصوات الثلاثة (ت – د – ط)، ولكن رغم التشابه الكبير والتداخل بينها ، لا ترقى هذه الشواهد المعروضة إلى المستوى الذي يجعلها قويّةً في إثبات التبادل بين هذه الأصوات الثلاثة، لأن الترياق لفظ فارسيٌّ عُرِّب[٩] ويعني دواء السموم– وابتعاد أَصْلِيّته عن العربية يجعله في وضعٍ خاص ، يقلل من قوته في إثبات قاعدةٍ في صميم لغةٍ لم يكن أصلاً فيها.

كما أن ((قطّ وقدّ يشتركان في المعنى وهو القطع))[١٠] بخلاف القَتّ بالتاء، فرغم البحث المتأني لم أجد له علاقةً معنويةً بينه وبين قط وقد، وكل ما تشير إليه المعاجم هو الافتراق الشديد؛ إذ يعني الكذب والنميمة[١١].

وهذا يجعلني أميل بعدم وقوع التبادل بين هذه الألفاظ، ومن ثم إن هذه الشواهد لا ترقى إلى تأكيد التبادل بين الأصوات الثلاثة، كما هو في السين والصاد والزاي.

---

(١) - في اللسان: أبعط يعني أبعد والإبعاط هو الإبعا د، ويحكي أن إعرابياً مشى في صلح بين قوم فقال: لقد أبعطوا إبعاطا شديداً وروى سلمة عن الفراء، قال: يبدلون الدال طاءً فيقولون: ما أبعد طارك أي ما أبعد دارك. راجع اللسان ، مادة : بعط، ج٧، ص: ٢٦٢.

(٢) - الإبدال والمعاقبة والنظائر، ص: ٤٣- ٤٤.

(٣) - سورة الشمس آية ٦

(٤) - لسان العرب مادة: طحا ج١٥- ص٤

(٥) - بدغ يعني تلطخ بعذرته، ويُروى بطغ يعني تلطخ بالشرّ.

(٦) - المزهر ج١ -ص٤٦٦

(٧) - الإبدال والمعاقبة والنظائر ص ٤٠- ٤١

(٨) - المصدر والصفحة.

(٩) - انظر اللسان مادة: ترق ج١٠- ص٣٢.

(١٠) - المصدر السابق ج٣- ص٣٤٤ و ج٧ – ص٣٨٠.

(١١) – انظر المصدر السابق مادة: قتت ج٢ – ص٧٠.

٣/٥- التبادل بين صوتي الضاد والظاء (ض - ظ)

ومنه قولهم: ((فاظت روحه، وفاضت، أي خرجت، وهو الحُضُض والحظظ[١] وفيه أيضاً لغات، وضفيرة وظفيرة[٢] .... وضبيٌ وظبيٌ))[٣]

ودلّت الروايات والنصوص العربية على ثبوت التبادل بين صوتي الضاد والظاء لا شتراكهما في بعض الصفات والخصائص.

وأؤيّد فكرة من يقول: إن ((من العرب من يبدل الضاد ظاءً مستشهداً بقولهم: ((عَظَّت الحرب بنو تميم))[٤]. يفهم أن إبدال الضاد ظاء عبارة عن ظاهرة لهجية لمجموعة من العرب في بيئة من البيئات، ويُؤكّد هذا الزعم القراءة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[٥] ، يذكر الزمخشري أنها قُرِئَت : ((بظنين))[٦] أي بقلب الضاد ظاءً.

وتجدر الإشارة إلى أن العرب في نطقهم يُمَيّزون بين الضاد والظاء تمييزاً واضحاً، إلا أن بعض القبائل هي التي تنطق بالضاد ظاء، ويمكن إرجاع ذا إلى القرب المخرجي بين الصوتين ، والعلاقة القويّة في بعض الصفات، حيث إن كلاً منهما مجهور مطبق، ويختلفان في المخرج والاحتكاك والانفجار، لعلّ هذا القرب في الصفات والمخرج جعل الوقع في السمع متشابهاً، فَتَوَلّدَ عنه التبادل.

٤- تبادل بين أصوات نهاية الفم:

(الشفة السفلى مع الثنايا العليا ، والشفتين معاً . وأُلحق بها بعض الأصوات اللثوية) .

١/٤ التبادل بين صوتي النون والميم (ن - م):

نحو قولهم : ((امتقع لونه وانتقع إذا تغيّر لفزعٍ، ونحو : غِيمَ على قلبه، وغِينَ أي غُطّيَ، قال الشاعر[٧] :

---

(١) - الحَظْظُ والحَظَظُ لغة في الحَضُض، وهو دواء راجع مادة: حظظ، الصحاح للجوهري ج٣ – ص١١٧٢.

(٢) - الضفيرة كل خصلة من خصل شعر المرأة تضفر، راجع مادة: ضفر من لسان العرب ج٣ – ص٧٠.

(٣) - الإبدال والمعاقبة والنظائر ص:٥٩-٦٠

(٤) - الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص:٥٤

(٥) - سورة التكوير آية:٢٤

(٦) - هي قراءة بن كثير وأبو عمرو والكسائي، وبن محيصن، راجع الميسر في القراءات الأربع عشرة، محمد فهد خاروف، ص: ٥٦٨، وكذلك البحر المحيط للزمخشري ج ١٠ ص:٤١٩

(٧) - انظر معجم الشعراء محمد بن عمران المرزباني، ص:٨٤٨.

"وأَنْتَ حَبَوتَنِي بِعِنانِ طَرْفٍ شَدِيدَ الشدِّ في بذلٍ وصَوْنِ
كَأَنِّي بَينَ خَافِتَي[1] عِقَـــابٍ يُرِيدُ حَمامَةً فِي يَوْمِ غَيْنِ")) [2]

أي: يَوم غَيْمٍ

هذه شواهد قليلة من كثير، تفيد إمكان وقوع التبادل بين الميم والنون وهما صوتان يتّفقان في صفة الجهر والترقيق والأنفية، ويختلفان في المخرج ، فالنون لثوي والميم شفويّ . ومن خلال عرض المتقدمين لمسائلهما يترجح عندي تحوّل النون إلى ميم اعتماداً على أقوالهم ، حيث يذكر بن عصفور عند حديثه عن إبدال الميم، فيقول ((أبدلت من النون من قولهم : طانه الله علي الخير وطامه ، أي جبله وهو يطينه ، ولا يقال يطيمه ، فدلّ ذلك على أنّ النّون هي الأصل)) [3]، وعند سيبويه أن النون تبدل ميماً إذا سكنت النون وبعدها باء ، قال : ((الميم تكون بدلاً من النون في عنبر ، وشنباء ونحوهما إذا سكنت وبعدها باء))[4].

هذا الكلام استأنس به، ولا يكون ذا فائدة كبيرة فيما أنا بصدده ، إذ قلب النون فيما ذكره سيبويه يكون برهاناً على المماثلة النطقية بين الأصوات المتجاورة، وقد بيّن هو نفسه ذا، في كلامه ((وتقلب النون مع الباء ميماً؛ لأنّها من موضع تعتلّ فيه النون، فأرادوا أن تدغم هنا إذا كانت الباء من موضع الميم، ... ولم يجعلوا النون باءً لبعدها في المخرج ، وأنّها ليست فيها غنّة، ولكنّهم أبدلوا مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم، وذلك قولهم ممبك، يريدون: من بك، وشمباء وعمبر" يريدون شنباء وعنبر))[5].

إن هذا التحليل الصوتي لدي المتقدمين إن لم تكن له علاقة مباشرة فيما أنا بصدده إلا أنّه يدل بصلابة علي دراية المتقدمين وإلمامهم الواسع بما نُنادي به حديثاً من نظريات تعتمد علي تلمس الأصوات السهلة، أو التقارب بينها عند المجاورة.

ويفيدني من جانب آخر أن النون هي التي تقلب ميماً كثيراً في العربية، ولهذا أقرّر أنّ النون فيما تقدّم هي المقلوبة إلى ميم، أي أن المخرج اللثوي تحوّل إلى

---

(1) ـ الخافة لباس يلبسه العسال حتى لا تلسعه النحل، وخافتي عقاب بين حابسين يعاقب عليهما. اللسان ، مادة: خوف.

(2) ـ الإبدال والمعاقبة والنظائر ص ١٠٠.

(3) ـ الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي ص ٣٩٤

(4) ـ الكتاب ج٤- ص٢٤٠.

(5) ـ المصدر السابق ج٤ ص:٤٥٣

الشفة، التي هي آخر الأحياز من جهاز النطق، والصوتان معاً (النون والميم) هما من الأصوات المائعة والمتوسطة، فهو انسجام في المخرج.

٢/٤- التبادل بين صوتي اللام والميم (ل – م)

ومن التبادل بين اللثوية والشفوية قولهم : ((انجبرت يده على عثم وعثل))[١] وسممت ما عنده وسَلَمْت ما عنده ، وقولهم : أصابته أزمة و أزلة [٢]

وفي اللسان: ((عَثَمَتْ يده. تعثُم بضم الثاء، وتعثل: مثله[٣] و المأزم مثل المأزل[٤]))[٥].

ما تقدّم يفيد وقوع التبادل بين اللام والميم. ويترجح عندي أن اللام تحوّلت إلى ميم، أي أن الصوت اللثوي تقدم ليخرج من مخرج الشفة، وتسرب الهواء عبر الأنف .

والكلمتان اللتان يتم بينهما التبادل فإن كان معناهما متّحداً، واتّفقا في أكثر الحروف وترتيبها والباقي منها من مخرج واحدٍ أو من مخرجين متقاربين فهو إبدالٌ لغويٌّ، وانحصر هنا في صوتي اللام والميم وهما من الأصوات المائعة .

٣/٤ تبادل بين صوتي الثاء الذال (ث – ذ)

يقال : ((جثا على ركبتيه وجذا))[٦] وفي اللسان أن الجاذي كالجاثي [٧]

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[٨]

وقال تعالى: ﴿ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[٩] فقولهم : ((جذوت وجثوت إذا قمت على أطراف أصابعك))[١٠]ومنه: جثوة وجذوة يقال: جثوة من نار وجذوة، وجذذته وجثثته جثا، أي قطعته، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[١١] وقال

---

[١] - عثمت يده إذا جبرتها علي غير استواء. راجع اللسان مادة : عثم ، ج١٢- ص٣٨٤.
[٢] - انظر الإبدال والمعاقبة والنظائر ص ٩٨
[٣] - انظر اللسان مادة عثم ج١٢ – ص٣٨٤.
[٤] - المأزم والمأزل : المضيق راجع اللسان مادة : أزم ج١٢- ص١٧.
[٥] - المصدر السابق ج١٢- ص١٧.
[٦] - الإبدال والمعاقبة والنظائر
[٧] - انظر اللسان مادة جثى ج١٤- ص١٣٦.
[٨] - سورة مريم الآية ٦٨
[٩] - سورة مريم الآية ٧٢
[١٠] - سر صناعة الإعراب ج١ – ص١٨٩.
[١١] - سورة الأنبياء الآية ٥٨

تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ ﴾[1] ، وفي اللسان من العلماء من زعم أن الثاء بدل من الذال [2].

أفادت النصوص العربية إمكان وقوع التبادل بين الثاء والذال، وهما صوتان يخرجان من بين الأسنان، وكل منهما احتكاكي لا فرق إلا أن الثاء مهموس، والذال مجهور، وأرجح إمكان إبدال الذال ثاءً، لقول بعض العلماء أن الثاء بدل الذال [3]. فتحول الذال المجهور إلى صوت مهموس، وهو الثاء .

٤/٤- تبادل بين الثاء والفاء (ث – ف)

ومن التبادل بين الثاء والفاء قولهم : جدث وجدف ويعنيان القبر[4] وقولهم خرج الحَجَرُ وله حثيثٌ وحفيفٌ [5] ومنه ثومٌ وفومٌ، وقد قرئ بهما[6] قوله تعالى: ﴿ وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾[7].

هذان الصوتان لا يختلفان في شيء، كل منهما مهموس احتكاكي مرقق، والمخرجان متقاربان، وما حدث بينهما فيما تقدم يمكن أن يعدّ من قبيل التبادل اللغوي.

وفي جدث وجدف الوجه أن تكون الفاء بدلاً من الثاء : لأنهم أجمعوا في الجمع علي أجداث ولم يقولوا أجداف[8]، ثم إنّ تصرّف الفعل أيضاً له دور في إثبات الأصلية ألا ترى أن الفعل يتصرف منهما جميعاً، ولا أعلم لجدف بالفاء تصرفاً حدث، فلذلك قضيت بأن الفاء بدل الثاء [9] أي أن الصوت بين الأسناني تقدم إلى الأمام ليخرج من مخرج الشفة السفلى مع الثنايا العليا وهو الفاء .

---

(١) - سورة إبراهيم، الآية: ٢٦
(٢) - انظر لسان العرب ج١٤- ص١٣٣
(٣) - انظر المصدرالسابق مادة: حذو ج١٤- ص ١٣٣
(٤) - انظر الصحاح ، مادة: جدف - ج١ –ص٤١.
(٥) - انظر الإبدال والمعاقبة والنظائر ص ٨٨
(٦) - قرأ ابن مسعود "وثومها" والباقون بالفاء. راجع الكشاف ج١ – ص٢٨٥.
(٧) - سورة البقرة ، الآية: ٦١
(٨) - انظر سر صناعة الإعراب ج١ – ص٢٤٨.
(٩) - المصدر السابق نفسه والصفحة.

٥/٤- تبادل بين صوتي الباء والميم (ب – م)

ومن ذلك قولهم: مكّة وبكّة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[١] وقال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[٢] ومنه أيضاً قولهم: ((ومن السحاب بنات مَخْرٍ وبَناتُ بَخْرٍ))[٣]، وقال طرفة:

كَبَنَاتِ المَخْرِ بِمَأْدَنٍ كَمَا * أَنْبَتَ الصَّيفُ عَسَالِيجَ الخُضَرِ [٤]

وعند ابن جني ورد،((باسمك يريدون: ما اسمك. فهذه الباء بدل من الميم))[٥].

ويرجح أن تكون الباء أصلاً للميم لاسيما في بخر ومخر إذ ((هو مأخوذ من البخار لأن السحاب من بخار الأرض فعلى هذا الباء أصل، والميم بدل عنها))[٦] وهذا مذهب كثيرٍ من اللغويين [٧] والميم والباء صوتان شفويان مجهوران مرققان، يختلفان في أن الهواء المصاحب لهما، مع الميم أنفي، ومع الباء شفوي . وتحوّل الباء إلى الميم يعني خروج الهواء المصاحب لها عبر الأنف .

---

[١] - سورة آل عمران، الآية: ٩٦

[٢] - سورة الفتح، الآية: ٢٤:

[٣] - سحاب بخر سحب يأتي قبل الصيف لا ماء فيه – انظر الإبدال والمعاقبة والنظائر ص ٣٧

[٤] - انظر ديوان طرفة بن العبد، ص: ٥٣ .

[٥] - سر صناعة الإعراب لابن جني ج١، ص:١١٩

[٦] - شرح المفصل لابن بعيش ج١٠، ص:٣٥

[٧] - منهم أبو بكر محمد بن السري له رأيان رأي أنه مشتق من البخار ورأي ثان أنه يمكن اعتبار الميم في مخر أصل أيضاً غير مبدلة على أن تجعله من قوله عز اسمه :(وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) سورة فاطر الآية ١٢ . وذلك أن السحاب كأنها تمخر البحر، لأنها فيما تذهب إليه، عنه تنشأ، ومنه تبدأ. راجع اللسان مادة: مخر ج٥ – ص١٦٢.

المبحث الرابع

شواهد الإبدال الصرفي:

بعد ذكر شواهد الإبدال اللغوي أتناول هنا شواهد الإبدال الصرفي وما يجدر أن أشير إليه قبل الشروع فيها، هو أنّ الإبدال الصرفي لا تستعمل فيه الكلمتان المبدلة والمبدل منها، إنما يستخدم لها وجه واحد، هو الوجه بعد حدوث الإبدال. ولو استعملت الكلمة المبدل منها لكان ذلك خطأ [١]

وهذا عكس الإبدال اللغوي الذي يجوز الأمرين أي الكلمة المبدلة والمبدل منها، كل منهما جائز استعماله.

وقد أشرت من قبل إلى أن حروف الإبدال رغم الخلاف في عددها فهي عند ابن مالك ثمانية، تجمع في هجاء: "طويت دائما" [٢] ووافقه السيوطي [٣]
وهى عندي سبعةٌ، تجمع في :"مطةٌ يدنو" وما عداها فهو من قبيل الإبدال اللغوي.

إن الإبدال الصرفي يعدّ وسيلة مهمة في التحول عن الأصل لبنية الكلمة العربية، فالأصوات تشكل رابطةً داخليةً للكلمات حينما تتجاور يؤثّر بعضها في بعضٍ وفق قوانين صوتية محددة يحكمها الإبدال الصرفي، فإذا ما حدث أن التقت بعض الأصوات في كلمة، وحدث بينها شيء من التنافر، أو عدم الانسجام في الخصائص، أثّرت بعض الأصوات في الأُخرى لتقرّبها منها وفق نظامٍ فطن إليه الصرفيون في اكتشافاتهم المبكرة، إذ أجدهم يقولون بإبدال التاء طاءً في صيغة افتعل من الصبر: اصطبر، راصدين هذا النوع من الإبدال في اللغة العربية.
ومن خلال استقراء الشواهد، تبين أن أصوات التبادل الصرفي ليست كلها على مستوى واحد من حيث التبادل ، فهي منقسمة إلى :

أ- ما يبدل ويبدل منه، وهو التاء

ب- ما يبدل منه ولا يبدل، وهو الياء والواو والنون

ج- ما يبدل ولا يبدل منه، وهو الميم والطاء والدال .

---

[١] ـ انظر مفهوم الإبدال - الإبدال الصرفي، ص: ١٠-١١ من هذا البحث.
[٢] - انظر تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد لابن مالك ص:٣٠٠
[٣] - انظر همع الهوامع ج٢ ص: ٤٦٦

و سأبين النقطة الأولى والثانية وتدخل في الشرح الثالثة ضمناً، فإلى توضيح ذلك مع الشواهد:

١- إبدال التاء :

تبدل التاء دالاً وطاءً

١/١ إبدال التاء دالاً

إن الدال تبدل من التاء في العربية كثيراً، فأبدلت من تاء افتعل وما تفرع عنه باطراد إذا كانت الفاء زاياً أو دالاً أو ذالاً غير مدغمة فيها[١]، نحو:

الكلمة	أصلها	توضيح
ازدلف	ازتلف	جاءت تاءً الافتعال وقبلها الفاء زاياً، فقلبت التاء دالاً
ادارك	ادتارك	جاءت تاء الافتعال وقبلها الفاء دالاً، فقلبت التاء دالاً
مذركر	مذتكر	جاءت تاء الافتعال في متفرع الافتعال، والفاء ذالاً غير مدغمة فيها، فقلبت التاء دالاً

ومن الشواهد التي تدعم إبدال التاء دالاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٣]

وإذا أبدلت التاء دالاً بعد الذال جازت ثلاثة أوجه [٤] الإظهار نحو : اذدكر، والإدغام بوجهيه نحو: ادّكر واذّكر بذال، وهذا الثالث قليل . وقد قرئ شاذاً: ﴿فهل من مذّكر﴾[٥] ومما ورد في البخاري حديث أبو نعيم يقول: ﴿ حدثنا زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلاً سأل الأسود : فهل من مدّكر أو مذّكر ؟ فقال : سمعت عبد الله يقرؤها : فهل من مدّكر، قال وسمعت النبي (ﷺ) يقرؤها فهل من مدّكر دالاً ﴾[٦].

---

[١] - انظر المفصل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ج١- ص: ٥١٦ و كذلك الممتع في التصريف لابن عصفور ج١ – ص: ٣٥٦ – ٣٥٧.

[٢] - سورة القمر، الآية: ٤

[٣] - سورة القمر، الآية: ١٧

[٤] - انظر الصبان، ج٤، ص: ٤٦٦ – ٤٦٧

[٥] - في الكشاف ((المدكر، المعتبر، وقرئ: مذتكر على الأصل، ومذكر بقلب التاء دالا وإدغام الذال فيها))ج٤، ص:٣٨.

[٦] - صحيح البخاري للإمام البخاري، كتاب التفسير، باب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر، ج٦، ص: ١٧٨.

وفي مسلم ﴿ حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق: قال رأيت رجلاً سأل الأسود بن يزيد وهو يعلّم القرآن في المسجد، فقال : كيف تقرأ هذه الآية، فهل من مدّكر أدالاً أم ذالاً ؟ فقال: بل دالاً، سمعت عبد الله بن مسعود يقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: مدّكر دالاً ﴾[1].

ومن الشعر قول عمرو بن أبي ربيعة:[2]

"تَصابي القلبُ وادّكرا * صِباهُ ولمْ يكن ظَهَرا"

وقال الأعشى الكبير:

" فلمّا ادركتُ الحي أتلع أُنّس كما * أتْعلتْ تحتَ المَكانِس ربربَ" [3]

فالشاهد في الآيتين: مزدجر ومدّكر وفي الحديثين أيضاً مدّكر وفي البيتين: ادّكرا وادّركت، أبدلت تاء الافتعال دالاً فيها، وأصلها: مزتجر، ومذتكر، واذتكرا، وادتَرَكْتُ، فالتاء في الصيغة هي الأصل، وهجرت ليحل محلها صوت آخر استجابة للبيئة الصوتية المجاورة لها. ففي الكلمة الأولي الزاي مجهورة، وكانت الدال أخت التاء في المخرج وأخت الزاي في الجهر، قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعه بالزاي، وهي الدال [4]. فالإتيان بالدال جاء تلبية للظروف الصوتية التي وجدت فيها التاء ويصعب نطقها تاءً.

وفي الكلمة الثانية والثالثة والرابعة قربت التاء من الذال بذوبان همسها وإحلال الجهر محله، فصارت دالاً. والذال يختلف مع الدال في كيفية خروج الهواء؛ إذ الذال احتكاكية والدال انفجارية، ويتقاربان في المخرج رغم هذا، قربت الذال فاء الكلمة من الدال المنقلبة عن تاء الافتعال، فصارت دالاً مثلها، وأدغمت الدال في الدال.

وفي الكلمة الخامسة قربت تاء الافتعال من الدال فاء الكلمة، ولا خلاف بينهما إلا في وضع الوترين الصوتيين، فالدال مجهور والتاء مهموسة، فقربت التاء بذوبان همسها فصارت دالاً وأدغم الدالان.

---

[1] - انظر شرح صحيح مسلم القاضي عياض، باب ما يتعلق بالقرآن ج٣- ص: ٢٠٠

[2] - انظر شرح ديوان عمرو بن أبي ربيعة المخزومي، تحقيق عبد الحميد، ص: ٤٩٢ .

[3] - انظر شرح ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس د. حنا نصر الحتي ص:٤٦،

[4] - انظر سر صناعة الإعراب ج١- ص١٨٦ وكذلك الممتع في التصريف ج١ – ص٣٥٧

فلما كانت الفاء في الافتعال زاياً أو ذالاً قلبت التاء دالاً تلبية للظروف الصوتية التي وجدت فيها التاء ويصعب نطقها تاءً.

٢/١ إبدال التاء طاءً:

وردت نصوص كثيرة تؤكد إبدال التاء طاءً باطراد و((ذلك إذا كانت فاء افتعل أحد حروف الإطباق وهي أربعة: ص – ض – ط – ظ))[١]

الكلمة	أصلها	توضيح
اصطبر	اصتبر	وقعت تاء الافتعال تالية لصوت مطبق (مفخم) فقلبت طاءً
اضطرب	اضترب	وقعت تاء الافتعال تالية لصوت مطبق (مفخم) فقلبت طاءً
اطّرد	اطترد	وقعت تاء الافتعال تالية لصوت مطبق (مفخم) فقلبت طاءً
اظّلم	اظتلم	وقعت تاء الافتعال تالية لصوت مطبق (مفخم) فقلبت طاءً

هذا النوع من الإبدال ضروري محتم لا يمكن الاستغناء عنه ((فإن تاء افتعل إذا كانت فاؤه صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاءً، تقلب طاءً ألبتة، لا بدّ من ذلك كما لا بدّ من إعلال نحو: قال وباع ألبتة...))[٢].

ومن الشواهد في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾[٣]

ومن الحديث ورد أن ﴿عمرو بن عون أخبرنا خالد عن حصين عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسيد بن خضير رجل من الأنصار قال بينما هو يحدّث القوم وكان فيه مزاح بينا يضحكهم فطعنه النبي (ﷺ) في خاصرته بعود، فقال: اصبرني فقال اصطبر، قال إن عليك قميصاً وليس عليّ قميص، فرفع النبي (ﷺ) عن قميصه، فاحتضنه وجعل يقبل كشحه، قال إنما أردت هذا يا رسول الله﴾ [٤].

وعند الإمام مسلم ﴿حدثني محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا روح، أخبرنا بن جريج، أخبرني زياد أن ابن شهاب أخبره، أن أنس بن مالك أخبره، أنه رأى في يد

---

[١] - شرح المفصل لابن يعيش ج١- ص٤٦.
[٢] - سر صناعة الإعراب ج١ – ص٢١٧.
[٣] - سورة القمر، آية: ٢٧
[٤] – سنن البيهقي إمام المحدثين الحفظ أبو بكر البيهقي، كتاب النكاح، باب ما جاء في قبلة الجسد، ج٧، ص:١٠٢. وكذلك صحيح البخاري مع كشف المشكل للإمام ابن الجوزي، كتاب الاعتصام، باب: الاقتداء بأفعال النبي (ﷺ) ، ج٤ ، ص:٥٧٩.

رسول الله (ﷺ) خاتماً من ورق يوماً واحداً، ثم إن الناس اضطربوا الخواتم من ورق فلبسوها فطرح النبي (ﷺ) خاتمه فطرح الناس خواتمهم﴾ [١]

وقال زهير بن أبي سلمى:

" وهو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويُظْلَمُ أحياناً فيظلم "[٢]

وروي هذا البيت [٣]: فيظّطلم و فيظلم وفيطلم .

وقال الأعشى :

" تجلو البوارق عن طيان مُضطمر تخاله كوكباً في الأفق ثقّابا"[٤]

ويقول:

" ولكن لايصيد إذا رماها ولا تصطاد غانية كنُودُ "[٥]

وقال عمرو بن كلثوم :

إذا مارحن يمشين الهوينا كما اضطربت متون الشاربينا "[٦]

وقال :

" قلت عسى عند اصطباري وجدته لذكرتها إياي صرّت لها أُذني "[٧]

يلاحظ أن أصل هذه الشواهد في النصوص المتقدمة كانت مشتملة على تاء الافتعال، وقبلها الفاء صوت مفخم، والعلة في قلب هذه التاء، هي أن هذه الفاءات أصوات ((مستعلية فيها إطباق والتاء حرف مهموس غير مستعل فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافيه))[٨] فلما كان الوضع على هذا الحال ((قربوها من لفظ الصاد والضاد والظاء بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منهن وهو الطاء))[٩] بغية الانسجام بينها.

---

(١) ـ صحيح مسلم شرح الإمام النووي، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال، ج١٣، ص: ٦٩- ٧٠.

(٣) – دواوين العرب، ديوان زهير بن أبي سلمى، تقديم د/ محمد حمود، ص:١١٨.

(٣) (٤) الأشموني ج٢ – ص: ٤٦٥.

(٤) (٥) شرح ديوان الأعشي - ص ٥١

(٥) (٦) شرح ديوان الأعشي سابق ص ٨٠٩

(٦) (٧) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٠٧.

(٧) (٨)- شرح ديوان عمرو بن كلثوم ص ٢٩٥

(٨) ـ شرح المفصل لابن يعيش ج١٠- ٤٧.

(٩) انظر سر صناعة الإعراب ج١- ص: ٢١٧.

٢ـ إبدال الواو والياء:

تبدل الواو تاءً في موضعين تشاركها الياء في الثاني .

١/٢- **إبدال الواو تاءً إبدالاً صرفياً غير قياسيٍ** وذلك في نحو:

الكلمة	أصلها	توضيح
تجاه	وجاه	هو صيغة فعال من الوجه
تراث	وراث	هو صيغة فُعال من ورث
تقيا	وقيا	هو صيغة فُعلى من وقى
تكلان	وكلان	هو صيغة فَعلان من وكل

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾[١]

وقوله : ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾ [٣]

ومن الأبيات قول الشاعر :

فإنْ يَكُن أمْسَى البِلَى تَيْقُورِي [٤]

أصله: ويقور.

يلاحظ في هذه الكلمات، إبدال الواو تاءً، ويعلق على هذا ابن جني: أنه لايجوز القياس عليها لقلتها، بالإضافة إلى ما لم تقلب واوه تاءً في كلمات كثيرة من ألفاظ العربية، ((فلا تقول قياساً على تقية في وُقْية: تَزير في وَزير، ولا تقول في وجيهة: تجيهة))[٥]

---

[١] - سورة مريم الآية: ١٣

[٢] - سورة مريم الآية:٦٣

[٣] - سورة يوسف الآية: ٣١

[٤] - سر صناعة الإعراب ج١ – ص ١٤٦.

[٥] - المصدر السابق نفسه ج١ –ص: ١٤٥ – ١٤٦.

٢/٢ إبدال الواو والياء تاءً إبدالاً صرفياً ضرورياً قياسياً:

إن ما تقيس عليه لكثرته فافتعل وما تصرف عنه إذا كانت فاؤه واواً أو ياءً، فإنها تقلب تاءً وتدغم في تاء افتعل التي بعدها، و ما تفرع عنه.

الكلمة	أصلها	توضيح
اتزن	اوتزن	وقعت الواو فاء لافتعل، فقلبت تاءً وأدغمت التاءان
اتّعد	اوتعد	وقعت الواو فاء لافتعل، فقلبت تاءً وأدغمت التاءان
اتسر	ايتسر	وقعت الياء فاءً لافتعل، فقلبت تاءً وأدغمت التاءان
اتّبس	ايتبس	وقعت الياء فاءً لافتعل، فقلبت تاءً وأدغمت التاءان

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ ﴾ [١]

وقال الأعشى:

فإن تتّعدني اتّعدُكَ بِمِثلِها * وسوفَ أزيد الباقيات القوارصا"[٢]

وقال طرفة:

رأيت القوافي يتّلجنَ موالجا تضايق عنها أن تَوَلّجَها الإبر" [٣]

الشواهد في هذه النصوص هي: اتّقوا، تتّعدني، اتّعد، ويتّلجن، وأصلها بالترتيب: اوْتقوا – توْتعدني – اوْتعد – يوْتلجن – لما وقعت الواو فاءً للافتعال وما تفرع عنه، قلبت تاءً، وعلة القلب هي أنه لو لم يقلبوا الواو والياء في مثل هذا لوجب أن يتم تحويلهما إلى صوت مجانس للحركة التي قبلهما، فتقلب الواو ياء إذا انكسر ما قبلها، فتقول: ايتزن – ايتعد، وإذا انضم ما قبلها ردت إلى الواو، فقالوا: موْتَعد ومُوْتَسِر، وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فقالوا، ياتعد و ياتزن، فلو لم تقلب تاءً لأصبحت ياء مرة، ومرة ألفاً وأخرى واواً. فأرادوا أن يقلبوها حرفاً جلداً تتغير أحوال ما قبله وهو باق

---

[١] - سورة الأعراف آية: ٢٠١

[٢] - شرح ديوان الأعشى تحقيق كامل سليمان، ص: ١٠٢.

[٣] - ديوان طرفة بن العبد ، ص:٤٧.

بحاله، واختاروا التاء لأنها قريبة المخرج من الواو، فهي من أصول الثنايا والواو من الشفة، فأبدلوها تاءً وأدغموها في لفظ ما بعدها وهو التاء، فقالوا: اتّعد واتّزن[1].

وفعلوا هذا أيضاً في الياء وأجروها مجرى الواو، فقالوا في افتعل من اليبس واليسر: اتّبس واتّسر، وذلك لخوفهم من انقلابها واواً إذا انضم ما قبلها في نحو: موتبس، وألفاً في ياتبس، فأجروها مجرى الواو، فقالوا: اتّبس واتّسر، لما رأوا مصيرها إلى تغيرها لتغير أحوال ما قبلها، أبدلوا منها حرفاً يلزم وجهاً واحداً وهو التاء[2].

يشار إلى أن هناك قوماً من العرب يتركون هذا الإبدال، ويجعلون فاء الكلمة من جنس الحركات التي قبلها، فيقولون: ايتصل، ياتصل، فهو موتصل، وايتسر وياتسر، فهو موتسر[3]، يجري عليها من القلب ما تنكبه الآخرون، إلا أن الإبدال أولى وأكثر وأقيس، وهو لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن الكريم[4]. وتؤكدها الأحاديث النبوية، والنصوص الشعرية، وعليها سار المتحدثون متعاقبين.

٣ـ إبدال النون ميماً:

تبدل النون إبدالاً صوتياً صرفاً ضرورياً إذا سكنت ووقعت بعدها باء أو ميم تقلب في اللفظ ميما، نحو:

الكلمة	نطقها	توضيح
منبر	ممبر	وقعت النون ساكنة قبل باء فقلبت في النطق ميماً
قنبلة	قمبلة	.....
شنباء	شمباء	.....
عنبر	عمبر	.....
من معك	ممعك	وقعت النون ساكنة قبل ميم فقلبت في النطق ميماً وأدغمت الميم في الميم
من محمد	ممحمد	.....

[1] ـ انظر سر صناعة الإعراب ج١ ـص: ١٤٨.
[2] ـ انظر الأشموني ج٤ ـص: ٤٦٢ ـ ٤٦٣.
[3] ـ انظر المصدر السابق نفسه والصفحة.
[4] ـ انظر سر صناعة الإعراب ج١ ـ ص: ١٤٨.

إن النون الساكنة تتأثر بما يجاورها من أصوات، لذلك نجد لها عند القراء أحكاماً أربعة خاصة بها بخلاف بقية الأصوات في العربية، فتدغم مع الميم لاتحاد صوتيهما، حتى إنك تسمع النون كالميم والميم كالنون [1] وعندما تجاورتا قلبت النون ميماً وأدغمت فيها تحقيقاً للتماثل بينهما؛ نظراً لاتحادهما في كيفية خروج الهواء والجهر والميوعة.

وعندما جاورت الباء ساكنة، – والباء تختلف معها في المخرج والانفجار وطريق خروج الهواء– وأريد تماثلهما نتيجة للتجاور ((فقربوها من الباء بأن قلبوها إلى لفظ أقرب من الباء، وهو الميم، فقالوا: عمبر وقمبلة))[2] فالميم بها صفات من النون وصفات من الباء، فإذا ما تحركت النون سقط هذا التقريب، وبقيت النون قويةً بحركتها في نحو: منابر وقنابل وشنب وعنابر، وإنما قلبت لما وقعت ساكنةً قبل الباء، وهنا تحركت وفصلت عن الباء بحركتها. وهذا تفسير صوتي دقيق صلح في تلك الأزمان وما زال صالحا.

---

[1] ـ انظر الكتاب ج٤ – ص: ٤٥٢.

[2] ـ سر صناعة الإعراب ج ١ –ص: ٤٢١ – ٤٢٢.

الفصل الخامس

تفسير ظاهرتي الإعلال والإبدال

المبحث الأول :

تفسير الإعلال بالنقل

المبحث الثاني :

تفسير الإعلال بالحذف

المبحث الثالث :

تفسير الإعلال بالقلب

المبحث الرابع :

تفسير الإبدال .

تفسير ظاهرتي الإعلال والإبدال

يؤكّد اللغويون المحدثون أن أية دراسة على أي مستوى من مستويات البحث اللغوي تعتمد في كل خطواتها على نتائج التحليل الصوتي، وذلك بالطبع أمر يمكن إدراكه إذا عرفت أن الأصوات هي المظاهر الأولى للأحداث اللغوية، وهي كذلك بمثابة اللبنات الأساسية التي تتكون منها الكلمات، ومن ثمّ البناء الكبير الذي يتمثّل في العبارات والجمل .

وأستطيع التدليل لصحة هذا المنحى من خلال ظاهرتي الإعلال والإبدال اللتين تعدّان محورين من محاور علم الصرف الصوتي، وإنّه لمن المستحيل أن أبدأ دراستهما دراسة تحليلية دون تحديد صوتي لعناصرهما، أو دون التعرف على العوامل الأساسية المؤدية إلي التغيير والتبديل في هذه العناصر داخل الأبنية الصوتية؛ إذ التبدلات الصوتية تسعى كلها إلي غايةٍ واحدةٍ، هي تحقيق الانسجام الصوتي .

ومن هذا المنطلق أتتبع ظاهرة الإعلال والإبدال عند اللغويين من خلال عرض وصفهم مع طريقة تفسير المحدثين لهما، ذلك التفسير الصوتي الذي ينادون به، وترجيح ما أراه صواباً؛ إذ إن جل المتأخرين يتّفقون مع المتقدمين في تفسيرهم إلا أن هناك قلةً منهم كإبراهيم أنيس في كتابه: دراسات في علم اللغة، وعبد الصبور شاهين في كتابه: المنهج الصوتي للبنية العربية، و داود عبده في كتابه: دراسات في علم الأصوات، و ديزيزة سقال في كتابها: الصرف وعلم الأصوات، وغيرهم يرون في تفسير المتقدمين تعسفاً، وتفسيراً عقلياً غير ملائم للظاهرة ، و لم تكن دعوتهم شاملة لكل مواضع الإعلال والإبدال حسب ما تطرق إليهما المتقدمون، بل كانت مقتصرة على جوانب معينة.

إن الأعمال اللغوية التي جاءت في التراث واتّصلت فيها الدراسات الصوتية بالمباحث اللغوية جاءت وفق منهج ارتضاه المتقدمون وكان سائداً آنذاك، وإن كنت أوافق جل المحدثين ليَ بعض التحفظات عن آخرين سوف أبدي بعضها في حينه. لكن ما يمكن تأكيده هو أن ((السلف قد تنبهوا للاستفادة بمباحث الدراسات الصوتية في دراسة جوانب اللغة المختلفة، فعند الشيوخ الأوائل ... (ومن جاء بعدهم) كانت الدراسات الصوتية جزءاً من الدرس النحوي كما كانت أيضاً جزءاً من الدرس الصرفي، بل إن الدراسات الصرفية في معظم مباحثها ... قامت على الدراسات الصوتية)) [1] كما سيتضح في درس الإعلال والإبدال .

والإعلال كما قدمت مصطلح يدل على ما تتعرض له أصوات العلة (ا- ي- و- ء) داخل بنية الكلمة العربية بتحويل صوت العلة ، أو سقوطه كلياً عن الكلمة، أو حلوله موقع صوت علة آخر ، فالأول هو الإعلال بالنقل، والثاني إعلال بالحذف، والأخير إعلال بالقلب .

سأقف على كل نوع من أنواعه الثلاثة، وكذلك الإبدال اللغوي والصرفي، جاهداً في إيجاد العلاقة بين التحليلين في المنهج القديم والحديث حسب ما أمكن، وإن تعارضا رجحت ما تغلبت صحته عندي .

---

[1] - انظر شراب الراح فيما يتوصل به للعزي والمزاح للشيخ عمر الطرابيشى ص ١٦.

المبحث الأول
تفسير الإعلال بالنقل

قرر اللغويون المتقدمون[١] وكثير من المتأخرين[٢] أنه متى ما تحركت الواو أو الياء وكان قبلهما صوت صحيح ساكن فيما كان أصله فعلاً أجوفَ، فإن هذه الحركة على الواو أو الياء تنقل إلى الصوت الصحيح الصامت قبله [٣].

إن الحركة المنقولة عن صوت العلة إلى الساكن إن كانت من جنس الصوت المعتل بقي هذا الصوت محافظاً على هيئته وخصائصه، نحو: يقُول – يبِيع، والأصل: يقوُل – يبيع، نقلت حركة الواو إلي الصحيح الساكن قبله في المثال الأول، وحركة الياء إلى الساكن الصحيح قبلها في المثال الثاني .

وإن كانت الحركة المنقولة من جنس يختلف عن جنس صوت العلة كُيِّفَتْ معه إمّا بقلبها هي، وإما بقلبه هو، فالأول نحو بناء مفعول من كال: مَكِيل، وأصله: مَكْيُول. نقلت الحركة وحذفت الياء عين الكلمة، ثم قلبت الواو ياء للتفريق ما بين الواوي واليائي، ثم قلبت الضمة المنقولة إلى كسرةٍ لتجانس الياء .

والثاني نحو مُفعِل من أقام: مُقيم، وأصله: مُقوِم، بعد نقل الحركة قلبت الواو صوت العلة إلى ياء لمجانسة الحركة المنقولة .

ومن الأمور التي نصّ عليها المتقدمون هي اشتراطهم في الإعلال بالنقل [٤] أن يسبق صوت العلة المتحرك بصوت صامت، أي صحيح غير متحرك ، فإن كان السابق معتلاً، مثل: بايع – فوّض، أو كان فعل تعجب مثل ما أبينه، أو كان فعلاً مضعف اللام مثل: ابْيَضّ – اسْوَدّ، أو معتل اللام مثل: أحوى، وأهوى ففي كل هذه الحالات يمتنع النقل.

---

[١] - انظر المنصف ج١،ص٢٣٣

[٢] - انظر الإعلال والإبدال بين النظرية والتطبيق، صباح عبد الله با فضل، ص:٨٣ .

[٣] - انظر الأمثلة في ص:٩٧ من هذا البحث.

[٤] - انظر الكتاب ج٤ص٣٥٠.

هذا النوع من الإعلال يجرى في أربعة مواضع، كلّها تتعلق بالفعل الأجوف مجـــرداً أو مزيداً، واوياً أم يائياً، حينما يؤخذ عنه المضارع أو اسم الفاعل أو اسم المفعول أو اسم المكان أو المصدر بوزن الإفعال أو الاستفعال يحدث فيه هذا الإعلال، أي الإعلال بالنقل .

هذه خلاصة ما عرضة المتقدمون في هذا الشأن، وتعليلهم لنقل هذه الحركة هو تعليل صوتي منطقي يرتكز على كرههم للثقل الذي ينتج من خلال تحريك هذين الصوتين الياء والواو حيث ((استثقلت الحركات فيهما لأنهما مشبهان للألف، والألف لا تتحرك أبداً، فلما أشبهتا ما لا يتحرك أبداً، وجازت فيهما الحركة، جازت على مشقة، ولم تكن فيهما مثلهـــا في سائر الحروف التي لا تتمتع فيها الحركة ولم تبلغا قوة الألف في اللين فتمتنع الحركـــة فيهما أصلاً))[١] لما كانت بهذه الحال وقبلهما صوت صحيح ساكن تسوغ نقل الحركة إليه؛ لتتم المشابهة العملية؛ إذ كانت المشابهة من قبل هي مشابهة منطقية من حيـــث التغييـــر و التبديل، ومشابهة فسيولوجية من حيث حرية الهواء، وعدم اعتراضه فيها جميعاً.

رأي المحدثين في الإعلال بالنقل :

إن هذه الظاهرة صارت مصدر حديث لبعض المحدثين كونهم في تفســـيرهم لهـــا يختلفون عما درج عليه جمهور اللغويين قديماً وحديثاً، ويكاد يتفق كل من عبـــد الصـــبور شاهين[٢] و كمال محمد بشر [٣] و داود عبده [٤] و ديزيزة ســـقال [٥] وغيـــرهم ... فـــي تفسيرهم لهذه الظاهرة ((بعين تختلف عن عين القدماء من الصرفيين)).[٦] ويلخص هـــذا الموضوع بعضهم في نموذجين اثنين، هما: [٧]

النموذج الأول، هو حالة صوغ المضارع من الفعل الأجوف: يقوم ويبيـــع جـــرى التصرف على النحو التالي:

---

[١] ـ المنصف ج٢،ص٢٢٤-٢٢٥ .
[٢]- في كتابه المنهج الصوتي للبنيه العربية ص : ١٩٦ وما بعدها.
[٣]) - في كتابه : دراسات في علم اللغة ص: ١١٠ وما بعدها
[٤] - في كتابه :دراسات في علم الأصوات، ص: ٣٠ وما بعدها .
[٥] - في كتابها : الصرف وعلم الأصوات، ص: ١٥٠ وما بعدها .
[٦] - انظر المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين ص : ١٩٨.
[٧]) - انظر المرجع السابق نفسه ١٩٨-٢٠٠.

المضارع بوزن يفعُل من قام هو: يقوُم /yaqwumu/

تسقط الواو نظراً لكراهة اجتماعها مع ضمة /wu/ فتبقى الضمة وحدها /u/ فتختل الزنة وإيقاعها، فيعوّض موقع الواو الساقطة بطول الضمة بعدها /uu/ فيقال : يقوم /yaquumu/.

وكذلك الأمر في يبيع بوزن يفعل: / yabyi u / سقطت الياء لاجتماعها مع كسرة / yi / وهو تركيبٌ تكرهه اللغة، فتبقى الكسرة وحدها، فيختل إيقاع الكلمة ويعرض المحذوف بطول الحركة /ii/ فيقال: يبيع /yabii u/ فالذي حدث ليس نقلاً للحركة بل إسقاط للواو و الياء .

وهذا السياق الصوتي يتكرر في اسم الفاعل واسم المفعول واسم المكان من الفعل الرباعي الأجوف مثل: أقام، فاسم الفاعل هو: مُقْوِم يتحول إلى: مقيم، واسم المفعول هو: مُقْوَم يتحول إلى مقام، واسم المكان مُقْوَم، يتحول إلى مقام .

وكذا الأمر في اليائي مثل : معيَش – معاش، ومبين – مبين .

ولو أننا لخصنا هذا التحليل كله لانتهى إلى الصور الآتية ، حيث تجمتع واو وحركة، أو ياء وحركة – قصيرة في الحالتين – فتسقط الواو أو الياء وتطول الحركة بعدها :-

~~/yi/~~ /ii/ /wu/ ⟶ /uu/

/ya/ ⟶ /aa/ /wa/ ⟶ /aa/

/wi/ ⟶ /ii/

والسبب، أن اللغة تكره تتابع أصوات اللين في صورة حركة ثنائية على هذا النحو الثقيل، فتهرب منه إلى توحيد الحركة لتصبح فتحة أو كسرة أو ضمة طويلة .

النموذج الثاني يأتي حالة مصدر الإفعال والاستفعال من الفعل الأجوف نفسه، فيقال: أقام إقوام، واستقام استقوام، ويظهر في تحليل الصيغتين أن:

/ iqwaam/ ⟶ / iqaam/ ⟶ iqaamatun/

/ istiqwam / ⟶ / istiqaam/ ⟶ / istiqaaamatun/

/ wa/ ⟶ /aa/ : أي أن الصورة الصوتية

كما يحدث في كلمة استبيان المحولة إلى : استبانة أن يصبح

/yaa/ ⟵ /aa/

وفي حالة صوغ اسم بوزن مفعول من هذا الفعل الأجوف يقال: مقــوول، ثــم: مقــول . ومبيوع، ثم: مبيع، أي أن التحول تم على الصورة التالية :

/wuu/ ⟵ /uu/

/yuu/ ⟵ /ii/

ويدل النّظر في صورة هذا النموذج على أن الواو أو الياء سقطت دون أدنى زيادة في بعضها ، كما يدلّنا على أن الصيغة المطلوبة من الفعل هي التي تتحكم في شكل التحليل الصوتي . ولذلك اتّحدت الصور المكروهة كما اتّحدت الصور التي انتهت إليها الكلمات في اللغة الفصحى .

يتبيّن لي أن موضوع الإعلال بالنقل قد تنبّه المتقدمون فيه إلى تفسيرٍ أدقّ بوقوفهم عنده، وعرضه بصورةٍ تدل على اهتمامهم بالقضــايا الصــوتية التــي تحــدث لأســباب المجاورة، أو الصعوبة النطقية، فقارنت بين آرائهم المتقدمة في وصف الظاهرة مــع آراء بعض المحدثين فيها وخلصت إلى الآتي :

أولاً: دعوة المحدثين في النموذج الأول في نحو: يقوم ويبيع أن الواو والياء تسقطان نظراً لكره الضمّ على الواو، والكسر على الياء مع بقاء حركتيهما، فيحدث إخلال في الوزن ، ثم يعرض تطويل للحركة الباقية ...

هذه فكرة بعض المحدثين، ولا أُسلّم بسقوط الواو من: يقوم ثم أطيلت هذه الضــمة بعد اختلال الزنة !!.

فالواو عند سقوطها تسقط معها حركتها أيضاً. وقد ثبت عندي وعند غيري أن القاف كانت قبل النقل ساكنة فمتى تحركت ؟ وكيف تحركت ؟ فصارت: يقوُم إلى يقُوم

/yaqwumu / ⟵ /yaquumu/

ومثله في اليائي كيبيع .

ثانياً: لنفترض الموافقة فيما ذهب إليه بعض المحدثين في النموذج الأوّل وذلك فيما كان ساكناً قبل صوت العلة، فماذا أقول في مثل قلت وبعت اللتين أصلاها : قَوَلْتُ وبَيَعْتُ ؟.

أُسلّم أن صوتي العلة تحركا وانفتح ما قبلهما فقلبا ألفين ساكنين، ثم إن فاءي هذين الفعلين متحركتان بالفتح، إذ نقول: قال و باع، أما عند إسنادهما إلى ضمير الرفع المتحرك قلبت فتحتهما ضمة في الفعل الأوّل، وكسرة في الثاني .

وما قال به المحدثون، وما جاءوا به من تفسيرٍ صوتي لقاعدة الإعلال بالنقل هل يصلح أن يكون حلاً لهذه المسألة ؟.

بلا شك لا ! فما تسكن إليه النفوس في حلّ هذا اللغز الصرفيّ الصوتيّ يكمن في تفسير المتقدمين الذين تتبعوا هذه الظواهر وفسّروها تفسيراً يرقى إلي أعلى مستويات التحليل الصوتي، وهو أن أصل (١) قلت وبعت : قَوَلت وبَيَعت – فنقلت قَوَلت إلي قَوُلت؛ لأنّ الضمة من الواو . ونقلت بَيَعت إلي بَيعت؛ لأن الكسرة من الياء، ثم قلبت العين لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصارت ألفاً في التقدير بعدها لام الفعل ساكنة لاتصالها بالضمير أعني التاء، فسقطت العين، فنقلت حركتها المجتلبة لها إلى الفاء قبلها فصارت: قلت وبعت، وسبب تحويلها إلى: فعُلت أو فعِلت ليتأتى تغيير حركة الفاء عن حالها قبل الاعتلال وتكون حركتها منسجمة مع العين المحذوفة .

كذلك الفعل الأجوف إذا بُني للمجهول نحو: خيف وبيع ، وأصلهما : خوف وبيع فأرادوا إعلال العين فسلبوها الكسرة ونقلوها إلى الفاء بعد إسكانها لاستحالة اجتماع الحركتين فيها ، فانقلبت العين فيما كان أصله الواو ياء، نحو: خيف وقيل لسكون العين وانكسار الفاء قبلها، وبقي ما كان من الياء بحاله ياء فصار كله : خيف وبيع وقيل .

ولتأكيد صحة النقل، أن من القبائل العربية من يشم الفاء شيئاً من الضمة (المحذوفة) فيقول: قيل وبيع، وقرأ الكسائي قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي

(١) - انظر الكتاب ج٤ص٣٤٠.

الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [1] ﴿ وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ [2] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [3] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾[4]

ذلك أنّهم أرادوا نقل حركة العين إلى الفاء .. بغية إعلال الفعل، والمحافظة على حركة الفاء الأصلية، فلم يكن الجمع بينهما فأشربوا ضمة الفاء شيئاً من الكسرة فصارت حركة بين حركتين[5] بين الضمة والكسرة أي ضمة الفاء وكسرة العين .

إن الفعل الأجوف يتفق بناء المجهول عنه مع غير المعتل [6] إلا أننا في المعتل ننقل حركة العين (الكسرة) إلي الفاء فإن كان صوت العين مغايراً للحركة المنقولة نضطر إلى قلبه إلى صوت متجانسٍ مع تلك الحركة المنقولة. لذا ورد عن بعض القبائل محاولة التكيّف بين الحركتين، أي الضم التي كانت أصلاً على الفاء والكسرة التي على عين الكلمة ومن ثم تنقل إلى الفاء .

ويرجح ابن جني إخلاص الكسرة على الفاء وهو القياس عنده[7].

يعد هذا عملاً جليلاً صدر عن الأوائل وهو جدير بالثناء والاعتراف لهم بالفضل والسبق، وأي تفسير بعد هذا نريد ؟ أليس هذا هو التفسير الصوتي العلمي للظاهرة الصرفية الذي ينبغي أن نتبعه ونسير على هديه ؟

ثالثاً : آراء المحدثين في النموذج الثاني غير سالمة من النقض، فما قلته في النموذج الأول ينطبق على النموذج الثاني وهو أن مصدر الإفعال والاستفعال من الفعل الأجوف تنقل فيه حركة صوت العلة إلى الساكن الصحيح قبله وبعد نقلها يصبح صوت العلة ساكناً فيلتقي ساكنان – سكون صوت العلة، وسكون ألف المصدر– ولا يمكن أن يجتمع ساكنان في العربية؛ إذ النسق العربي يتخلص عن أحدهما بحذفه، ومثال صورته يظهر في التالي: –

---

(1) - سورة البقرة الآية : ١١.
(2) - سورة هود آية : ٤٤.
(3) - سورة سبأ : الآية : ٥٤
(4) - سورة الزمر أية : ٧١.
(5) - انظر شرح المفصل ج١٠،ص:٧٣، وكذلك شرح الشافية ،ج٣،ص:١٥٥.
(6) - انظر الكتاب، ج٤،ص:٣٤٢.
(7) - انظر المنصف، ج١، ص:٢٥١ .

إقْوَام ← إقَوْام ← إقاام ← إقام ← إقامة

استِقْوَام ← استِقَوْام ← استقاام ← استقام ← استقامة

إن فكرة المتقدمين تنطلق من مبدأ نقل حركة العين إلى الصوت الصحيح قبلها، وتظهر جلية من خلال العدّ المقطعي لهذه الأمثلة، نحو: إقوام، وهو الأصل يتكون من ثلاثة مقاطع هي: إقْ ــ وَا ــ مٌ

المقطع الأول من النوع الثالث : (ص ح ص) والثاني من النوع الثاني (ص ح ح) والمقطع الثالث من النوع الثالث : (ص ح ص).

لما صارت الكلمة إلى: إقام، تكونت من ثلاثة مقاطع أيضاً بعد حذف عينها التي تمثل الصوت الصامت من المقطع الثاني، فكان المقطع الأول الذي هو في الأصل شطر إلى مقطعين: أولهما من النوع الأول (ص ح)، وثانيهما من النوع الثاني: (ص ح ح) نقلت إليه حركة المقطع الثاني في الأصل الذي يمثل عين الكلمة المحذوفة؛ إذ إن المقطع الأول في أصل الكلمة شكله (ص ح ص) لما شطر إلى مقطعين كون الصامت الأوّل مع حركته مقطعاً مستقلاً، والصامت الثاني أضيفت إليه الحركة الطويلة لعين الكلمة، فأصبح مقطعاً من النوع الثاني: (ص ح ح) والثالث يبقى كما هو، فتكونت الكلمة في بنائها الجديد من ثلاثة مقاطع أيضاً، ثم جيء بالتاء عوضاً عن المحذوف ، فصارت الكلمة إلى إقامة .

عندما لا نؤمن بفكرة نقل الحركة كما نادى به المتقدمون نقع في مشكلات متعددة يصعب الخلاص عنها، وذلك في نحو اسم المفعول من الفعل الأجوف يائياً كان أم واوياً مثل : مبيع ومقول وأصلهما: مبيوع – مقوول .

هي أيضاً مثل سابقتها في المصدر، نجد المقطع الأول منها يتكون من النوع الثالث (ص ح ص) صامت فحركة فصامت، شطر قسمين: الصامت الأول منه استقل (ص ح) بعد تحريك الصامت الثاني، أي الذي نقلت إليه حركة العين ، فصار : (ص ح ح) أي من النوع الثاني ، ثم التقى ساكنان فحذف أحدهما على خلافٍ بين المتقدمين في المحذوف .

رابعاً : وهو الذي أختم به هذا الموضوع فالياء والواو هنا فيما نحن بصدده صوتان صامتان بموافقة الجميع، هما صامتان من حيث التكوين الفسيولوجي، ومن حيث الوظيفية اللغوية وتحملها الحركة .

ولا يسقطان لمجرد تحركهما، ولو أن كل ياء أو واو تحركت تسقط لانعدمتا من اللسان. فهما لا يسقطان إلا بموجب الحذف وهو نقل حركتهما إلى ما قبلهما إذا كانتا متحركتين، أي بعد أن يصبح كل منهما صوتاً صائتاً، والتقاؤهما ساكنتين مع ساكن آخر . إن طريقة المحدثين في الإعلال بالنقل هي طريقة حديثة ولم تلق رواجاً لاختلالها، ولعدم سلامتها من الانتقاد .

لكل هذا تترجح لديّ فكرة اللغويين المتقدمين وهي أن الواو أو الياء المتحركة وقبلها حرفٌ صحيحٌ ساكنٌ تنقل حركتهما إليه، نظراً لأن الحركة على هذين الصوتين صعبة وثقيلة، والحرف الذي قبلهما حرف صحيح ساكن يتحمل تلك الحركة.

وتفسيرهم لهذا الظاهرة يكمن في الكثرة والشيوع حينما حاول العرب تلمّس الأصوات السهلة واليسيرة نطقاً بتحويلهم للحركة إلى الصوت الذي يسكن قبلها، كما حاولوا تكييف صوت العلّة بعد هذه الحركة المنقولة إذا لم تتوافق معه ، بإسقاطه كلياً عن الكلمة إذا اقتضى الأمر، وهو ما يسمى: الإعلال بالحذف ، ولقد قال بعضهم : ((إنما دعاهم إلى هذا الاعتلال ما ذكرت لك من كثرة هذين الحرفين فلو لم يفعلوا ذلك وجاء على الأصل أدخلت الضمة على الواو، والياء والكسرة عليهما في : فَعُلت وفَعِلت ، ويفعَل ويفعِل، ففروا من أن يكثر هذا في كلامهم مع كثرة الياء والواو، فكان الحذف والإسكان أخف عليهم))[1] وإن كلّ كثيرٍ مستثقلٌ ولو خفّ .

([1]) - الكتاب ج٤، ص:٣٤٤-٣٤٥.

المبحث الثاني
تفسير الإعلال بالحذف

تقدم في موضوع الوصف أن الإعلال بالحذف عند الصرفيين يجري في أربعة مواضع وهي: [1] همزة أفعل عندما تلتقي بهمزة المضارع ، وفاء الفعل المثال عندما يصاغ عنه المضارع المبدوء بالياء، وعين الفعل الأجوف عندما تسكن لامه بسبب الجازم أو اتصال الضمائر، والموضع الأخير، هو لام الفعل الناقص عندما تلحق به واو الجماعة .

ورأي المتقدمين وجل المتأخرين [2] كان واضحاً في هذا الأمر، وهو باختصار سقوط صوت العلة من الكلمة نظراً لمجاورته أصواتاً في بيئة يؤدي وجوده فيها إلى صعوبة نطقية معينة .

هذه الآراء جاءت نتيجة لجهود مضنية، وأعمال علمية من المتقدمين عرفت بالحرص والإخلاص والتجارب في اللغة المدروسة ذاتها، فتولّدت هذه الآراء التي نقف أمامها حيارى، وبإعجاب منا شديد لهذه العقلية الفذة في التاريخ العربي الإسلامي .

إن فكرة المتقدمين التي تتمثل في سقوط صوت العلة من الكلمة جعلت من بعض المحدثين في تفسيرهم لها يتّجهون اتّجاهين :

الاتّجاه الأول : وظهر في كتاب إبراهيم أنيس يرفض فكرة سقوط صوت العلة وأنّه يتعارض حسب رأيه مع الحقائق التي يقررها الدرس الصوتي، وكلامه: لقد درج علماء الصرف التقليديون على أن يقولوا مثلاً: قلْ أصلها : قُوْلْ التقى ساكنان: الواو واللام، فحذف الواو لالتقاء الساكنين، فصارت: قل. وحقيقة الأمر أن قُلْ ، جاءت على هذه الصورة منذ بداية الأمر، ولم يكن من المستطاع أن تأتي الصورة الثانية " قول " في النطق الفعلي لسبب صوتي ظاهر يرتبط بخواص التركيب المقطعي في العربية الفصحى ... [3]

ويرى الدكتور أنيس أنه بهذا يهدف إلى تسجيل الحقائق العلمية دون افتراض .

---

(1) - انظر ص: ١٠٧ من هذا البحث.

(2) - انظر القواعد التطبيقات في الإبدال والإعلال، عبد السميع شبانة، ص : ١٣٩ وما بعدها .

(3) - انظر علم اللغة العام الأصوات ، كمال محمد بشر ص : ١٨٦.

يتضح أن الدكتور ينطلق في معاملته مع هذه الظواهر من مبدأ رفض توحد الأنظمة البنائية للكلمات العربية التي نادى بها الصر فيون، فهو ينطلق من مبدأ رفض الأصل ويقول: ((من الواضح أن هذا الأصل الذي نصوا عليه، أصل افتراضي لا أساس له من الحقيقة)) [١] ومعالجة موضوع مبدأ الأصل قد تطرقت إليه سابقاً بشيء [٢] من التفصيل . ويسير أهل هذا الاتجاه في تفسيرهم لمثل هذه الظواهر على أساس التركيب المقطعي، وهو صوت صامت + حركة طويلة + صوت صامت (ص ح ح ص) ((تركيب ممتنع في هذه اللغة إلا في حالتين اثنتين، هما :

أ- حالة الوقف

ب- أن تكون الحركة الطويلة متلوة بمثلين مدغمين من أصل الكلمة نحو : شابّة – ودابّة .

((أما ما ذهب إليه هؤلاء الصر فيون فهو عمل افتراضي لا نأخذ به في الدرس اللغوي الحديث)) [٣].

فمن وقف على مثل هذا الرأي يجد فيه دعوة إلى هجر تلك الجهود الكبيرة من علماء العربية بعبارات إذا ذهبت أتعمق في مضمونها لا أقبض منها على شيء ذي بال ((لكننا في الواقع نجد أنفسنا أمام امتداد إلى ما وجه من نقد عنيف إلى النحو التقليدي ولاسيما من لغوييننا المحدثين، وذلك راجع إلى ظهور المنهج الوصفي the method Descriptive Linguistics على يد رائد اللغويات فرديناند دي سوسير، فقد لقي الدرس النحوي القديم نقداً عنيفاً وأطلقوا عليه اسم النحو التقليدي ، Traditional grammar " [٤] لعل أهل هذا الاتجاه ممن تأثروا بمثل هذه الدراسات بعد أن أعيتهم معالجة قضية الحذف سلكوا مثل هذه المسالك التي ظاهرها فيه وضوح وراحة .

---

(١) - دراسات في علم اللغة القسم الثاني ، كمال محمد بشر ص:١١٠.
(٢) - انظر موضوع مبدأ الأصل ص:٣٢ وما بعدها من هذا البحث.
(٣) - علم اللغة العام الأصوات ص: ١٦٨.
(٤) - انظر ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، البدراوي زهران، ص: ٤٠١ .

وكان للدكتور أنيس مواقف غير إيجابية من أعمال اللغويين في كتابه: من أسرار اللغة ((تناول الموضوع تناولاً هادئاً طويل النفس ، جميل العرض فتحدث عن نشأة الإعراب وتمكنه ثم تعقده ، وأن النحاة قد اتخذوه أو بالأصح اخترعوه ونسقوه وجعلوه حصناً لهم يؤكدون من خلفه لأنفسهم القوة المادية والمعنوية)) [1].

الاتجاه الثاني، وهو الاتجاه الذي يحاول ربط الدراسات العربية القديمة سيما ظاهرة الإعلال بالحذف بمعطيات علم الأصوات الحديث دون رفض فكرة الأصل مع الإيمان بالسقوط، و ظهرت دعوة هؤلاء بصورة جلية عند مجموعة كبيرة، أخص منها عبد الصبور شاهين في كتابه المنهج الصوتي للبنية العربية، و حازم علي كمال الدين في كتابه دراسات في علم الأصوات، يمكن أن أتوقف عندهما في هذا الجانب، فما قدماه في هذا الموضوع يتفق في بعض جوانبه مع ما قدمه علماء العربية المتقدمون، وهو حذف عين الفعل الأجوف نحو: قال – باع، التي أصلها: قوَل – بيَع، إذا سكن آخرها تظهر صورة التحولات التالية :

لم يقْوُم ← لم يقُوم ← لم يقُم

لم يبْيع ← لم يبِيع ← لم يبِع

يذكر الدكتور/ عبد الصبور شاهين أن الفعل المضارع مثل: يقُول ويبِيع، الأَصل فيهما :

يقوُل /Yaqwulu/ بوزن يفعل /yaf ulu/

ويبيع /yabyi u/ / بوزن يفعِل / yaf ilu /

قد أصبح الفعل بعد سقوط الانزلاق الذي هو عين الكلمة

يقُول / yaquulu/ بزنة / yafuulu/

ويبِيع / yabii u / بزنة / yafiilu /[2]

---

(1) في اللغة العربية ودراستها ، د. محمد عيد ، ص٢١٠ -٢١١ .

(2) ـ انظر المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص٨٥ .

ومن جانب آخر عبر حازم علي كمال الدين باختصار الحركة الطويلة عندما تدخل ((أداة الجزم أدت إلى اختصار الحركة الطويلة، أي تحولها إلى حركة قصيرة، وذلك للتخلص من المقطع الطويل المغلق)) [١] والصورة هي في التالي :

يقوُل/ yaqwulu/ ⟵ يقُولُ /yaquulu/ ⟵ لم يقل / yaqul/

يبيع /yabyi u/ ⟵ يبيع/ yabii u / ⟵ ▲ لم يبيع / yabi/

نلاحظ في: يقُول /yaquulu/

يبِيع / yabii u/

لما دخل الجازم صارت إلى: /yaquul/ _ / yabii /

تتكون الكلمتان من مقطعين: الأول من النوع الأول (ص ح)، والثاني من النوع الرابع المديد المغلق (ص ح ح ص) فسقط جزء من حركته ليصبح من النوع الثالث (ص ح ص) .

إن نقطة الخلاف بين المتقدمين وبعض المحدثين تكمن في عملية نقل الحركة، بيد أن ما هو معبر به عند بعض المحدثين هو سقوط الانزلاق فحسب، والدارس يتوقف في رأي المحدثين ويسأل عن الانزلاق ما هو وما كيفيته ؟

إن الواو في يقوُل والياء في يبيع صوتان صامتان عند المتقدمين [٢] والمتأخرين ((مما يؤيد أن الواو والياء في هذين المثالين ونحوهما يؤديان وظيفة الأصوات الصامتة أنهما كالأصوات الصامتة تماماً متبوعتان بحركات...))[٣] ومعلوم أن فاء الفعل المضارع في المثالين ساكنة تكون مع ياء المضارع مقطعاً واحداً، فأي انزلاق هنا سقط ؟.

فالانزلاق هو عبارة عن حركتين تنتج عنهما حركة واحدة أو بصورة أجلى في اللغة العربية هو اجتماع الواو الساكنة أو الياء الساكنة مع الفتحة التي قبلهما ينتج عنهما صوت يسمى الحركة الانزلاقية اشتهرت في اللهجات العربية الحديثة نحو :

بيت / bayt / ⟵ /beet /

---

[١] - دراسة في علم الأصوات ، حازم علي كمال الدين ، ص١٦١ .
[٢] - انظر الكتاب ج٤، ص١٩٣ .
[٣] - علم للغة العام الأصوات ، ص:٨٥.

/hood / ←——— /hawd /حوض

وتعرف الحركة الانزلاقية بالوحدتين المستقلتين قبل انزلاقهما، إذ الموجود في حوض وبيت ليس وحدة واحدة وإنما هناك وحدتان مستقلتان هما الفتحة + الواو في حوض ، والفتحة+ الياء في بيت.[1] وهاتان الوحدتان المستقلتان تكونان وحدة واحدة تعرف في اللهجات العربية بالانزلاق .

فالواو في يقوُل والياء في يبيع صامتان لتحركهما، ولما سلبت الحركة عنهما أصبحا صوتين صائتين خالصين ، ومعلوم أن الواو لا يكون صائتاً إلاّ إذا سكن وقبله حركة من جنسه وهي الضمة، وكذلك الياء الساكنة وقبلها حركة من جنسها وهي الكسرة؛ لذلك وضعت ضمة الواو وكسرة الياء على الساكن قبلهما.

الشيء الذي يمكن أن يعد ساقطاً هنا، هو جزء من مدة صوت المد، ونعني به الزمن الذي يستغرقه الناطق بهذا الصوت. [2]فواو المد عبارة عن ضمتين، وياء المد عبارة عن كسرتين مع الحركة التي اجتلبت قبلهما يصبح الأمر عبارة عن ثلاث حركات، وكل لغة محكومة في كمية المد بإطار العادة التي تعود عليها الإنسان في نطقه لأصوات لغته متفقاً في ذلك مع من يعاشرهم .

لهذا نعد الساقط هو الجزء من مدة المد، أي اختصار الحركة الطويلة، وعندما تسكن اللام يحذف هذا المد كلياً، وتبقى الحركة المنقولة فقط على فاء الفعل

نحو: لم يقل _ لم يبع.

بهذا أخلص إلى أن مخالفة المتأخرين للمتقدمين تكمن في تسميتهم للمحذوف، فعبر عنه المتقدمون بسقوط الواو أو الياء، كما عبر عنه بعض المحدثين بانزلاق الحركة ، وعند آخرين باختصار الحركة الطويلة .

وكذلك يكمن الخلاف في طريقة المعالجة، إذ كان المتقدمون يسلكون طريق النقل ثم الحذف، بينما يود المحدثون أن تكون طريقة تناوله عبر النظام المقطعي للغة العربية، الذي

([1]) - انظر علم اللغة العام الأصوات، ص:٨٥ .

([2]) - انظر دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي ، ص:١٨٢.

هو من صميم درس الأصوات، وهو الذي يعطي هذه الصيغ صورتها الصوتية الصـــرفية.

ولا يغيب عن البال أن علماء العربية أحاطوا بأسرار المقطع الصوتي، وعرفوا أدقّ خفاياه، ولهم في الدراسة الصوتية المقطعية جهد الفاهمين، وعمل المخلصين، ومن الأدلـــة على ذلك الدراسة العروضية فهي قائمة على النظام المقطعي، وكثيرٌ من أعمالهم الصرفية أشارت بطريقة أو بأخرى إلى أنهم أدركوا الدراسة المقطعية وبنية الكلمة ، فقد أشاروا إلى ميل اللغة العربية إلي المقاطع الساكنة حين قرروا استحالة اجتماع أربعة متحركـــات فـــي الكلمة الواحدة، أو فيما هو كالكلمة الواحدة . وحين أباحوا توالي أربعة مقاطع ساكنة فـــي مثل : استكبرتم (اس/تكـــ / بر/ تم)[1] ولم يوظفوا هذه المعرفة والدراية بالمقاطع في هذا الموضوع ولعل السبب يعود إلى منهجهم الذي أصلوا له باعتماد الأصل هو الذي فرض عليهم أن يسلكوا هذا المنحى، فيقدرون الأصل أولاً ثم يبينون ما طرأ على هـــذا الأصـــل، فهي طريقة مقننة عقلياً معتمدة على معطيات صوتية .

إن فكرة الانزلاق هذه لو أخـــذت بها ســـأجدها غيـــر صالحـــةٍ فـــي مواضـــــع أخـــرى، مثلاً الفعـــل اللفيف المفروق عنـــد صياغة الأمر منه: وقى – وفـــى – وعـــى، يكون على: ق _ فِ – ع . هل أستطيع أن أقول سقط انزلاق هنا ؟ فالمتقـــدمون حـــاولوا علاج مثل هذا عن طريق أصل فعل الأمر، وهنا هو : اِفعِل أي: اِوقي – اِوفي – اِوعـــي، حذفت الياء من الجميع لبناء الأمر، كما حذفت الواو فاء الكلمة حملاً علـــى حـــذفها مـــن المضارع، واستغني عن همزة الوصل، فبقي الفعل على حرف واحد.

واضحٌ أنّ التحليل هنا بُنِي على افتراض، فقاسوا الحاضر على غائب مفتـــرض، ورتّبوا مراحل التغيير طبقاً لهذه الأصول، وهذا هو مبدأ توحّد الأنظمـــة وهـــو مـــنهج لا غضاضة فيه ولا غبار عليه، وهو صالح للتطبيق؛ إذ يقود إلى نتائج سليمة.

و عند بعض المحدثين أنّك إذا أردت معالجة القضيّة هذه ((من وجهة نظر الدراسة اللغوية الحديثة فإن الأمر أبسط من ذلك بكثير فالذي ينبغي أن يتّبع هنا هو دراسة المقاطع،

---

[1] - انظر شراب الراح فيما يتوصل به للعزي والمزاح لعمر الطرابيشي المدني ، تحقيق البدراوي زهران ، ص٢٦ .

لأن التغيرات التي حدثت في تلك الصيغ جاءت نتيجة تصادم وضعها الأصلي مع طبيعة النظام المقطعي لطبيعة اللغة، فكان لزاماً أن تجيء خاضعة لضرورة ذلك النظام المقطعي في العربية))[1].

أجد صاحب هذا الرأي ينطلق من مسألة مبدأ الأصل، ففكرة الأصل غير مرفوضة من أساسها عند كثيرٍ من اللغويين المتأخرين. أضف إلى ذلك سقوط الواو عن الفعل المثالي عند صياغة المضارع المبدوء بالياء نحو وعد –وثب – ورث –مضارعها يعد – يثب – يرث – وأصلها: يوعد – يوثب – يورث . المقطع الأول عند كل منها يتكون من مقطع متوسط هو النوع الثالث (ص ح ص) هل هنا أيضاً سقط انزلاق أم أنه صوت الواو؟ الصوت شبه الصائت الذي يجعل من المقطع أن يكون مغلقاً ؟

واضحٌ أن الواو هنا فاء الكلمة، صوت شبه صائت حذف عن الكلمة، وتفسيرهم لحذفه هو اتّقاء ((وقوع الواو بين ياء وكسرة، فحذفوها استخفافاً))[2] إذ الواو من جنس الضمة فكأنها توسطت بين صوتين بعيدين عنها في التكوين، وتوسطها لهما ينشأ عنه تنافر وعدم انسجام .

فالتفسير الصوتي عندهم يكمن في أنّ كلّ بناءٍ جاء علي فَعَل واوي الفاء ومضارعه على يفعِل، تحذف فاؤه، أمّا ما كان مضارعه يفعَل بفتح العين فلا تسقط فاؤه لعدم وجود الثقل والتنافر المفضي إلى حذف الواو، أي لعدم وقوعها في بيئة ثقيلة، أو غير منسجمةٍ، وهذا هو التفسير الصوتيّ المؤسس على الاستقراء، والذي أميل إليه ليكون منطلقاً في الدرس الصرفي.

أمّا الفعل الناقص عند اتّصال واو الجماعة به، فيرى المتقدمون سقوط لامه نحو :

غزا ـــ غَزَوُوا ـــ غَزَاوا ـــ غَزَوا

رمى ـــ رَمَيُوا ـــ رَمَياوا ـــ رَمَوا

رضي ـــ رَضِيُوا ـــ رَضِيوا ـــ رَضُوا

---

[1] ـ شراب الراح، ص ٢٦.

[2] ـ المنصف ج١،ص١٨٤

وجاء بعض المحدثين برأيٍ لا يختلف في كثيرٍ من جوانبه عمّا قال به المتقدّمون في هــذه الحالة حيث قولهم: ((سقوط لام الفعل بما في ذلك المزدوج بجزئيه[١] ، أي دون تعويض وحينئذٍ تتحرك عين الفعل بضمير الجماعة الحركي فيقال : رَضُوا وشَرَوا بزنه فَعوا))[٢]

إن المتقدمين يذهبون في المثالين الأولين (غَــزَوا ــ رَمَــوا) بعــد اتّصـــال واو الجماعة بهما إلى أن لام الكلمة صوت علة متحرك وقبله فتح، فقلب إلى ألف، فاجتمعــت الألف ساكنة مع سكون واو الجماعة مما هو مرفوض، فحذف الساكن الأول.

أما المثال الثالث (رَضُوا)عندهم أن لام الكلمة صوت علة ياء وعليها ضمّ مما يثقل النطق به، فحذفت الضمة عن الياء لام الكلمة، فالتقت الياء ساكنة مع سكون واو الجماعة، فحذفت ومعها حركتها وحركة العين قبلها، حينئذٍ جلبت ضمة على عين الكلمة لتجانس واو الجماعة، بينما يرى المحدثون أنه لا جلب لحركة الضــم، فحُركــت العــين بحركــة واو الجماعة بعد حذف الياء لام الكلمة، وهذا التعبير فيه شيء من الدّقة والوضوح .

إذن سقوط اللام واضح في النطق ومن خلال العدّ المقطعيّ، "فرضيوا" فيها ثلاثــة مقاطع هي : ر+ض + يوا / ra+di+yuu/ بعد حذف اللام أصبحت مقطعين ر+ ضــوا /ra+ duu/

إن فكرة الحذف واضحة في دعوة المتقدمين في الأفعال والأسماء وقد تعرضت للحذف في الأفعال ، أمّا الأسماء فتناول المتقدمون منها الاسم المنقوص والمقصور عندما ينوّنــان ولم يكن المنقوص منصوباً، أو عند جمعهما جمع مذكر سالماً.

- المنقوص المنون نحو : قاضٍ

أصله: قاضِيُنْ / qaadiyun/ ← قاضٍ / qaadin/

ثلاثة مقاطع أصبحت مقطعين .

- المقصور المنون نحو : مصطفىً

أصله: مُصْطَفَيٌ /mustafayun/ ← مُصْطَفَى /mustafan/.

---

[١] - المزدوج بجزأيه، هو : صوت العلة المتحرك لام الكلمة ، وحركة العين قبله، هما معاً يكونان صوتاً مزدوجاً .

[٢] - المنهج الصوتي البنية العربية ص : ٩٠.

أربعة مقاطع أصبحت ثلاثة .

- المنقوص حالة جمع المذكر السالم نحو: قاضون .

أصله: قاضِيُونَ /qaadiyuuna/ ← قاضون / qaaduuna/

أربعة مقاطع أصبحت ثلاثة .

- المقصور حالة الجمع المذكر السالم نحو: مصطفون

أصله: مصطفَيُونَ /mustafayuuna/ ← مصطفَونَ /mustafawna/

خمسة مقاطع أصبحت أربعة

وظاهر عندهم أن الحذف ناتج عن اجتماع ساكنين، أو الثقل الناتج عن عدم التوافق والانسجام الصوتي، كتحريك الياء بالضم. وكل هذا تعليل صوتي معقول ومقبول .

أما عن الحذف عند التقاء الهمزتين في صيغة أفعل عند صياغة المضارع المبدوء بالهمزة، فلم يتطرق إليه المحدثون – حسب ما اطلعت – ولعل سكوتهم عنه يدل على اقتناعهم بفكرة المتقدمين وتفسيرهم له .

المبحث الثالث
تفسير الإعلال بالقلب

تقدم أن الأصوات تتبادل المواقع بعضها ببعض بغية الخفّة، وقد تمّ ذلك في اثني عشر موقعاً إعلالياً بيّنها المتقدمون . تعرضت لها وصفياً[1]، وأتناولها هنا مع شيءٍ من التحليل والتفسير الصوتيّ متطرقاً إلى آراء بعض المحدثين.

(1) ـ انظر ص: ١١٨ من هذا البحث

١ـ تفسير قلب الواو والياء همزة:

تطرق الصرفيون إلى هذه الظاهرة وحدّدوا مواضع قلب الواو والياء همزة من خلال استقرائهم للألفاظ العربية التي توفرت لديهم أثناء صياغتهم لهذه القواعد، وبيّنوا ما خالف هذه القاعدة، وحكموا عليه بالشذوذ حيث لا يرقى إلى مستوى نقض القاعدة التي بنيت على الكثير .

فالياء والواو تقلبان همزة في أربعة مواضع هي :

- إذا وقعتا متطرفتين بعد ألف زائدة
- إذا وقعتا عينا لاسم فاعل أعلتا في فعله
- إذا وقعتا بعد ألف فاعل وشبهه .
- إذا وقعت إحداهما ثاني حرفي علة تتوسطهما ألف مفاعل .

رأي المحدثين في قلب الواو والياء همزة .

هذه أربعة مواضع ذكرها اللغويون المتقدمون متناثرة في كتبهم ولعله من المنطق المفيد أن نسلم لهذا الجهد، وأن نعترف لأهل الفضل في السبق والجمع ، وما ينادي به بعض المتأخرين يمكن الاستئناس به والاستفادة منه ، أما أن يكون بدلاً عما قدمه السابقون، فإنه أمرٌ يصعب الحكم بقبوله، بيد أنني أجد رأياً لبعض المحدثين جريئاً في مسألة قلب الياء والواو همزة، فقد أضحى أنه ((من الممكن إذن القول بأن الواو والياء إذا وقعت إحداهما بعد فتحة طويلة زائدة سقطت وحلت محلها الهمزة))[١] .

حسب رؤيتهم للقواعد الأربعة السابقة في قلب الواو والياء همزة أن الواو والياء قد جاء كل منهما في سياقٍ صوتيٍّ واحدٍ رغم اختلاف القواعد ، فوقعتا بعد فتحة طويلة زائدة في المواضع الأربعة، وعلى ذلك فإنّ سبب وجود الهمز في أمثلتها واحد، وما تعدد القواعد سوى عملية تصنيف للأمثلة .

---

[١] ـ المنهج الصوتي للبنية العربية، ص:١٧٧.

يظهر في هذه الجزئية أن أصحاب هذا الرأي يوافقون المتقدمين في أشياء هي :

أ/ أن حدثاً صوتياً حدث في تلك الكلمات[١] فسرها المتقدمون تفسيراً صوتياً منطقياً، ومال المتأخرون إلى تفسيرها تفسيراً صوتياً نربط بينهما لنصل إلى نتاج علمي تستكين إليه النفس .

ب/ موافقة المحدثين للمتقدمين في الأساس، أي مبدأ الأصل كما ورد في كلماتهم أن أصلها واو أو ياء، ثم بعد وقوعهما في كذا، قلبتا همزة. يظهر ذلك في قول بعضهم ((إذا وقعت إحداهما بعد فتحة طويلة زائدة حلت محلها الهمزة)). [٢]

ج/ عبّر المتأخّرون بقولهم: سقطت وحل محلها الهمزة ، أي الواو أو الياء، بينما صرح عنه المتقدمون بمصطلح القلب، فيقول: إذا وقعت الواو أو الياء في موقع كذا قلبتا همزة، هذه المصطلحات والتعبيرات (سقطت وحل محلها وبين قلبت) بينها شبه ومقاربة، فلا نحس بوجود اختلاف بينها.

من هذا المنطلق يمكن النظر إلى قولهم : ((إمكان تفسير الهمزة بخاصة الوقف العربي الذي لا يكون على حركة في مثل : كساو /kissaa–u/ فحذفت الضمة المولدة للواو بازدواجها مع الفتحة الطويلة ، وأقفل المقطع بصوت صامت، هو الهمزة التي تستعمل هنا قفلاً مقطعياً تجنباً للوقف على مقطع مفتوح.))[٣] هذا فيما يتعلق بالواو أو الياء المتطرفة بعد ألف زائدة .

أما في أمثلة القواعد الثلاثة الباقية فإن المقطع الأخير في : قا/ول، با/يع ، عجا/وز صحا/يف ، يبدأ بحركة مزدوجة تالية لحركة طويلة ، وهذا ضعف في البناء المقطعي ، فسقط الانزلاق ، وحلت محله الهمزة النبرية، كوسيلة صوتية لتصحيح المقاطع، لا على سبيل الإبدال؛ لعدم وجود العلاقة المبيحة له.[٤]

---

[١] ـ هو سبق الواو أو الياء بألف زائدة في جميعها

[٢] ـ المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص:١٧٧

[٣] ـ المرجع السابق والصفحة

[٤] ـ انظر المرجع السابق والصفحة.

وتذهب الدكتورة ديزيزة نحو شاهين في أن الألفاظ : صحايف، وصاوم، ونيـــايف، تشكل بداية لمقطع جديد بحركة انزلاقية، أي بصامت معتل هو في طبيعته حركة، أو نقلة حركية، ما يشكل ضعفاً يصحح بالهمز فينبر المقطع .

ترى أن التخلص من تراكم الحركات هذه يتم عن طريق قفل المقطع بـــالهمزة بعـــد أن تحذف الضمة والكسرة الانزلاقيتين .[١]

إن النظرة الأولى لهذه القواعد ترينا أن الدكتور شاهين ومن سار نحوه يفسر قلب الواو والياء همزة في مجموعة أشياء مرّةً واحدةً جاءت في سياق صوتي واحد[٢] وهـــي وقوع الواو والياء بعد الفتحة الطويلة في مثل : سماو وكساو التي صارت إلـــى : ســـماء وكساء ، واسم الفاعل مثل قاول آل إلى : قائل، وعجـــاوز وصـــحايف أصـــلين لعجـــائز وصحائف ، هنا تظهر نقطة مفارقة جوهرية بين المتقدمين وبعض المتأخرين في أن فكرة المحدثين وقاعدتهم لقلب الواو والياء همزة مبتورة تفتقد الجوانب العقلية التي تحكمها ، إنه من الخلل أن نقول بقاعدة تصحيحية ، بنبت على العادة النطقية في نظام لغـــوي معـــين، يظهر خللها في أول تطبيق لها، فهذا أمر مرفوض ، حيث إنها تصطدم بكثير من الشواهد والكلمات العربية، وإليك طرفاً منها:

ق/ ول ــ با/ يع ــ عدا/وة ــ هدا/ية ...الخ .

هنا وقعت الواو أوالياء بعد فتحة طويلة زائدة، إلا أنه لم يسقط الانزلاق وتحل محله الهمزة النبرية كما ذهبا [٣] إليه ، ومثل هذه الأمثلة كثيرة ومتنوعة ألا تخرق الشواهد هذه القاعدة وتجعلها مبتورة ؟.

إن هذا الاتجاه الحديث في تفسير هذه الظاهرة لا تؤيده الحقيقة اللغوية الواقعيـــة، ولا الحقيقة الصوتية للنطق العربي، لا صطدامه بقاعدة القلب في مثل : كساءة التي أصلها كساوة، وبناءة من: بناية، حيث وقعت الواو والياء متطرفة تطرفاً حكميـــاً (لوقـــوع تـــاء

---

[١] ـ انظر الصرف وعلم الأصوات، ديزيزة سقال ،ص:١٥٨.

[٢] ـ انظر ظاهرة الإعلال في العربية ، رجب عثمان محمد، ص:٦٢.

[٣] ـ الضمير هنا يعود إلي الدكتور / عبد الصبور شاهين والدكتورة/ ديزيزة سقا ل.

التأنيث بعدهما) بعد ألف زائدة ، فقلبتا همزة، والوقف هنا لا يكون على الهمزة – كما يقول به بعض المحدثين – فالوقف على تاء التأنيث فمن أين جاءت الهمزة ؟.

لذلك أقرر مطمئناً أن القلب لم يتم مباشرة من الواو أو الياء إلى الهمزة، بل قلبت الواو أو الياء ألفاً، ثم التقت الألفان (الألف الزائدة والألف المنقلبة عن الواو أو الياء) فتحركت الثانية فيهما فانقلبت همزةً . [1]

وتقلب الواو أو الياء ألفاً أولاً ، ((لأنهما ينقلبان ألفاً إذا كانت قبلهما الفتحة، والفتحة من الألف، فإذا جاءت الألف لم يكن من قلبهما بد .

فقلبتا ألفين وقبلهما ألف، فهمزوا الثانية لئلا يجتمع ساكنان، ولم يحذفوا فيكون الممدود مقصورا... ويلتبس))[2]

وبهذا لم يكن للمحدثين جديدٌ إلا اللهم إذا كان العرض أو الأسلوب .

وأضيف أن شرط اللغويين أن تكون هذه الألف التي تهمز بعدها الياء أو الواو ((ثالثة فصاعداً، لئلا يدخل عليه همز مثل : غاية وطاية))[3].

ومثل هذه الشروط هي منطقية ولم تكن صوتية إلا أنها ضابطة ليست عبثاً، وإلا لاصطدمنا بشواهد كثيرة.

وإذا قلت برأي المحدثين دون تحديد شرط للألف لوقعت في أخطاء جمة، وهي، همز كل ياء أو واو بعد ألف، فنصبح هامزين لما لم تهمزه العرب، ونكون قد ابتدعنا في اللغة ما ليس منها .

---

[1] ـ انظر الخصائص ج١،ص:٢٥٩

[2] ـ المنصف ج٢ص١٣٧

[3] ـ المصدر السابق والصفحة.

٢ـ تفسير قلب الواو والياء ألفا:

تقدمت فكرة اللغويين في قلب الواو والياء ألفاً، وذلك متى ما تحركتا بحركة أصلية وانفتح ما قبلهما فتحاً أصليا أو عارضاً فإنهما تقلبان ألفاً[١].

رأي المحدثين في قلب الواو والياء ألفا:

نظراً للتباعد بين الياء والواو من جهة والألف من جهة أخرى تولد التحفظ لدى بعض المحدثين عن موافقة المتقدمين في نظرتهم للقلب هنا مع ضوابطه الكثيرة التي اعتبرت شروطاً، بلغت عشرة كانوا يشيرون إليها هنا وهناك في كتبهم . انتقدهم فيها بعض المعاصرين كونهم لم يجمعوها ولم يضعوها في قانون عام ((بل كانوا كلما رأوا قانوناً صوتياً توقّف عن العمل في كلمة ما، يفرعون في التقنين والتقعيد حتى تضخمت هذه القوانين والقواعد تضخماً كبيراً أزعج الطالب وأوقعه في الحيرة والبلبلة، وأورثه نفوراً شديداً من الصرف وقواعده))[٢] ويضيف آخر: إن المتقدمين أخذوا ((يتتبعون الأحوال، ويستخرجون الشروط ويضعون القيود ، حتى أحاطوا المسألة بشروط ...))[٣] .

وتلخص فكرتهم[٤] في أنه يتوقف عمل قانون صوتي ما إذا أدى تطبيقه إلى أحد الأمور التالية :

ا ــ إلى تشويه الكلمة وابتعادها كثيرا عن أصلها

ب – إلى الوقوع في اللبس

ج – إلى حرمان الكلمة من صيغة تحمل مقولة صرفية معينة.

توضيح هذه النقاط يكون في الأتي:

أ– يتوقف القانون عن قلب الواو أو الياء ألفاً إذا كان القلب يؤدّي إلى تشويه صورة الكلمة كما في نحو: أهوى، وأصلها: أهوي تحركت الياء وانفتح ما قلبها فقلبت ألفاً: أهوى، لــو جاء القانون الثاني وهو نقل الحركة الذي يتولد عنه قلب الواو ألفاً، لصارت الكلمة إلــى:

---

(١) ـ انظر ص: ١٢٧ من هذا البحث.

(٢) ـ المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، ص:١٠٩

(٣) ـ المنهج الصوتي للبنية العربية،ص:١٩٢

(٤) ـ انظر المحيط في أصوات العربية، ص: ١٠٨.

أهاى، ويأتي بعد هذا قانون ثالث، هو الحذف لأجل الساكنين، فتصير الكلمة إلى: أهى، وهي صورة مشوهة تبعد الكلمة عن أصلها كثيراً لهذا يتوقف هذا القانون .

ب- كلمة سعيا متصل بألف الاثنين عند تطبيق القانون العام تصبح: سعاا، يعقبه قانون آخر، هو التخلص عن أحد الساكنين، عندئذ تصبح الكلمة : سعى ويعني هذا أن تطبيق القانون أدى إلى لبس، وهو أن الصيغة موضوعة لمثنى وهي الآن لمفرد.

ج- عندما نطبق قانون النقل والقلب في كلمة: أسود لصارت إلى: أساد، عندئذ تفقد الكلمة وزن أفعل الموضوع لمعنى إفادة الوصف _ لهذا يتوقف قانون النقل في هذا الوزن .

إن كثرة الشروط في تطبيق هذا القانون الذي حدده المتقدمون جعلت من بعضهم يحكم بضعفه، إذ يقول : "((اعلم أن علة قلب الواو والياء المتحركتين المفتوح ما قبلهما ألفاً ليست في غاية المتانة)) [1] وذلك راجع إلي ضعف الياء والواو عند وقوعهما بين مصوتين، حيث يتجه كل منها إلى التغيير والاختفاء .

وأشير هنا إلى ضرورة ملاحظة الفرق بين الياء والواو عندما يكونان صامتين، وعندما يكونان صائتين، أي حركات طويلة، عن طريق التفرقة بينهما في بداية المقطع ونهايته، أو عن طريق الوظيفة، فمن الناحية المخرجية هناك فرق بين الياء والواو كصوامت وبين الألف كحركة طويلة .

وهذا ما يولد بعض الإشكالات في قول اللغويين: إن الواو والياء تقلبان ألفاً في قال وباع ، وأصلهما : قول وبيع ، إذ القلب يتم بين أصوات متقاربة مخرجاً، وليس بين أصوات متباعدة، والواو والياء في: قوَل وبيَع صوامت والألف حركة طويلة .

ولعل هذا الغموض الذي يكتنف هذا التغيير بين المبدل والمبدل منه هو الذي هدى بعض اللغويين أن يفسروا المسألة تفسيراً وصفياً، وعند آخرين تفسيراً تاريخياً[2] .

---

[1] ـ شرح حاشية ابن الحاجب لرضي الدين الاستراباذي ، ج٣ص:٩٥.

[2] ـ انظر ظاهرة الإعراب في العربية ، د/ رجب عثمان محمد، ص: ٢٢ وما بعدها.

٢/١ــ تفسير وصفي لقلب الواو الياء ألفاً :

صار الدكتور شاهين يصف المسألة، ويؤكّد خاصية الانــزلاق ، فــإذا لــم يكــن الانزلاق وجب اعتبارهما غير موجودتين في نسيج الكلمة، لأنهما نتيجة لتتابع الحركات المختلفة ((فإذا تتابعت الفتحة والكسرة هكذا : / a+i / نتج صوت الياء، وإذا تتابعت حركة الفتحة والضمة هكذا / a+u / نتج صوت الواو .أي الانزلاق بين الحــركتين المختلفتين هو في الحقيقة ما يسمى بالياء أو الواو))[١] وإذا كان الانزلاق بين الحركتين يولد الياء أو الواو، فمن البديهي أنّها ليست حركة كاملة ((بل هي صوت بيني أطلــق عليه المتأخّرون نصف حركة، وعلى هذا نستطيع أن نقرّر أننا سنعامل هذين الصوتين باعتبارين:

- الأول أنهما نصفا حركة من الناحية الصوتية .
- الثاني أنهما نصفا صامت من الناحية الموقعية حين يقع الانزلاق موقــع الصــوت الصامت، فيعطى حكمه وبخاصة من حيث وزن الكلمة ...))[٢]

وعلى هذا يذهب [٣] في تفسير قلب الواو ألفاً، في نحو: قام، وأصلها: قوَم /qa+u+ama/ اجتمعت فيها حركة ثلاثية نشأت عن اتصال أجزائها، فإذا سقطت الضمة انتفى الانــزلاق، واتصلت الفتحتان القصيرتان قبلها وبعدها، لتصبح الكلمة: قام /qaama/، فكل ما حــدث هو إسقاط عنصر الضمة في واقع الأمر، هروباً من ثلاثية الحركة، إلى الحركة الطويلة . وكذلك كلمة: بيَع /ba+i+a a/ تعرضت للإجراء نفسه وهو حذف الحركة الوسطى، فتلتقي الحركتان (الفتحتان) لتصبحا فتحة طويلة هي: باع /baa a/.

---

[١] - المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص : ٣٠.
[٢] - المصدر السابق ص : ٣١.
[٣] ــ انظر المصدر السابق ص : ١٩٤-١٩٥.

أي ((إن موقع العين في هذه الكلمة هو موقع واو أو ياء نتجت كل منهما من توالي الحركات المتخالفة ... فإذا حدث انزلاق من الفتحة الأولى في كل مثال إلى الحركة التالية لها، نتجت الواو أو الياء التي هي عين الكلمة في الأصل ...))[1] ومثله:

رَمَيَ ← رمى. ودَعَوَ ← دعا .

هناك تفسيرٌ وصفيٌّ أخر لعالم من المحدثين [2] يرى أن: قَولَ كتابتها الصوتية: ق ــ و ــ ل ــ، وكذلك: ب ــ ي ــ ع ــ عندما تقلب الواو أو الياء ألفاً على حسب رأي المتقدمين، فإنهم لم يخبرونا بما يحدث للفتحة السابقة للواو أو الياء والفتحة اللاحقة لهما. لهذا الخلل يفسره فيما يأتي :

أولاً: يحذف شبه العلة الواو أو الياء عند وقوعهما بين علتين قصيرتين .

ثانياً: بعد سقوط شبه العلة الواو أو الياء ينتج عن العلتين القصيرتين علة طويلة من جنسهما، وأمثلته .

ق ــ َ و ــ َ ل ــ َ ⟵ ق ــ َ ــ َ ل ــ َ = قال

ب ــ ي ــ ع ــ َ ⟵ ب ــ َ ــ َ ع ــ َ = باع

إن الإجابة التي أتوقعها، والنتيجة التي أرجو تأكيدها لم تتوفر في هذا التفسير الوصفي التحليلي الصوتي؛ إذ إن موضوع الانزلاق لو تمعت فيه ونظرت إلى عموم الألفاظ دون الاكتفاء بمثال أو مثالين أجده يصطدم بشواهد أخرى لا سيّما عند وقوع الانزلاق بين فتحة قبله وكسر أو ضم بعده، نحو :

خَوِف : خ ــ َ و ــ ِ ف ــ َ ⟵ خاف

طَوُل : ط ــ َ و ــ ُ ل ــ َ ⟵ طال

فالتساؤل أنه كيف جيء بالألف في مثل هذه الأمثال ؟

كما يؤكّد الدكتور / رجب عثمان [3] أن فكرة الانزلاق نفسها لم يقبل بها جلّ المحدثين .

---

[1] - بحوث ومقالات في اللغة ، رمضان عبد التواب ، ص :٨٣ .

[2] - انظر دراسات في علم الأصوات العربية ، داود عبده ص : ٣٤. .

[3] - انظر ظاهرة الإعلال في العربية ص : ٣٢.

٢/٢ــ تفسير تاريخي لقلب الواو و الياء ألفاً :

هذا التفسير يعتمد على المدى الزمني لهذه الظاهرة أي أن هذه الأفعال: قال وباع وأصلها: قَوَلَ – بَيَعَ، مرت في تحولها عن أصلها بمراحل عبر التاريخ اللغوي وكان رائد هذا الاتجاه الدكتوران: إبراهيم أنيس، ورمضان عبد التواب[١] .

مراحل التطور التاريخي لقلب الواو والياء ألفاً

أ- مرحلة التسكين :

أولى تلك المراحل تتمثل في ((سكون الواو أو الياء في الفعل الماضي الثلاثي بسقوط الفتحة القصيرة أو الكسرة القصيرة من عين الفعل، أو سقوط الفتحة القصيرة من لامه))[٢].

هذه الظاهرة مقتصرة على نوعين من الفعل الماضي الثلاثي وهما: الفعل الأجوف والناقص، أما فاء الفعل المثال فلم يطرأ لها أي تغيير في هذا الطور .

ويبرهن صاحب هذا الرأي بأن سقوط صوت اللين القصير عن عين الفعل أو لامه شرط أساسي في قلب الواو أو الياء إلى صوت لين طويل، ويعتمد في ذلك على قول لابن يعيش، وهو ((أن الواو والياء لا تقلبان إلا بعد إيهانهما بالسكون، ولا يلزم على ذلك باب: سَوْط – شَيْخ؛ لأنه بُني على السكون، ولم يكن له حظّ في الحركة، فيهن بحذفها، فلو رمت قلب الواو والياء في: قَوَم – بَيَع، وهما متحركتان لاحتمتا بالحركة ولم يقلبا فاعرفه))[٣]

ب-مرحلة الإمالة :

يعلّق الدكتور أنيس على هذا النصّ قائلاً: ((هذا كلام جيد حسن، ولابد إذن قبل انقلاب الواو والياء أن يصبحا ساكنتين لينتج من كل منهما ذلك الصوت الذي يسمى (diphthong) والذي كثيراً ما يقلب إلى صوت لين خالص)) [٤] أي عند التقاء الفتحة مع الواو أو الياء الساكنتين، كما هو شائع في اللهجات الآن ، نحو :

بيت – خوف تحولتا إلى / beet/ - / xoof/

---

[١] ــ انظر ظاهرة الإعراب في العربية ، رجب عثمان محمد،ص:٣٢.
[٢] - الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنس ص : ٢٤٨.
[٣] - شرح المفصل لابن يعيش ج١٠ص١٦ .
[٤] - الأصوات اللغوية ، ص : ٢٤٨.

أي أن الواو أو الياء بعد تسكينهما في المرحلة الأولى جاءت المرحلة التالية، وهي مرحلة الإمالة، ثم عقبها جاءت المرحلة الأخيرة، وهي فتح الإمالة .

فتكون المراحل في قَوَل: قول /qawla/ ثم /qoola/، ثم الأخيرة قال/ qaala/.

فالمراحل عند أنيس ثلاث، بينما أجدها أربعاً عند الدكتور/ رمضان عبد التواب [١] حيث عدّ مرحلة الأصل: قَوَل – بَيَع، هي أولى تلك المراحل، وتصبح مع التي ذكرها الدكتور أنيس أربعاً .

أجدني مائلا إلى التفسير التاريخي لظاهرة قلب الواو والياء ألفاً؛ لملاءمته للواقع اللغوي، وتدعيم اللغويين له في إشارات عابرة تستقى من مؤلفاتهم .

فعن المرحلة الأولى، وهي مرحلة الأصل، فقد أورد المتقدمون [٢] كلمات كثيرة أشاروا إليها على أنها للمح الأصل ، نحو غور ، صيد واستحوز في قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾[٣]

وعن المرحلة الثانية وهي مرحلة التسكين التي تنبه لها ابن جني كونها ممهدة ومقربة لعملية القلب بين الواو أوالياء من جهة والألف من جهة أخرى، فيقول : ((إن أصل قام : قوَم – فأبدلت الواو ألفاً، وكذلك باع أصله: بيَع، ثم أبدلت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وهو لعمري كذلك – إلا أنك لم تقلب واحداً من الحرفين إلا بعد أن أسكنته استثقالاً لحركته، فصار إلى قَوم ، وبَيع ثم انقلبا لتحركهما في الأصل وانفتاح ما قبلهما...))[٤]

أما المرحلة الثالثة فتؤيدها الوقائع اللغوية الحديثة فالواو والياء الساكنتان ومسبوقتان بفتحة يلاحظ فيهما الانكماش، فتتحول الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة طويلة ممالة [٥] كما هو في اللهجات لكلمة : يوم – نوم – صوم ــ /yoom-noom-soom/ ،وقد وجدت مثل

---

[١] - انظر بحوث ومقالات في اللغة ، ص :٥٩.
[٢] - انظر الخصائص ج٤ص١٤٧.
[٣] - سورة المجادلة آية : ١٩.
[٤] - الخصائص ج٢ص:٤٧١-٤٧٢.
[٥] - انظر بحوث ومقالات في اللغة ، ص : ٦٤.

هذه المرحلة في القراءات كما في قولة تعالى: ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾[1] في قراءة[2] حمزة والكسائي وخلف بالإمالة .

إن ((صوت اللين المركب الذي يسميه المحدثون (diphthong) قد مرّ في اللغة العربية بأدوار ثلاثة /ai/ أو /au/ ثم تطور الأول إلى / e/ والثاني إلى /o/ وأخيراً صار الاثنان: /a/)) [3]

هذه المراحل التاريخية للأفعال الجوفاء أو الناقصة في اللغة العربية، يمكن أن تفسر عملية قلب الواو أو الياء ألفاً.

---

[1] - سورة الضحى، الآية: الأولى والثانية .
[2] - انظر تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص ٥٥ .
[3] - انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس ً : ١٤٣.

٣ـ تفسير قلب الواو ياء

جاء في وصف المتقدمين أن الواو تقلب ياء في عشرة مواضع [١]

ويلاحظ أن القاسم المشترك بين بعضها هو وقوع الواو بعد كسرة، نحو: رضـــي وقيـــام، وديار، وأصلها:، رضو، وقوام، ودوار. قلبت الواو فيها ياء .

تفسير المحدثين لقلب الواو ياء

يذهب بعض المحدثين إلى أن الحادث هو سقوط الضمة نظراً لثقلها عنـــدما اجتمعـــت متتابعة مع الحركات الأخرى، لكره العربية له [٢] وقد تم ذلك في الآتي:

/radiwa / ⟶ /radiya/

/qiwaam/ ⟶ /qiyaam/

/diwaar/ ⟶ /diyaar/

/siwat / ⟶ /siyaat /

هذا الثقل الناشئ عن تتابع الكسرة والضمة، والضمة والكسرة هـــو الـــذي أدى إلـــى سقوط الضمة، أي أنه هروب من ثلاثية الحركة في موضع واحد إلى الحركة الثنائية، فكـــان هذا شكلها /i+u+a/ فأسقطت الضمة لصعوبتها بعد الكسرة، أو لأن الحركة المزدوجة أيســـر نطقاً ((وعلى ذلك نرى أن عنصر الضمة قد أسقط في هذه الأمثلة فاتصلت الكسرة بالضـــمة مباشرة، فكانت الياء نتيجة الانتقال بينهما دون أن تكون بدلاً من الواو، كما قيل (هكذا

/ radi-u-a / ⟶ / radi-a /)) [٣]

واضح أن المتقدمين يؤكدون قلب الواو ياء، بينما لا يقرّ بوقوع الإعلال بالقلـــب بعـــض المحدثين ، ويعبّر عنه بسقوط الضمة، والأمر جليّ من خلال الكتابة الصوتية، أن الـــواو قـــد ذهبت وحلت محلها الياء، وهي عملية تبادل بينهما سببتها المماثلة الصوتية؛ إذ الواو في هـــذه البيئة متغايرة مع الكسرة التي تسبقها، فقلبت إلى صوت يتناسب معها، وهـــي اليـــاء، وهـــذا

---

[١] ـ انظر ص: ١٣٠من هذا البحث

[٢] ـ انظر الصرف وعلم الأصوات، ديزيزة ، ص :١٦١.

[٣] ـ انظر المنهج الصوتي للبنية العربية ص : ١٨٩.

المعنى أكّده اللغويون حين الحديث عن قلب الواو ياء، في نحو: سوط – سياط. يقول سيبويه: ((لما كانت الواو ميّتة ساكنة شبهوها بواو يقول ... إذ كان قبله الكسرة؛ لأنهم يكرهون الواو بعد الكسرة حتى يقلبوها...))[١] مع مراعاة الضوابط والشروط المذكورة في هذا الشأن . وإنّ زعم المحدثين هروباً عن ثلاثية الحركة يتعارض مع أمثلة أخرى ، نحو: سواك– سوار – جوار – لواذ ... كلمات بها ثلاثية الحركة إلا أنه لم تهرب عنها العربية ! وهنا تظهر أهمية الشروط التي ساقها اللغويون .

ويدحض ما ذهب إليه المحدثون كونه ليس بدلاً، عودة الواو فيما إذا كانت الكسرة قد ذهبت في نحو: رياح من: رواح، فعندما تجمع على أفعال تكون: أرواح، ويصر على ذلك مجموعة من اللغويين [٢]لاشتقاقها من الروح. ويخطئون جمعها على أرياح، يقول الزبيدي[٣]: إن أصل ريح من: روح لاشتقاقها من: الروح، وأبدلت الواو ياء في ريح ورياح للكسرة التي قبلها، فإذا جمعت على أرواح، فقد سكن ما قبل الواو وزالت العلة [٤] حينئذ تعود إلى أصلها الذي هو الواو، فالعملية إذن تبادل بين الواو والياء وسببه الكسرة، ويقولون[٥] هبت الأرياح، مقايسة على قولهم رياح، وهو خطأ بين، ووهم مستهجن، والصواب أن يقال: هبت الأرواح كما قال ذو الرمة[٦]:

" إذ هَبّت الأرْواحُ من نحو جانِبٍ ** به أهلُ ميّ هاج قلبي هبوبها ".

وتقلب الواو ياء عندما يلتقيان في كلمة والسابق منهما ساكن ، نحو : سيد وأصله: سيود، وهو أيضاً من قبيل ما تقدم. إن الواو هنا محركة بالكسر وقبلها ياء، وهي أيضاً من جنس الكسر، فيتطلب الموضع مماثلة، فقلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء.

ورؤية المتأخّرين لهذا الموضوع لم تخرج عمّا قال به المتقدمون إلا في التعبير، حيث يذكر المتقدمون: قلبت الواو ياء، وعبّر عنه المحدثون بسقوط الضمة، وتولدت الياء نتيجة

---

[١]. ـ انظر الكتاب ج٤ص٣٦٠

[٢] ـ منهم: أ- الزبيدى في كتابه لحن العوام ، ص ٢٥٣ ب- أبن مكي الصقلي في كتابه تثقيف اللسان وتنقيح الجنان ص :٩٤ ج الحريري في كتابه درة الغواص ، ص " ٤٥. .

[٣] ـ هو محمد بن الحسن أبوبكر الزبيدي النحوي الأندلسي، من أهل إشبيليا، له كتب منها: أخبار النحويين، تفي سنة تسع وسبعين وثلاث مئة. إشارة التعيين، ص:٣٠٧.

[٤] ـ انظر لحن العوام للزبيدى ، ص : ٢٣٥ .

[٥] ـ انظر درة الغواص في أوهام الخواص، ص٤٠

[٦] ـ انظر ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي، ص: ٦٦.

لاتصال الكسرة بالفتحة، وتم كل ذلك بناء على الثقل الناشئ من تتابع هذه الأصوات التي تماثلت في نهاية المطاف .

٤ ـ تفسير قلب الياء واواً:

أكّد اللغويون المتقدمون [١]والمحدثون [٢] أن الياء أخف في النطق من الواو لذلك كثرت مواضع قلب الواو ياء وقلت مواضع قلب الياء واواً، وحصرها الصرفيون في أربعة مواضع [٣].

تفسير المحدثين لقلب الياء واواً.

يرى بعض المحدثين في المواضع الثلاثة من قلب الياء واواً، أن ما جرى ليس بقلب بين الحروف، إنما هو عملية تبادل بين الحركات نتيجة لتتابعها، نحو : موقن من ميقن ((فهو يشبه وقوع الواو ساكنة بعد كسر في مثل موزان كلاهما ناشئ عن تتابع ضمة وكسرة أو كسرة وضمة، ونظرا لثقل هذا التتابع فقد تخلص الناطق العربي منه بإسقاط العنصر الثاني وإطالة العنصر الأول كما أن:

/mu-iqin / ⟶ /muuqin/

/mi-uzaan/ ⟶ /miizaan/

فالتبادل في هذه الأمثلة بين الحركات ، لا بين أحرف العلة))[٤]

هناك نوعان من الأصوات، فهي إما صامتة وإما صائتة، كما أن أصوات العلة هي أيضاً إما صامته أو صائتة أو شبه صائتة، فالياء الساكنة والتي تسبقها حركة ليست من جنسها هي شبه صائت، والياء في نحو: ميقن صوت شبه صائت ، فلما تماثلت مع الحركة الواقعة قبلها قلبت إلى واو، والواو التي حلت محل الياء هي صوت صائت . فالتبادل الحاصل هو بين شبه صائت و صائت، وليس بين صوائت، ولذلك ينبغي أن يكتب المثال الذي عرضه الدكتور/ عبد الصبور شاهين بهذه الصورة :

---

[١] ـ انظر الكتاب ج٤ص٣٦٢.
[٢] ـ انظر المنهج الصوتي للبنية العربية ص : ١٨٩.
[٣] ـانظر ص: ١٣٣ من هذا البحث
[٤] ـ المنهج الصوتي للبنية العربية، ص:١٩١

/muyqin/ ⟶ /muuqin /

/miwzaan/ ⟶ /miizaan /

فالتبادل في هذين المثالين بين شبه صائت من جهة وصائتين من جهة أخرى.

ولا أوافق الدكتور في إرجاعه التبادل على أساس تتابع الحركات ، فإذا كان التتابع هو السبب، فما ذا يحدث في مثل : ميقن، تصغير موقن، وكتابتها الصوتية/ muyayqin / وعلى حسب رأي الدكتور تكتب / mu-iai-qin / تتابع أربع حركات. فما أؤكده هو أن الياء إذا تحركت كانت صامتاً وجرت على أصلها رغم وجود الضم قبلها، وفي هذا يقول ابن جني: ((فتثبت ياء، وكذلك حِوَل، وطِوَل، صحت الواو وإن انكسر ما قبلها، لأن الحركة في الحرف تقويه والسكون يضعفه))[١]

ويترجح عندي أن التبادل تم بين الياء والواو نتيجة للتماثل الصوتي حيث أثرت الضمة السابقة على الياء فقلبت واواً .

أما الموضع الرابع من مواضع قلب الياء واواً عندما تقع الياء لاماً لفعلى (بفتح الفاء) اسما لا صفة، نحو: تقوى – وفتوى – فهو الموضع الذي يوافق فيه المحدثون اللغويين المتقدمين حين قولهم : ((وأما القاعدة الرابعة فهي التي حدث فيها إبدال للياء واواً، تبعاً للمأثور من كلام العرب))[٢]

سكت المحدثون في هذا الموضع عن بيان علة القلب ، فلم يكن القلب هنا لعلة صوتية واضحة يرجع التفسير إليها إلا اللهم ما قاله المتقدمون ((إنهم قلبوا الياء ههنا واواً من غير استحكام علة أكثر من أنهم أرادوا الفرق بين الاسم والصفة وهذه ليست علة معتدة ...))[٣]

فهو قلب للياء واواً في الاسم ليختلف عن الصفة ، وحكموا بضعف هذا التعليل .

---

[١] - المنصف ج١ص٢٢١.

[٢] - المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص : ١٩٢.

[٣] - الخصائص، ج١، ص:١٣٣.

٥ ـ تفسير قلب الألف ياء و واواً وهمزة.

ويتم في ثلاثة مواضع:

٥/١ــ قلب الألف ياء

ويجري في موضعين [١] هما: عندما تقع الألف بعد كسرة نحو: مصابيح من مصباح ، وعندما تسبق الألف ياء التصغير، نحو: غليم من غلام .

تفسير المحدثين لقلب الألف ياء

يذهب المتقدمون على أن العملية التي جرت هنا هي عملية قلب بين الألف والياء، ويرى بعض المحدثين أن التبادل هنا تم بين حركتين، إذ ((الألف في مصباح وهي فتحة طويلة، لم تقلب ياء في: مصابيح، ولكنها قلبت كسرة طويلة في الجمع والتصغير، فالتبادل واقع بين حركات فقط ...)) [٢].

لا خلاف واضح بين الفكرتين فالمحدثون بهذا يوافقون المتقدمين بوقوع التبادل، إلا أن تسمية المحدثين للعملية بتبادل بين حركات فهي مبنية على المصطلح الذي استقر كون الألف هي حركة من جنس الفتحة، وهي طويلة منها في المدى الزمني، والياء الساكنة قبلها كسرة، هي أيضاً كسرة طويلة، وفي هذا ليس هناك جديد ، إذ قال بهذه الفكرة المتقدمون من قبل [٣] والذي جعلهم يطلقون عليها: ألفا أو ياء أو واوا ، هو الارتباط بالرمز وتسميته .

وحين وقوع الألف بعد ياء التصغير يشير المحدثون إلى الانتباه لما يطرأ على الكلمة حالة التصغير، فإن القاعدة حسب رأيهم تفرض وضع ضمة بعد الصامت الأول، وفتحة بعد الصامت الثاني وهاتان الحركتان (الضمة و الفتحة) تسقطان الحركتين السابقتين لهما في الكلمة، ففي رجل /rajul/ يقال : رجيل /rujayl/ ، وهكذا ينبغي أن نتصور سقوط الألف في غلام لتحل محل الألف فتحة التصغير، ثم تجيء ياء التصغير بعد

---

[١] ـ انظر ص: ١٣٦ من هذا البحث.

[٢] ـ المنهج الصوتي للبنية العربية ،ص : ١٨٦.

[٣] ـ انظر سر صناعة الإعراب ج١ص١٧.

ذلك، فيقال: ((غُلَيْم – ولكن تصغير الكلمة على هذا النحو لا يفترق عن تصغير الثلاثي إلى جانب أنه يفقدها إيقاعها النبري الذي اتخذ شكل الطول في غلام، فحولت اللغة نبر الطول إلي نبر توتر بتضعيف ياء التصغير فقيل: غُلَيم، أي أن الياء الثانية ياء نبرية))[1] وبهذا لا قلب في الكلمة، فالحاصل هو عبارة عن نبر لإيجاد الفرق بين تصغير الثلاثي من غيره.

والسؤال الوارد هو متى كان النبر على الحروف أداة للتفريق بين الأبنية في التصغير في اللغة العربية ؟.

فالكتابة الصوتية تظهر عملية القلب الحادثة في مثل هذه الأمثلة :-

غلام / gulaam/ تصغيره : غليم /gulayyim/

كتاب / kitaab/ تصغيره : كتيب /kutayyib/

إن عين الكلمة من الكلمتين محركة بالفتح الطويل وهو الألف، وياء التصغير ثالثة، أي تالية لعين الكلمة، وما قبلها مفتوح، وهذا الفتح الذي قبل ياء التصغير هو فتح ضمن بناء التصغير، ولما جاءت الياء ثالثة صارت الألف التي في الكلمة قبل التصغير إلى موقع بعد الياء، حينئذ لم تثبت كما بين المتقدمون؛ لأن الياء من جنس الكسرة، ولما انكسر ما قبل الألف قلبت الألف ياء لاستحالة بقائها بعد الكسرة [2] فقلبت إلى ما يجانس الكسرة، وهو الياء، والتقت مع ياء التصغير الساكنة قبلها فأدغمت فيها .

فالقول بعدم القلب لا تؤيّده الوقائع اللغوية؛ لأن كلمة: غُلَيّم عند كتابتها صوتياً /gulayyim/ ظهرت فيها ياءان، الأولى هي ياء التصغير، والثانية هي الياء التي قدمت من الألف في المكبر .

---

[1] - المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص : ١٨٦-١٨٧.

[2] - انظر ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ج١ص١٣٦

٢/٥ــ قلب الألف واواً :

تقلب الألف واواً عند المتقدمين حالة عروض انضمام ما قبلها، أو كانت الألف في بناء فاعل وفاعلة عند جمعه الجمع الأقصى .[١] نحو :

ضارب ـــــ ضُورب ـــــ أو ضَوَارب .

تفسير المحدثين لقلب الألف واواً :

إن حركة الضاد في ضَارِب عند المحدثين هي الفتحة الطويلة (الألف) وحركتها في: ضُورِب ضمة طويلة (واو)، ومن ((ثم لا يصح أن يقال إن الألف ضُم ما قبلها قلبت واواً، ولكن يقال: إن بناء الفعل للمفعول من هذه الصيغة يقتضي إبدال الفتحة الطويلة في حالة البناء للفاعل – ضمة طويلة في البناء للمفعول)) [٢] وبهذا ينفون وقوع القلب ويثبتون الإبدال .

تعليل الصرفيين لقلب الألف واواً :

يعلل الصر فيون لقلب الألف الثانية الزائدة في موازين فاعل وفاعلة ، نحو ضارب وخاتم، عند تصغيرهما على: ضويرب وخويتم، وكذا عند جمعهما الجمع الأقصى نحو: ضوارب وخواتم يقول بعضهم : ((فأما قلبها في التحقير فأمره واضح، وذلك أن الضمة لما وقعت قبل الألف قلبتها واواً)) [٣] ؛ إذ الألف صوت صائت ساكن لا يتحمل حركة قبله غير الفتح، فإذا تحرك ما قبله بالضم جر الألف نحوه ، فاستحالت إلى الواو.

أما قلب الألف واواً فيما كان مجموعاً جمعا أقصى ((فهو محمول في ذلك على التحقير، وذلك أنّك إذا قلت: خواتم وضوارب فلا ضمة في أول الحرف، ولكنك لما كنت تقول في التحقير: خويتم قلت في التكسير خواتم)). [٤]

وسبب حملهم التكسير على التحقير لأنهما من واد واحدٍ، ومعين واحدٍ، حيث إن هذا التكسير جارٍ مجرى التحقير في كثيرٍ من أحكامه؛ لأنّ معلم التحقير ياء ثالثة ساكنة قبلها

---

[١] - انظر ص: ١٣٦من هذا البحث.
[٢] - المنهج الصوتي للبنية العربية ،ص : ١٩٠.
[٣] - سر صناعة الإعراب ج٢ص:٥٨٠.
[٤] - المصدر والصفحة.

فتحة، ومعلم التكسير ألف ثالثة ساكنة قبلها فتحة ، والياء أخت الألف من حيث الاعـتلال، وما بعد ياء التحقير حرف مكسور، كما أن بعد ألف التكسير حرف مكسور، فلما تناسبا من هذه الوجوه حمل التكسير على التحقير. [1]

إن تعليلهم الصوتي في هذه المسألة يتوقف عند الجزء الأول وهو انضمام ما قبـل الألف فلا يتناسبان، فتضطر الألف لتتحول إلى صوت يجانس هذه الحركة السـابقة لـه ، وهو الواو .

أمّا الجزء الثاني حالة الجمع الأقصى فرؤيتهم منطقية قياسية حمل ما لا علّة فيـه على ما فيه علّة، وهذا التعليل لا يمتّ إلى التعليل الصوتيّ بصلة .

٣/٥ــ قلب الألف همزة :

تقدّم أنّ الألف تقلب همزة إذا تطرفت وقبلها ألف زائدة ، أو وقعت بعد ألف مفاعل وقد كانت مدّة زائدة في الواحد، [2] نحو : حمراء ، ورسائل .

فالهمزة في نحو صحراء وبابها إنما هي بدل من ألف التأنيث التي تقع رابعة كما في نحو: سكرى وحبلى ... ولما جاءت ألف قبلها ألف زائدة اجتمع ألفان .

تفسير اللغويين لقلب الألف همزة:

أفاض المتقدمون في بيان سبب قلب أحد الألفين ، لأنه بعد التقائهما (الأولى زائدة والثانية هي ألف التأنيث) فلا يمكن الجمع بينهما لسكون كل منهـا ولا سـبيل إلا حـذف إحداهما أو تحريكها .

ولا يمكن حذف إحداهما إذ لو حذفت الأولى لانفردت الأُخرى ، والعرب بنت الكلمة على اجتماع ألفين فيها ، وأما الثانية فهي علامة تأنيث بحذفها تذهب دلالة التأنيـث التـي اتصفت بها الكلمة، لهذا لم يتأت الحذف في أحدهما. [3]

إنه لما انجزم الحرفان حركت الثانية منهما فانقلبت همزة، فصارت صحراء وأصلها في التقدير هذه صورتها: صحرااا – فلما التقت الألفان اضطروا إلى تحريـك إحـداهما –

---

[1] ـ انظر شرح شافية أبن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي ج١ص:٢١٣.

[2] ـ انظر ص: ١٣٨ من هذا البحث.

[3] ـ انظر شرح صناعة الإعراب ج١ص:٨٤.

فاختاروا الثانية؛ لأن الألف الثانية هي محل الإعراب الذي لابد من تحريكــه، فاختــاروا الهمزة، والهمزة والألف((من الحلق ، وإن كان للألف أصل متحرك بحركة حركت الهمزة بتلك الحركة))[١].

يؤكد اللغويون أن الهمزة صوت ثقيل كرهته العرب ، وكثير مــن الكلمــات التــي اشتملت على الهمزة آلت إلى الألف، أو الياء، أو الواو في التسهيل، ولم ترد الهمــزة فــي كلمة عربية مكررة متجاورتين ، ((لأنها حرف سفل في الحلق وبعد عن الحروف، وحصل طرفاً، فكان النطق به تكلفاً، فإذا كرهت الهمزة الواحدة، فهم باستكراه الثنتين ورفضهما – لاسيما إذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين فاء وعيناً أو عينا ولاماً أحرى .فلهذا لم تأت في الكلام لفظة توالت فيها همزتان أصلاً ألبتة))[٢]

والذي ألجأهم إلى اختيارها هنا بدلاً عن الألف هو اضطرار التحريك، والقرب بينها وبين الألف، وإن كان نظرية السهولة تأبى ذلك .

إن نظرة المتقدمين لها هي نظرة صوتية يؤكّده ابن عصفور فيما إذا وقعت الألــف بعد ألف الجمع في نحو: رسائل فيعد هذا القلب ((هروباً من التقاء الساكنين، ألف الجمــع وألف رسالة، فقلبت همزة؛ لأن الألف لا تقبل الحركة، والهمزة قريبة المخرج من الألف؛ لأنهما من حروف الحلق، وحركت الهمزة بالكسر على أصل التقاء الساكنين)) [٣] .

فالتفسير عندهم مرتكزٌ على أسسٍ صوتيةٍ وإن كان المحدثون يقررون أن الهمزة حنجريــة مهموسة، والألف عبارة عن حركة طويلة أمامية متسعة مجهورة، فمما يقرب بينهما وجود الفتح قبلها؛ إذ يلاحظ في العربية أن كثيراً من الهمزات لما سهلت وما قبلها مفتوح صارت ألفاً كما في: راس – فاس وأصلها: رأس – فأس .

---

[١] - شرح شافية ابن الحاجب .ج٢ص:٢٤٩.
[٢] - سر صناعة الإعراب ج١ص:٧٢.
[٣] - الممتع في التصريف لابن عصفور الأشبيلي،ج١ ص٣٢٦ .

٦/ تفسير قلب الهمزة ألفاً وياء و واواً

يتمّ تفسير قلب الهمزة ألفاً وياء واواً في ثلاثة مواضيع :

١/٦ : تفسير قلب الهمزة ألفاً :

حينما تلتقي همزتان في كلمة، الأولى متحركة، والثانية ساكنة تقلب الثانية ألفــاً ، نحو: آمن من أأمن .

تفسير المتقدمين لقلب الهمزة ألفاً :

يذهب المتقدمون إلى أنّ عملية قلب الهمزة ألفاً تعود إلي تلمّس الأصوات السهلة ، إذن إنّ الهمزة تعد من الأصوات التي تتكون داخل الحنجرة ، وتعد من أبعــد الأصــوات وأدخلها مخرجاً ، فشكّل غموضاً في تفهمها ، وصعوبةً في نطقها ، ((لأنها حرف سفل في الحلق وبعد عن الحروف وحصل طرفاً فكان النطق به تكلفاً)) [١].

هذه الصعوبة جعلت منهم البحث عن بديل، فوقع الاختيار لصوت الألف ، لأنها أخف من الهمزة نطقاً، وهي عملية ارتضتها نظرية السهولة واليسر، إذ ورد عن سيبويه حول هذا البيت [٢].

"عَجِبْتُ من ليلاك وانتيابِها مِنْ حيثُ زارَتْني ولمْ أُوارا بها "

معلقاً بقوله : ((خفف ولم أوارأ بها " فأبدلوا هذه الحروف التــي منهــا الحركــات لأنهــا أخوات .. وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف))[٣]. فبنى هذا الإبدال على القــرب والتشابه بين الصوتين .

٢/٦ : تفسير قلب الهمزة ياء :

تقلب الهمزة ياء إذا وقعت ساكنة مسبوقة بهمزة أخرى مكسورة ، أو وقعــت بعــد ألف مفاعل وهي عارضة واللام ياء أو واو[٤]، نحو: إيمان – خطايا.

---

[١] ـ سر صناعة الإعراب ،ج١ ص٧٢ .
[٢] ـ انظر الكتاب ، ج٣ص٥٤٤ ، ولم ينسب البيت إلى قائل معين .
[٣] ـ الكتاب ،ج٣ ص٥٤٤ .
[٤] ـ انظر ص: ١٤٠ من هذا البحث.

فإذا سكنت الهمزة وكان ما قبلها مكسوراً ، تقلب هذه الهمزة عند إرادة التخفيف كما في ذئب ، ورد عنهم [١] . ذيب ، وقالت امرأة :

" ألمْ تَرَنا غَبّناً ماؤُنا * سِنِينَ فَظَلْنَا نَكُدُّ البِيَارَا " [٢]

أصل الكلمة: البِئارا قلبت الهمزة ياءً لانكسار ما قبلها عند إرادة التخفيف.

تفسير اللغويين الصوتي لقلب الهمزة ياء :

هذا القلب يجري عند إرادة تخفيف الهمزة الساكنة وقبلها مكسور ، فإنه يبدل مكان الهمزة الياء ((كما أبدلت مكانها واواً إذا كان ما قبلها مضموماً، وألفاً إذّا كان ما قبلها مفتوحاً)) [٣] .ويعلل لهذا الإبدال سيبويه بقوله: ((فإنما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف فالذي منه الحركة التي قبلها لأنه؛ ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها)) [٤].

إنها لم تقلب ألفاً؛ لأن شرط الألف أن يكون ما قبلها مفتوحاً، ونظراً للكسرة التي قبلها لا مناص من قلبها ياء، فالكسرة من جنس الياء، وهي بعض منها، فينسجم الصوتان بتقاربهما ، فهي عملية تتماشى مع القوانين الصوتية وهي المماثلة .

أما ما في نحو خطايا، فاجتمعت همزتان، فخفف هذا الثقل بقلب الثانية ياء ، فصارت: خطائِيُ، وقلبت الكسرة فتحة للتخفيف، فصارت خطائَيُ، ثم الياء ألفاً كما في: مداراً ومطايا [٥].وما أشبه ذلك، فصارت: خطاءا ((والهمزة قريبة المخرج من الألف فكأنك جمعت بين ثلاث ألفات، فلما كان كذلك أبدلوا من الهمزة ياء فصارت خطايا...))[٦].

ويشير ابن جني، كأنّ في عصره هنالك من ملّ هذا التفسير الذي يبدو في ظاهره معقداً، كما مل بعض المحدثين من هذا الصنيع الآن، وبدأ البحث عن بدائل، فيقول: ((فلا

---

[١] - انظر سر صناعة الإعراب ،ج٢ ص٧٣٨ .
[٢] - انظر المصدر السابق والصفحة ولم يذكر القائلة .
[٣] - الكتاب ،ج٣ ص٥٤٤ .
[٤] - المصدر السابق والصفحة .
[٥] - انظر ص: ١٤١ من هذا البحث.
[٦] - المنصف ، ج٢ص٥٥ .

تستنكر هذا التفسير وتطويله، فإن هذا الباب يدور على هذا فأعلم ذلك)) [٧]. وحاول الإلمام به والإمساك بناصيته .

٦/ ٣ : تفسير قلب الهمزة واواً :

وذلك إذا كانت الهمزة ساكنة مسبوقة بضم ، أو كانت الهمزة عارضة واقع بعدها واو سالم وهو لام في المفرد[١] نحو : أوثر وهراوى .

تفسير اللغويين لقلب الهمزة واواً :

إن قلب الهمزة ألفاً أو واواً أو ياء، الغرض العام منه عند اللغويين المتقدمين هو البحث عن السهولة واليسر والتخفيف، بناء على القرب في الصفات ، هذا ما صرحوا به في أكثر من موقع، والذي دعاهم إلى قلب الهمزات الساكنة إلى ألف، أو ياء، أو واو دون إيجاد وسيلة وسطى بين هذه الهمزة الساكنة وحركة الصوت قبلها، أي بين بين، كما اصطلح عليه المتقدمون؛ ((لأنها حروف ميتة وقد بلغت غاية ليس بعدها تضعيف .. فألزموها البدل)) [٢]. تخفيفاً، وقلبوا هذه الهمزات الساكنة إلى الأصوات التي منها الحركات الواقعة قبلها؛ ((لأنها أخوات وهي أمهات البدل والزوائد وليس حرف يخلو منها أو من بعضها – وبعضها حركات – وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف)) [٣].

أخلص إلى أن هذه العملية تعدّ لفتةً بارعةً من المتقدمين في تفسيرهم ، وهي بنيت على القرب في الصفات بين الأصوات المتجاورة تحقيقاً للتماثل بينها .

تفسير المحدثين لقلب الهمزة ياء و واواً :

يمكن إدراج الموضوعين "قلب الهمزة ياء وقلبها واواً " في بابين كبيرين هما [٤]:

---

[٧] - المصدر السابق والصفحة .
[١] - انظر ص: ١٤٣ من هذا البحث.
[٢] - الكتاب ، ج٤ص٥٤٤
[٣] - المصدر والصفحة .
[٤] - فكرة جمعهما في بابين مستقاة من كتاب الدكتور / عبد الصبور شاهين / المنهج الصوتي ، ص٨٠ .

أ/ باب الجمع الذي على مثال مفاعل حين تقع الهمزة عارضة بعد ألف الجمع الزائدة ، وتكون لام الجمع همزة أو ياء أو واوا ، وقد توفرت هذه الشروط في جمع قضية وخطيئة وتجمعان على : قضايا وخطايا، وهنا تتعرض الكلمتان العربيتان بناء على مبدأ الأصل إلى عدة تغيرات تصل بها إلى الصيغ المستعملة ، وهي على النحو التالي[1]:

قضاييُ ← قضائِيُ ← قضائَيُ ← قضائا ← قضايا.

خطايئُ ← خطائِئُ ← خطائِيُ ← خطائَيُ ← خطائا ← خطايا

هرائِوُ ← هرائِيُ ← هراءَيُ ← هراءا ← هراوى

ب ــ باب الهمزتين المتواليتين في كلمة واحدة، فيلزم قلب الثانية صوتاً صائتاً قصيراً من جنس حركة الهمزة الأولى، فإن كانت الهمزة الأولى مفتوحة كان الصائت القصير المنقلب عن الهمزة الثانية فتحة، وإن كانت محركة بالضم صارت ضمة، وإن كانت كسراً صارت كسرة .

إن هذا المنحى من المتقدمين في معالجة هذه الظاهرة من الباب الأول ، جعل بعض المتأخّرين ينظر إلى المتقدّمين بأنهم قد صبّوا على رؤوسهم الحميم بهذا المسلك. حين يقول: قد عذّب الصرفيون أنفسهم، وعذّبوا الدارسين معهم في تصوّر هذه المراحل الافتراضية، مع أن القضية في ذلك كله تخضع لملاحظتين :

أ/ إن هذه الكلمات لا علاقة لها بالهمزة بالنسبة إلى: (قضية ومطية وهراوى ...) ولسنا نجد الهمزة من تصاريفها مطلقا ...

ب/ لماذا نفترض أن جمعها في الأصل على مثال مفاعل ؟؟.

أليس من الأيسر أن يقال إن وزنها جميعاً: فَعَالَى كعذارى وصحارى؟ وبذلك نتفادى مواجهة احتمالات التغيير المفترضة .[2]

هذا المسلك من بعض المتأخّرين يستجلي انعدام الحجة المنطقية برفضنا لرأي المتقدمين قطعاً.

---

[1]- انظر ص:١٤١ من هذا البحث .

[2] - انظر المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص : ١٨١.

إنّه من المؤكّد أن القدماء كانوا مدركين لهذا الاختصار، إلا أن توسّعهم العلمي وتدفقه هو الـذي قادهم إلى هذه النتائج المنطقية التي تسير على نظامٍ دقيقٍ وتفاسير صوتية ترقـى إلـى أعلـى المستويات، وتتلاءم مع الكشوفات اللغوية .

أمّا زعم من يزعم بأن هذه الكلمات لا علاقة لها بالهمز ففيه نظـر، حيـث إن هـذه الكلمات (قضية – مطية –هرية[1]) على وزن فعيلة ونظائرها من الصحيح عنـد جمعهـا تكون على: فعائل، نحو فضيلة: فضائل، بقلب الياء الزائدة إلى همزة، هل يمكننا القول بـأن فضيلة لا علاقة لها بالهمز ؟.

كذلك في قضايا وأخواتها قلبت الياء الزائدة همزة، ونظراً لكره النظام الصوتي العربي لتوالي ثلاث ألفات أبدل الوسطى ياء للتغاير. وهذا هو التفسير الملائم فلا نستنكره، فإن هـذا الباب يدور على هذا التطويل.

أما الفكرة الثانية المنبنية على انتقاد الجمع على مثال مفاعل، وافتـراض وزن آخـر يكون على فعالى لتفادي مواجهة احتمالات التغيير، فهو شيءٌ مقبولٌ إذا كان يؤدّي إلى حـدٍّ فاصلٍ في هذه القضية .

وسواءٌ قلت بهذا أو ذاك في الوزن، فالنتيجة واحدة، إلا أن المتقدمين رأيهم هو بيان أن ظاهرة الإعلال في العربية تسير وفق نظامٍ دقيقٍ متّحدٍ؛ لذلك أرادوا توضيح المسألة بخطواتها الإعلالية قبل أن تؤول إلى ما استقرّت إليه .

بينما سلك الدكتور/ عبد الصبور شاهين نهجاً موجزاً، هو بيان ما آلت إليه الكلمة فقط، وهو: فعالى، وزن مآل الكلمة دون معرفة كيفيته، تلك الكيفية التي انبنت على مبدأ الأصل، الـذي كنا نقرّه ونتعامل به في مواقع مختلفة. فاعتمد المتقدمون هنا وزن مفاعل دون مبـالاة مـنهم بزيادة الميم التي في أوله، فليس لها أي معنى في الوزن غير العدّ، ويعنون بهذا الوزن كـل جمع ثالثه ألف بعدها حرفان مكسور أولهما .

أما الباب الثاني باب الهمزتين المتواليتين في كلمةٍ واحدةٍ فله عـدة صـور منهـا الهمزتان في أول الكلمة، أن تسكن الثانية وتتحرك الأولى حينئذ تقلب الثانية مـن جـنس حركة الهمزة الأولى عند الصرفيين نحو :

---

[1] ـ هريّة فعيل من هراوى، وأصلها : هَرِيوَة، اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن.

أأمن /a mana/ ← آمن / aamana /

إئمان / maanun / ← إيمان / iimaanun /

أؤمن / u mina / ← أومن / uumina /

فالواقع الذي يؤكّده التحليل هو أن الناطق أبدل الهمزة الثانية حركة قصيرة مجانسة للحركة التي تسبقها، فتحولت حركة الهمزة الأولى من قصيرة إلى طويلة، كما هو واضح في الأمثلة المتقدمة .

تفسير المحدثين لقلب الهمزة الثانية الساكنة :

يرى بعض المتأخّرين من اللغويين أن العملية تعويض لخصها في قوله: ((إن تعويض الهمزة لم يكن إلا بحركة قصيرة ، فتحة أو كسرة أو ضمة وهذا ما يزلزل قاعدة الصرفيين فضلاً عن أننا لا نقول بالإبدال كما قالوا، بل بمجرد التعويض الموقعي للمحافظة على الإيقاع الذي هو جوهر عمليات التصريف للبنية العربية))[1].

إن حقيقة ما بين الهمزة وأصوات العلة لا نجد علاقة ما صوتية تربط بينهما والتحليل حولها يفيد دائماً بوقوع التباعد ويتمثل هذا في المخارج وصفة الجهر والهمس، وكيفية خروج الهواء.

ومع هذا الاختلاف والتباعد أقول بوقوع التبادل في الأمثلة المتقدمة؛ لأنه بعد سكون الهمزة الثانية تكون مقطع مغلق مع الهمزة الأولى، وإن تتابع همزتين في أول الكلمة يكونان مقطعاً واحداً مغلقاً، به صعوبة نطقية، فمالت به العربية إلى التسهيل، فقلبت الهمزة الثانية حركة من جنس الحركة في الهمزة الأولى، ليكون المقطع قصيراً مفتوحاً، أي إن الهمزة قد ((لينت نبرتها فاستحالت ألفاً))[2]

وسواءٌ قلت بالتعويض أم الإبدال فالنتيجة واحدةٌ، إن التعويض إبدالٌ مخصوصٌ، وهو يكون دائماً بعد ذهاب شيءٍ يحلّ محلّه شيءٌ آخر عوضاً عن الذي ذهب ، فهو عين الإبدال .

---

(1) - المنهج الصوتي للبنية العربية، ص : ١٨٣.

(2) - شرح المفصل لابن يعيش ج١٠،ص:٧

المبحث الرابع
تفسير الإبدال

إن الكلام الإنساني يتكون من سلسلة من الأصوات تكوّن كلمات وجملاً ترتدّ من الناحية الصوتية إلى عدد معين من المقاطع وإلى مجموعةٍ محددةٍ من الأصوات تتكون في أماكن خاصة من الجهاز، فإذا ما حدث لها خللٌ في توظيفها أو نوع من الانحراف أو التغيير في صفاتها نتج صوتٌ آخر غالباً ما يعرف بالإبدال .

والتبدلات الصوتية التي تعتري الكلمات في العربية من هذا القبيل جديرة بأن يبحث عن عللها وأسبابها بعد استقرائها لاستنتاج قانون عام ينظم حدوثها .

هذا النوع من البحث له فائدته؛ إذ إن معرفة تبدل الحروف وأصولها هو الذي يكشف الصلة بين كلمات تباعدت أشكالها وضاعت معالم قرباها، فإن معرفة قوانين الإبدال تسهم في الكشف عن الصلة بين ضرب واضطرب مثلاً .

واللغة أيًّا كانت تجتمع فيها عوامل مختلفة ومتنوعة تكون سبباً في إبدال بعض أصواتها في بعض العصور والأمكنة، والبحث في هذا المجال يحتاج إلى كثير من الدقّة في التعليل وفي إصدار قوانينه .[1]

لذا لا اعتبره إبدالاً إذا ما حدث في حادثة فردية، فكأن يكون ناشئاً عن علة في نطق أحد المتحدثين أو عن خطأ في النطق يقع فيه بعضهم، أو عن سوء سمع لمستمع، كل ذلك لا يمكن اعتباره إبدالاً ، إنما العبرة هي للإبدال الذي يكون عاماً في مجموعةٍ معينةٍ، أو بيئةٍ زمنيةٍ محددةٍ .

كذلك يعدّ من الإبدال في هذه الدراسة ذلك النوع الذي لم يتغيّر شكل الحرف خطاً عند إبداله، وهو ما أُلاحظه كثيراً يكون طارئاً في بعض الأحوال، كإبدال النون الساكنة قبل الباء أو الميم في النطق، وقبل ذا أو ذاك أقف على تفسير المتقدمين للإبدال، ومن ثمّ على تفسير المحدثين له .

---

[1] - انظر فقه اللغة وخصائص العربية محمد المبارك ، ص : ٥٦ .

١ـ تفسير اللغويين للإبدال:

يقر اللغويون بوقوع الإبدال بين الأصوات في الكلمات العربية وكان تركيزهم على الإكثار من الشواهد وسرد كلمات تماثل فيها المعنى بين صورتين مبدلة ومبدل منها ويؤكدون: ((أن من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض)) [١].

لاحظ كثيرٌ من العلماء وفرة الثروة اللفظية التي تتوفر فيها مفردات تتغيّر أصواتها والمعنى واحد، أي ظاهرة اتفاق كلمتين أو أكثر في المعنى واختلافهما، أو اختلافها في صوت من الأصوات، ويمكن إرجاعها إلى التأثيرات الصوتية نسبة للمجاورة بينها، أو إلى العادات والبقاع ، أي اختلاف الأمكنة والأزمنة، ودلالة ذلك حكاية رواها السيوطي: أن رجلين اختلفا في الصقر ((فقال أحدهما بالسين وقال الآخر بالصاد، فتحاكما إلى أعرابي ثالث، فقال: أما أنا فأقولها الزقر بالزاي))[٢]

وعند ابن جني أن كلاً من هتنت السماء وهتلت، هما أصلان متساويان في التصريف، يقولون: ((هتنت السماء تهتن تهتانا، وهتلت السماء تهتل تهتالاً ...))[٣].

أخلص من خلال قصة الصقر إلى أن الأشخاص الثلاثة ينتمي كل منهم إلى جماعة معينة تختلف عن جماعة أخيه الآخر، في نطوقهم تأثيرات بيئية، جعلت كل جماعة تختص بصوت معين في تسميتهم لهذا الطائر .

وبهذا تصبح كلمة الصقر بصورها النطقية الثلاث ما هي إلا اختلافٌ للهجاتٍ ثلاث كانت سائدةً في تلك الأزمان، وما قول ابن خالويه حين تعليقه على هذه القصة إلا دلالة ((على أنها ثلاث لغات))[٤].

وهذا برهانٌ على أن كل جماعةٍ تنتمي إلى بيئةٍ تختلف عن بيئة الأخرى .

---

[١] - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس ص : ١٧٣.
[٢] - المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ج١ص:٤٧٥.
[٣] - الخصائص لابن جني ج٢ص:٨٢.
[٤] - المزهر ج١ص:٤٧٥.

ثم إن المسألة – تبدو وكأنّها مستساغة، والأمر كأنه جائزٌ، متى شاء العربي جاز له أن يبدل دون وجود سبب ظاهر فينطق حسب ما يريحه، مرة كلمة تشتمل على سين ومرة على صاد أو زاي، وأخرى بجيم أوياء، ومرة بتاء أو دال ...

وكأن اللغويين جمعوا بين هذه الكلمات دون وجود علاقة واضحة؛ لذا فإن تفسيرهم يظهر في أمرين :

الأمر الأول : يمكن إرجاع الإبدال إلى المشابهة والمجانسة بين الأصوات؛ لأن الأمر عندهم ليس على إطلاقه يحاكي بعضهم بعضاً متى شاء، ويقلب متى أراد، ولو تباعدت الأصوات المبدلة والمبدل منها صفة ومخرجاً، إنهم يذهبون إلى ((أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء، والهاء والهمزة، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه))[١] وكذلك مؤلفاتهم ناطقة بهذا الاتجاه وإن لم يصرح به كثير منهم .

الأمر الثاني: يمكن إرجاع الإبدال إلى اختلاف اللهجات العربية المتباينة وهو الأكثر اعتماداً على الشواهد الواردة ، وكذلك القصص والحوارات ، إذ ورد أن أعرابياً سئل [٢] أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه ؟

فأجاب: لا أقول مثل حلكه. وسئلت أعرابية [٣] كيف تقولين: أشدّ سواداً مما ذا ؟ قالت من حلك الغراب فقيل لها أفتقولينها: من حنك الغراب ؟ فقالت لا أقولها أبداً.[٤] وذكر ابن السكيت أن أعرابيين من بني كلاب حضرا عنده واختلفا، فقال أحدهما: انفحة وقال الآخر منفحة، ثم افترقا على أن يسألا جماعةً من أشياخ بني كلاب فاتّفق جماعةٌ على قول ذا، و جماعةٌ على قول ذا، وعلّق على هذا بقوله: هما لغتان. [٦]

من خلال عرض الزجاجي في كتابه الإبدال والمعاقبة والنظائر، ومن خلال حكايات السيوطي في شأن الإبدال، تبدو المسألة أنها لهجات للقبائل العربية، ويدعم هذا قول أبي

---

[١] - سر صناعة الإعراب ج١ص:١٨٠.
[٢] - انظر المزهر ج١ص:٤٧٥
[٣] - هي عثيمة الملقبة بأم الهيثم. انظر الزهر ج١،ص:٤٧٥.
[٤] - انظر المزهر ٤٧٥/١.
[٦] - انظر المصدر السابق والصفحة.

الطيب اللغوي أنه ((ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف إنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد. قال والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة، وطوراً غير مهموزة، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميما، والهمزة المصدرة عيناً، كقولهم في أن: عن لاشتراك العرب في شيء من ذلك، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون))[1] فالمتحدثون في بيئة معينة ينطقون الكلمة مشتملة على صوت معين، وفي بيئة أخرى بخلافه (حلك – حنك) و (انفحة – منفحة).

ويتوقف تعليق المتقدمين عند هذا الحد، وإذا تجاوزه ففي نسبة هذه الألفاظ إلى قبائلها .

---

[1] - المزهر ج١، ص:٤٦٠.

٢ـ تفسير المحدثين للإبدال:

إن علماء اللغة المحدثين وقفوا على هذا النّوع من الظواهر الصوتية في العربيـــة، أي ورود صوتين في الاستعمال على نحو ما جمعه الزجاجي من كلمات في كتابة القلـــب والإبدال والنظائر، وتطرقوا إلى معالجتها حتى وصلوا بها أخيراً إلى تفسيرٍ واضحٍ، حيث ينظرون إليها من وجهة نظر صوتية محضة، فيعالجونها تحت موضوع التأثّرات الصوتية، وذكر عنهم الدكتور إبراهيم أنيس أنه ((حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حيناً أو من تباين اللهجات حيناً آخر لا نشك لحظة في أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتي ... غير أنه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحروف وصفات كل منها أي أن القرب في الصفة أو المخرج شرط أساسي في كل تطور صوتي))[١]

واضح أن الإبدال قد يحصل بين أصوات كل مخرج وبين مخارج متقاربة ، وقـــد يقع الإبدال بين الأصوات المتقاربة في حكاية أصواتها ولو كانت مـــن مخـــارج متباينـــة كالتبادل الحاصل كثيراً بين الميم والنون ، ورأى المحدثـــون أن أسباب التبادل لا تخـــرج عما يلي[٢].

١- التماثل، وهو أن يتحد الحرفان مخرجاً وصفة كالباءين والتاءين والثاءين.

٢- التجانس، وهو أن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفةً كالدال والطاء.

٣- التقارب، وهو أن يتقارب الحرفان مخرجاً ويتحدا صفةً كالحاء والهاء.

٤- التباعد، وهو أن يتباعد الحرفان مخرجا ويتحدا صفةً.

أما ما بقي من صور الإبدال ويصعب إدراك ما بينها من علاقةٍ صوتيةٍ كتلك الصـــور التي جاءت في باب الهاء والخاء ... فإن رأي المحدثين كان جريئاً وواضحاً وهو أن مثل هاتين ((الصورتين تنتميان إلى معنيين مختلفين، وأن كلاً منهما أصيلٌ في ذاتـــه وجـــاء القدماء فربطوا بينهما لأدنى ملابسة))[٣].

---

[١] ـ من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ص:٧٥ .

[٢] ـ انظر دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح ص ٢١٦-٢١٧

[٣] ـ القلب والإبدال ليعقوب بن السكيت، ص ٥٤

٣ـ مسوّغات للإبدال:

ألاحظ من خلال الوصف السابق أن أصوات اللغة لم تثبت على حال هي في تبّــدل لا يهدأ، تتغيّر مرةً محابسها فتنتقل من موقع إلى آخر من مواضع جهاز النطق أو تتبــدل صفة من صفاتها التي كانت عليها، ولهذا التغيير والتبديل أسبابٌ أدّت إلى حدوثه في تلــك الكلمات، يمكن حصر هذه الأسباب من خلال النقاط التالية:

٣/١- الانسجام الصوتي:

قد يجد المتكلم أثناء حديثه أصواتاً لا انسجام فيما بينها بحيث يشعر بثقلها، أو يجــد مشقة في إصدارها، فيحاول تبديل بعض الأصوات ببعض، أو يقوم بتعديل بعض الصفات ليتحقق لديه نوع من الانسجام بين هذه الأصوات المتجاورة وهذه العملية تعرف بالمماثلــة الصوتية.

المماثلة الصوتية هي: تأثّر الأصوات اللغوية بعضها ببعضٍ عند النطق بهــا فــي الكلمات والجمل، فتتغيّر مخارج بعض الأصوات أو صفاتها لكي تتّفق في المخرج أو فــي الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام فيحدث عن ذلك نوعٌ مــن التوافــق والانسجام(١).

فإذا ما حدث في الكلمة أن اجتمع صوتان يتصف كل منهما بصفة تناقض الأخــرى كالجهر والهمس، والتفخيم والترقيق كان في تحقق الصفتين للصوتين المتجــاورين مشــقة وعسر، مال المتكلم إلى وضع صفة أحدهما على الآخر توفيراً للجهد، وتحقيقاً للانســجام، وتقول عندئذٍ، إنه حصل تماثل صوتي(٢).

لهذا يمكن تفسير الإبدال الصرفي الذي قدمت له على أنه من باب التماثل، فالطــاء والظاء والصاد والضاد تتنافر مع تاء الافتعال، لأنها مفخمة وتاء الافتعال مرققــة فيجــد المتكلم عسراً في الانتقال من تفخيم إلى ترقيق في هذا البناء فيفخم المرقق ليحدث التناسب والانسجام بإبداله تاء الافتعال طاء.

---

(١) - انظر دراسة في علم الأصوات ، حازم علي كمال الدين ص ١١٠

(٢) - انظر دراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي ص ٢١٢.

ومن هذا النوع أيضاً عندما تكون فاء الافتعال دالاً أو ذالاً أو زاياً تتنافر مع التاء؛ لأنها مجهورة والتاء مهموسة فيجد المتكلم مشقة وصعوبة في الخروج من الجهر إلى الهمس في هذا البناء، حينئذٍ يجهر بالمهموس للانسجام وإزالة المشقة.

ومن الانسجام أيضاً تغيير المخارج، أي أن الانسجام لا يتوقف عند تغيير الصفات فحسب بل يتجاوز ذلك ليصل إلى المخارج فيتحكم فيها تقديماً وتأخيراً بغية الانسجام والتلاؤم بين أصوات الكلمة المتجاورة ومنها الباء إذا سبقتها نون ساكنة تقدم مخرجها ليخرج من مخرج الباء، فتتحول النون بذلك إلى ميم. أو تتأخر النون مخرجاً إذا جاورت صوتاً طبقياً (القاف – الكاف) وهي ساكنة، تتأخر لتخرج من مخرجه.

إن قانون المماثلة يجرنا إلى قانون آخر أعمّ منه وهو قانون السهولة واليسر ويسعى إلى الغرض نفسه، وهو التخلص عن تلك الأصوات التي تحس بعسرها أثناء النطق[١] عن طريق إحلال أصوات أخرى مكانها لاتتطلب جهداً أثناء نطقها، وإلى هذا ((يذهب كثير من علماء اللغة من أمثال " هويتيني" " whiteney " الذي يرى أن كل ما نكتشفه من تطور في اللغة ليس إلا أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذي يبذل في النطق، وأن هناك استعداداً للاستغناء عن أجزاء الكلمات التي لا يضر الاستغناء عنها بدلالتها))[٢].

إن هذه النظرية لم تجد قبولاً[٣] عند البعض: لأن التطور لو كان يجري في اتجاه السهولة لوجب أن تكون أصوات اللغات كلها من نوع الميم والنون والفاء؛ لأنها أسهل الأصوات نطقاً، هناك مئات من القرون قد مرت على الألسن الإنسانية، ولعلها مدة كافية للوصول بأصوات هذه الألسن إلى الاكتفاء بهذه الأصوات الثلاثة التي ذكرناها.

ولا يمكن أن تنطبق على هذا القانون كل الظواهر التي عرضتها من خلال كتب اللغويين، وإنما يمكن تطبيق بعض الحالات نحو ظاهرة الهمزة وتحولها إلى هاء، أو التاء إلى الدال، و النون إلى الميم.

---

[١] ـ انظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص ١٨٨

[٢] ـ التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب ص ٧٥

[٣] ـ انظر دراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص ٢٢٠

٢/٣ – التصحيف:

من الظواهر اللغوية التي يمكن أن يكون لها دخل في نشأة الإبدال بين بعض الكلمات إساءة السمع مما يتولد عنه ما نعني به التصحيف السمعي.

وأصل التصحيف[١] هو: أخذ العلم عن الصحف من غير اطلاع العلماء عليه وهو عند اللغويين قسمان:

- تصحيف نظر وأصله من أخطاء النظر في الصحف وأكثر ما يقع تصحيف النظر في الأحرف المتشابهة رسماً، إذا لم تعجم كالياء والتاء والثاء والنون، والجيم والحاء والخاء.
- تصحيف سمع وأكثر ما يقع هذا النوع في الأحرف المتقاربة صفةً أو مخرجاً وهي غالباً لا تتشابه رسماً عند إهمال نقطها كالكاف والقاف، والتاء والطاء، والسين والصاد ... فوشائج القربى بينها قوية فيتحد الصوتان اللذان يتم إبدالهما من حيث المخرج وبعض الصفات ولا يجد المتكلم صعوبة أو غضاضة في نطق هذه الكلمات مشتملة على هذا الصوت أو ذاك، ويمكن إرجاع بعض الأمثلة المتقدمة ضمن هذا التصحيف، كالأمثلة في باب: الحاء والهاء أو باب اللام والنون ...

وهذا الخطأ السمعي لا يقع عند الأطفال فحسب؛ إذ قد يخطئ الشخص البالغ ويخلط بعض الأصوات بأصوات أخرى قريبة منها مخرجاً[٢].

وإلى هذا الخطأ السمعي يرجع دكتور/ رمضان عبد التواب[٣] معظم أمثلة وشواهد ما في اللغة العربية، كما هي عند الزجاجي في كتابه الإبدال والمعاقبة والنظائر، ويضرب أمثلتها فيذكر التعاقب الحاصل بين الفاء والثاء نحو: جدف وجدث للقبر، والحثالة والحفالة للرديئ ... الخ.

فيرى أنها ليست من قبيل المترادفات، أي الإبدال بينها، إنما هي من قبيل الأخطاء السمعية. وضرب لتأكيد مذهبه مثالاً حياً عايشه بنفسه في إحدى المراحل الدراسية كان يملي

---

[١]- انظر دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح ص:٢٣٦

[٢]- انظر التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ص: ١٨٩

[٣] – المصدر السابق نفسه ص: ١٨٩ وما بعدها.

عليهم أحد الأساتذة، و من بين ما كان يمليه كلمة: " شعث " فكتبها بعضهم " شعف" بالفاء، ويذكر أن هذا جاء نتيجة للخطأ السمعي، لذا يرد كثيراً من تلك الكلمات إلى هذه الظاهرة.

٣/٣ – الداء النطقي:

هناك الكثير من العاهات تصيب النطوق البشرية تكون معيقةً لها من أداء الأصوات أداءً صحيحاً وأشهرها اللثغ.

و هو: أن يعدل الإنسان الحرف إلى حرف غيره، ((والألثغ هو الذي لا يتم رفع لسانه في الكلام، وفيه ثقل، وقيل هو الذي لا يبين الكلام، وقيل هو الذي قصر لسانه عن موضع الحرف ولحق موضع أقرب الحروف من الحرف الذي يعثر لسانه عنه)) [١].

يمكن إرجاع بعض هذه الظواهر الإبدالية إلى هذا الداء حيث يذكر[٢] ابن عصفور في تحديده لعدد أصوات التبادل أن غالبية هذه الأصوات يقع البدل فيها لعاهة تتعلق بشخص معين، وأورد بيتاً لشاعر توهم في أول نظرة له أنه يشتمل على تبادل بين صوتي السين والشين، قال:

" فَلَو كُنْتُ ورداً لعسقتني * ولكن رَبِّي سانني سَوَادِيا ".

فإنه لم يبدل السين من الشين في: عشقتني، ولا في: شانني بل كان له لثغ في الشين فكان يتعذر عليه النطق بها فيجعلها سيناً.

٤/٣– التطور التاريخي:

إن اللغة في تاريخ حياتها تتعرض أصواتها لبعض التطورات فيجد المتكلمون باللغة من الناشئين أنفسهم أمام الكثير من الكلمات يتلقونها تلقيناً عن آبائهم محاولين تقليدهم خلال المدة التي يكتسب فيها الطفل، لكن هذه المحاولة كثيراً ما تكون غير ناجحة، ويكون التقليد ناقصاً ولو قليلاً[٣] فإن أقل تغيير يحدث في تلفظ الأصوات من تخفيف أو تشديد أو تقديم في المخرج أو تأخر، يؤدي إلى تغيير هذه الأصوات فإذا عم هذا التبديل في جيل من الأجيال

---

[١]- لسان العرب لابن منظور، مادة: لثغ، ج ٥،ص:٣٩٩٥

[٢]- انظر الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي ج١- ص: ٤١٠.

[٣]- انظر معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، محمود سليمان ياقوت ص: ٢١٦

وأضيف إلى ما يمكن أن يحدث بعده في الأجيال التالية من تبديل، نجم عن ذلك تبدل في بعض الأصوات.

وهذا التطور التاريخي لا يحدث إلا ببطءٍ شديدٍ وخلال القرون والأجيال، ولشدة بطئه لا يمكن لأبناء الجيل الواحد أن يشعروا به خلال كل حياتهم[١].

فالواقع أن حدوث هذه الظاهرة غير متوقفة على إرادة مقصودة، وإنما هي عمليةٌ ترتبط بالتاريخ وبالزمن الطويل، بحيث يجد المتكلمون باللغة أنفسهم أمام كلمات متعددة يدل تشابهها على أن إحداها قد تعرضت لمثل هذا التطور خلال السنين[٢]. وليس من حق أي إنسان أن يقوم هو بإحلال صوت محل آخر من أجل توليد مفردةٍ، فالعملية تتم لا شعورياً.

والتبادل التاريخي هذا ليست له قواعد يسير عليها، فالتبدلات التاريخية هي نتيجة عوامل عديدة، شديدة التشابه، منها[٣] الاجتماعية[٤] ، ومنها النفسية[٥] ومنها الفيسولوجية[٦].

وما يمكن قوله هنا هو أن العربية محافظة، وأنها تميزت خلال تاريخها الطويل بشدة المراس، وعدم الانقياد والاستسلام للتطور العنيف، وأن ما أصابها من التغير خلال عمرها الطويل لا يعد شيئاً مذكوراً إذا نسب إلى ما أصاب غيرها من الألسن [٧].

ولا يغيب عن البال أن القرآن الكريم، والحضّ على ضبط حروفه، والدقّة في تلفّظ أصواته كان سبباً مباشراً في المحافظة على الأصوات العربية في اللغة الفصحى.

---

[١]- انظر دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي ص: ٢١٧.

[٢] - انظر أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين ص: ٢٥٦.

[٣]) - انظر دراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص ٢١٧ .

[٤]) - هناك بعض علماء اللغة المحدثين يجعل من الحياة الاجتماعية والبيئة الجغرافية أثراً كبيراً في نوع التطور الذي قد يصيب الأصوات.

[٥] - هناك بعض من العلماء يعزون تطور الأصوات من شدة إلى رخاوة أو العكس إلى الحياة النفسية التي يكون عليها الشعب، فعند الاستقرار تميل الأصوات إلى الرخاوة، وعند القوة والجبروت تميل إلى الشدة.

[٦] - يرى بعض العلماء أن تبدل الأصوات من جيل إلى آخر يكون نتيجة تطور عضلي في أعضاء النطق، إلا أن هذا الرأي لم يجد من علم التشريح تأييداً. راجع هامش: ٤-٥-٦ ، الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ١٨٦

[٧] - انظر دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي، ص: ٢٢٥.

الخاتمة

هذه خلاصة القول فيما قصدت؛ إذ توصّل البحث إلى كثيرٍ من النتائج التي تناثرت في ثناياه، وأهمّها يتلخص في الآتي:

١-إن مصطلح الإبدال قسمان: إبدالٌ صرفيٌّ وهو ضروريٌّ قياسيٌّ، وحروفه سبعة، لا تستخدم الكلمة المبدل منها، وإنما تستخدم الكلمة المبدلة فقط. وإبدالٌ لغويٌّ، ويقع في جميع أصوات العربية، وتستعمل فيه الكلمتان اللتان وقع فيهما التبادل.

٢- إن المتقدمين فَصَلوا بين الإبدال والإعلال، واعدّوهما مصطلحين كل منهما له مدلول خاص مع الإشارة إلى ما بينهما من عمومٍ وخصوصٍ، فالإبدال عام يدخل ضمنه نوعٌ واحدٌ من أنواع الإعلال، وهو الإعلال بالقلب.

٣- إن الإعلال والإبدال ظاهرتان في العربية وليدتا الحيلة اللغوية، لهما دورٌ بارزٌ في تنوّع الأفعال والمصادر والجموع، وتنوّع المشتقات المختلفة، بتعاقب الأصوات فيما بينها ممّا يكون سبباً مباشراً في تغيير التشكيل المقطعي أو تقليله ممّا يترتب عليه آثارٌ لفظيّةٌ ومعنويّةٌ.

٤- بدأت الانطلاقة الأولى لمفهوم الاشتقاق عند المتقدمين، وهو أنواعٌ ثلاثةٌ، (صغير ــ كبير ــ أكبر)، أذاع الكبير منه العالم ابن جني، ممّا جعل اللغويين ينظرون إليه نظرة إعجابٍ وتقديرٍ؛ إذ توّج العربية بتاجٍ ليس له نظيرٌ، يحفظ فيه المادة الواحدة دون هيأتها، فهو يتّصل بنظرة إلى الصوت العربي وقدرته في الدلالة، وأثره في تكوين معنى الكلمة. فالاشتقاق يمثّل نقطة تقاطعٍ بين الصرف والنحو واللغة؛ لأنّه يُدْرَسُ من زوايا مختلفة، والأكبر منه ذو علاقة بالإبدال، ومع كثرة وروده واهتمام اللغويين به إلا أنّه سماعيٌّ غيرُ قياسيٍّ.

٥- أفادت الدراسة أن ظاهرة الإبدال شائعة في العربية، اهتمّ بها القدماء جمعاً وتحليلاً وتفسيراً صوتياً؛ إذ إنّ الإبدال يحدث بين أصوات كل مخرج وبين أصوات المخارج المتقاربة، وبين الأصوات المتقاربة في حكاية أصواتها لاتّحادها في بعض الصفات ولو كانت من مخارج متباعدة.

والإبدال الصرفيُّ هو إبدالٌ قياسيٌّ و هو يعدّ وسيلةً أساسيةً في التحوّل عن الأصل، وذلك إذا التقت بعض الأصوات في كلمة وحدث بينها شيء من التنافر، أو عدم الانسجام في الخصائص أثّرت بعض الأصوات في أخرى لتقرّبُها منها وفق نظامٍ صوتيٍّ حدّده الصرفيون في اكتشافاتهم المبكرة.

٦- أثبتت الدراسة اتّصال الفلسفة والمنطق بالدراسات العربية، والتعليل لظاهرة الإعلال والإبدال لم يك بمعزلٍ عن بقية التعليلات في الموضوعات العربية الأخرى؛ إذ أخذ نصيبه من هذا السيل الجارف بجانب التعليل الصوتيّ، فظهرت المصطلحات المنطقيّة الفلسفيّة في كثير من الموضوعات لا سيما الإعلال بالحذف لفاء المضارع المثال حينما يصاغ عنه مضارعٌ مبدوءٌ بغيرها فلا موجب صوتياً للحذف، لكنّهم أجروه حملاً على المضارع المبدوء بالياء.

٧- إن اللغويين قديماً درسوا هاتين الظاهرتين دراسةً صوتيةً خالصة مع اشتمالها على شيء من الفلسفة كعادة العصر؛ إلا أنّهم أسّسوا لهذه الدراسة الصوتية وإن لم يصرحوا بالدعوة إليها علناً، فإنّ أعمالهم ومناهجهم تقف شاهدةً على هذا الاتجاه الصوتي الذي كانوا يسيرون عليه، و خير شاهدٍ ما احتواه كتاب سيبويه، وسر صناعة الإعراب، وصنيع الزجاجي في كتابه الإبدال والمعاقبة والنظائر بحصره عملية التبادل بين الأصوات المتقاربة صفةً ومخرجاً.

٨- أفادت الدراسة أن هناك أصلاً لكل مجموعة اشتقاقية تعود إليه، وهو بمثابة المعيار تردّ إليه الكلمة عند إرادة التأكد من دلالتها، رفض فكرته من الأساس بعض المحدثين، وهو أصلٌ افتراضيٌّ ينبغي للكلمة أن تأتي وفقه، لكن لظروف صوتيةٍ معيّنةٍ يُعدل عنه لتصبح الكلمة على شكلٍ جديدٍ مغايرٍ له، ومعرفته معينة على الوقوف على حقيقة المعاني من الكلمات التي أصابها الإعلال.

٩- إن الإعلال بالنقل عند اللغويين هو نقل حركة العين المعلولة إلى الصوت الصحيح الساكن قبلها، ويجري في أربعة مواضع، هي: الفعل الأجوف، والاسم الموافق للمضارع، ومصدر أفعل واستفعل، ووزن مفعول، إذا أُخذت عن الفعل الأجوف شريطة اعتلال العين في الماضي، وجاء النقل بغية الخفّة؛ إذ كثرت الواو والياء في النطق

فأرادوا تخفيفهما بسلب حركتهما عنهما لتوضع على الصوت السابق لهما إذا كان صحيحاً ساكناً.

١٠- تنبه اللغويون في مسألة الإعلال بالنقل إلى تفسير أدقّ وعرضوه بصورة تدلّ على الاهتمام البالغ بالقضايا الصوتية لأجل المجاورة، وهو عملٌ جليلٌ جديرٌ بالثناء والاعتراف لهم بالفضل والسبق في هذا المضمار، أمّا ما يقول به بعض المحدثين من تفسيرٍ بديلٍ عمّا قدّمه اللغويون فهو عملٌ محفوفٌ بكثيرٍ من المخاطر، ويُوقع في مشكلات يصعب الخلاص عنها، حيث إنّهم يعالجون قضايا جزئية يريدون تعميمها على كل ظواهر الإعلال بالنقل في العربية.

١١- إن الإعلال بالحذف القياسي هو حذف حرف العلة بغرض التخفيف، ويجري في أربعة مواضع، هي: الصوت الزائد في صيغة أفعل، وفاء الفعل المثال عند صياغة المضارع عنهما، وعين الفعل الأجوف إذا سكنتْ لامه، ولام الفعل الناقص إذا أُسند إلى واو الجماعة، ولام الاسم المنقوص أو المقصور إذا جمعا جمع مذكر سالما، أو نونا ولم يكن التنوين منصوباً.

١٢- بيّنت الدراسة أن الفعل الأجوف عند سكون لامه لا بقاء لعينه، وهي مسألة تعارضت حولها التعبيرات، فاللغويون يرون سقوط العين، وبعض المحدثين يرون أن الساقط هو الانزلاق، وبعضٌ آخر يرى أن العملية هي اختصار للحركة فحسب. ولا خلاف بينها في الحقيقة إلا أنّه يظهر في طريقة تناول الموضوع؛ إذ كانت عين الكلمة متحركة فيرى المتقدمون نقلها إلى الفاء الساكنة، فتصبح العين ساكنةً، فتلتقي بسكون اللام، حينئذٍ تحذف. ولعل قول بعض المحدثين: اختصار الحركة تعبيرٌ فيه شيءٌ من الدقة.

١٣- إن الإعلال بالقلب وهو قلب صوت العلة إلى صوت علة آخر، وهي ظاهرةٌ تعمّ جميع الأصوات العليلة في العربية، وبتبادلها المواقع فيما بينها تصبح المواضع اثني عشر موضعاً إعلالياً، تعرّض لها اللغويون المتقدمون دون استثناء لموضع، محاولين بيان أسباب انقلابها وتفسيره، بينما توقّف عمل المحدثين على بعض المواضع مما يدل على موافقتهم للمتقدمين في تلك المواضع المسكوت عنها.

١٤- إن الضوابط المنطقية التي ساقها اللغويون في تقعيد قواعد الإعلال والإبدال لها فائدتها الكبرى في لمّ الشتات، وضمّ المبعثرات، فمسألة قلب الواو والياء ألفاً يُفسّرها بعض المحدثين تفسيراً وصفياً وهو اجتماع ثلاث حركات، فتنزلق إحداها لتنشأ من الباقيتين حركة أخرى طويلة، وهي الألف، فتصبح القاعدة مصطدمة بكثير من الشواهد؛ لافتقادها الجوانب العقلية التي تُحَكِّمها، لا سيّما إذا وقع الانزلاق بين فتحة قبله، وكسرة أو ضمة بعده.

لذا بيّنت الدراسة أن قاعدة المحدثين في هذا القلب لا تفي بالغرض، وليست صالحة للتطبيق.

١٥- إن المحدثين في تفسيرهم لظاهرة الإبدال اللغوي لم يخرجوا عما قال به المتقدّمون، وأهمّ مسوّغاته عندهم تتلخص في الانسجام الصوتي بين الأصوات المتجاورة، وأنّه يمكن أن يكون نتيجة للتصحيف السمعي لا سيّما الأمثلة والشواهد التي ترد بين الحاء والهاء، أو بين اللام والنون...، أو أن يكون سبب المنشأ داءٌ نطقيٌّ يصيب بعض النطوق، يكون معيقاً لها عن بيان الأصوات كاللثغ مثلاً.

أو أن يكون المسوغ للإبدال التطوّر التاريخي للّغة في مراحل حياتها، فتتغيّر بعض أصواتها من جيلٍ إلى آخر دون شعور، علماً أن العربية الفصحى محافظة على أصواتها نسبياً بسبب القرآن الكريم والحضّ على ضبط أصواته تلفظاً.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	رقم الآية	الصفحة

سورة البقرة

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾..... ١١ ١٩٩

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء

أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾..... ١٣ ١٤٥

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾..... ٥٩ ١٧٢

﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا﴾

﴿ وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾..... ٦١ ١٨٠

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾..... ٧٢ ٦٠

﴿ وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾..... ٢٣٧ ٦٠، ١١٥

سورة آل عمران

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾..... ٩٦ ١٨١

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾..... ١٤٣ ٦٠

سورة النساء

﴿وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ ٤٦ ٣٤

﴿إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾..... ٥٨ ٦٠

سورة الأنعام

﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ

عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ١٠٠ ١٧١

سورة الأعراف

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ
قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾..... ١٠ ١٢٤
﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾..... ٢٠ ١٢٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ ﴾..... ٢٠١ ١٨٨

سورة يونس

﴿حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا
أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ ٢٤ ٦٠
﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ
عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ ١٠٠ ١٧٢

سورة هود

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء
وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ ٤٤ ١٩٩

سورة يوسف

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً
وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾..... ٣١ ١٨٧

سورة الرعد

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾..... ٢٩ ١٣٣

سورة إبراهيم

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ
مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾..... ٢٦ ١٨٠

سورة الكهف

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.....٦٤ ٦٠

سورة مريم

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ ١٣ ١٨٧
﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ ٦٣ ١٨٧
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾.....٦٨ ١٧٩
﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾..... ٧٢ ١٧٩
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ ٨٣ ١٥٤

سورة الأنبياء

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾.....٥٨ ١٧٩

سورة الحج

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.....٣٢ ١٣٣

سورة النمل

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴾.....١٩ ب
﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾.....٤٧ ٦٠

سورة الروم

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.....٤ ٤٨

سورة الأحزاب

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى
وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾..... ٣٣ ٤٥

سورة سبأ

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم
مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾.....٥٤ ١٩٩

سورة ص

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾.....٤٧ ٤٥

سورة الزمر

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾.....٧١ ١٩٩

سورة غافر

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾.....٣٢ ٦٠

سورة الجاثية

﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.....٢٠ ١٣٣

سورة الفتح

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ
مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾..... ٢٤ ١٨١

سورة النجم

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾..... ٢٢ ١٣٤

سورة القمر

﴿وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ ٤ ١٨٣
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.....١٧ ١٨٣
﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾.....٢٧ ١٨٥

سورة الرحمن

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ ٣٣ ١٧٥
﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾.....٦٦ ٢٧

سورة المجادلة

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ
أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .....١٩ ٥٠، ٢٢١

سورة الحاقة

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾.....١٤ ١٦٥

سورة القيامة

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ﴾.....٢٦ ٦٠

سورة التكوير

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾.....٢٤ ١٧٧

سورة الانشقاق

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾..... ٣ ٦٠
﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾.....٥ ٦٠

سورة الفجر

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾.....٢١ ١٦٥

سورة الشمس

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾.....٦ ١٧٦

سورة الضحى

﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾.....١-٢ ٢٢٢
﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾.....٩ ١٦٦

سورة القدر

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾.....٤ ٦٠

سورة قريش

﴿ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ ﴾ ٢ ١٤٢

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث رقم الصفحة

﴿قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم

يقرؤها: فهل من مدكر دالا...﴾..... ١٨٣

﴿فقال بل دالا، سمعت عبد الله بن مسعود يقول:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مدكر دالا.. ﴾ ١٨٤

﴿فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في خاصرته بعود

فقال: اصبرني، فقال: اصطبر، قال إن عليك قميصا

وليس علي قميص...﴾ ١٨٥

﴿ثم إن الناس اضطربوا الخواتم من ورق فلبسوها

فطرح النبي صلى الله عليه وسلم خاتمه، فطرح الناس خواتمهم.. ﴾ ١٨٥

فهرس الشواهد الشعرية

البيت **الصفحة**

ب

" يا عجبًا لقدْ رأيتُ عجبًا * حِمار قبانَ يسوقُ أرْنَبا
خاطِمَها زَأَمّها أنْ تَذْهبا * فَقُلتُ أردفيني فقال مَرْحَبا"..... ١٣٩
" فلمّا ادّرَكْتُ الحَيَّ أَتْلَع أُنّس * كما أَتْلَعت تحتَ المَكانِس ربربُ".....١٨٤
"يجلو البوارق عن طيّانَ مُضطمِرٍ * تَخالهُ كَوْكبًا في الأُفُق ثَقّابا"..... ١٨٦
" وكأنّها تُفّاحة مَطْيُوبَة" ١٠٥

ت

إذا لمْ يَكُن فيكُنّ ظِلّ ولا جنى * فَأَبْعَدَكُنّ اللهُ من شَيَرَات..... ١٦٩

ج

" جارِيةٌ مَنزِلُها عُلوجّ
كيفَ بها وأنْتَ ساجِنجّ
مصوب عن دارها مرجّ."..... ١٦٨
" خالي عويف وأبو علجّ
المطعمان اللحمَ بالعَشِجّ
وبالغَداةِ فلق البِرْنِجّ
يُقْلَعُ بالودَ وبالصيصِجّ"..... ١٦٨

د

"و لكنْ لا يصيدُ إذا رَماها * ولا تَصْطادُ غانيةٌ كَنود"..... ١٨٦

ر

"ألمْ ترنا غبّنا ماؤُنا سِ * نينَ فَظَلْنا نَكُدّ البِيارا "..... ٢٣٣

"رأيتُ القوافي يتّلِجْنَ مَوالِجا * تضايق عنها أنْ تَوَلَّجَها الإبرُ"..... ١٨٨

"كَبنات المَخْرِ بمأدنٍ كَمَا * أنْبَتَ الصّيفُ عساليجَ الخُضَر"..... ١٨١

" تصابى القلبُ وادّكرا * صِباهُ ولمْ يَكن ظهرا "..... ١٨٤

" فإنْ يَكُنْ أمْسَى البِلى تَيْقُوري"..... ١٨٧

س

"فأُبْنا وأَبْقَى طَعْنُنا مِن رِماحِنا * مَطارِدَ خَطّيّ وسُمُرا مُداعسا"..... ١٧٢

ص

"فإنْ تَتّعِدْنِي أتّعِدُكَ بِمِثْلِها * وَسَوْفَ أَزِيدُ الباقيات القوارصا"..... ١٨٨

" تكسارةَ القَنَى المُداعِصا"..... ١٧٢

ق

"ضَرَبَتْ صَدْرَها إليّ وَقالتْ * يا عَدِيًّا لقدْ وَقَتْكَ الأَوَاقِي"..... ١٢٦

ل

"لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وَإِنِّي لأَوْجَلُ * عَلَى أَيِّنا تَأْتِي المَنِيَّةُ أَوَّلُ"..... ١٧١

"هناك إنْ يَسْتَخْوِلُوا المالَ يَخُولُوا * وإنْ يَسْأَلُوا يُعْطُوا وإنْ يَيْسِرُوا يَغْلوا" ... ٣٢

م

" فإنَّهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُؤكْرَما "..... ١٠٩

"وَهُوَ الجَوادُ الذي يُعطِيكَ نائلَهُ * عَفْوًا ويُظْلُم أَحْيانًا فَيَظّلِمِ"..... ١٨٦

"صَدَدْتِ فَأَطْوَلْتِ الصُّدُودَ وقَلَّما * وِصَالٌ على الطولِ الصدودِ يدومُ"..... ٤٩

ن

"قدْ كانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّداً * وأخالُ أنّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ".....١٠٥

"وأنتَ حَبَوتَنِي بِعنانِ طَرْفٍ * شَديدِ الشّدِّ في بَذْلٍ وَصَوْنِ

كَأَنِّي بينَ خَافِتَيْ عِقابٍ * يُريدُ حَمامةً في يومِ غَينِ"..... ١٧٨

"إذا ما رُحْنَ يَمْشينَ الهُوَينا * كما اضطرَبَتْ مُتونَ الشارِبينا"..... ١٨٦

"قُلْتُ عَسَى عِندَ اصْطِباري وَجَدتهُ * لذِكْرِتِها إِيَّايَ صَرَّتْ لها أُذُني "..... ١٨٦

"يَقُولُ أَهْلُ السُّوقِ لَمّا جِينا * هذَا وَرَبُّ البَيْتِ إِسْرَائِينا"..... ١٧٠

هـ

"عَجِبْتُ مِنْ ليلاكِ وَانْتِيابِـــــــها * مِنْ حَيْثُ زَارَتْنِي وَلَمْ أُوَارَا بِهَا"..... ٢٣٢

"إذا هَبَّتْ الأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ * بِهِ أَهْلُ مَيَّ هَاجَ شَوْقِي هَبُوبُـــهَا"..... ٢٢٤

ي

" فَلَوْ كُنتُ وِرْداً لَعَسِقَتْنِي * وَلَكنْ رَبِّي سَانَنِي سَوَادِيا".....٢٤٦

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
إبراهيم أنيس، الدكتور	١٠، ٣٢، ٩٢، ١٤٨، ١٩٢، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٤٢
إبراهيم بيومي، الدكتور	٣١
ابن أبي إسحاق	٥٩
ابن الأنباري	٦٢
ابن جني	١، ٥، ٩، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٦، ٤٠، ٥١، ٥٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٨، ٩١، ١٠١، ١١٧، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٠، ١٨١، ١٩٩، ٢٣٣، ٢٣٩
ابن خالويه	٢٣٩
ابن دريد	١٤٩، ١٥٠
ابن درستويه	١٥٣
ابن السكيت	٩، ١٠، ١٢، ١٧١، ٢٤٠
ابن سينا	٣١
ابن عصفور	١٢، ١٣، ١٧٨، ٢٤٦
ابن مالك	١٠، ١١، ١٨٢
ابن مسعود	١٦٦، ١٨٣
ابن يعيش	١٣، ٩٩، ١٢٢، ٢٢٠
أبو الأسود الدؤلي	٥٢، ٨٨
أبو البقاء العكبري	٤٣
أبو الحسن الرماني	٣٢
أبو الدرداء	٥٤
أبو الطيب عبد الواحد اللغوي	١٢، ٧١

أبو عثمان المازني ٩٨، ١٢٠، ١٢٤، ١٣٩، ١٤٥
أبو علي الفارسي ٣١، ٥٢، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ١٥٣
أبو عمرو بن العلاء ١٠٥، ١٤٤
أبو الفرج الأصفهاني ٧٤
أبو القاسم الثمانيني ٧٤
أبو منصور الأزهري ١٤٩
أبو نصر الفارابي ٣١
أحمد بن فارس ١٤٩، ١٥٠
أحمد أمين، الدكتور ٣١
الأخفش أحمد بن محمد الموصلي ٧٤
الأخفش سعيد بن مسعدة ٥٤، ١٠٣، ١٠٤
الأخفش أبو الخطاب الأكبر ٥٨
أرسطو طاليس ٣٠، ٣١، ٣٢
الإستراباذي محمد الرضي ١٣، ١٤، ١٩، ٢١
الأصمعي ٧٧
الأعشى ١٨٤، ١٨٦، ١٨٨
الأنباري الإمام ٣١
البخاري محمد بن إسماعيل الإمام ١٨٣
بكري محمد الحاج، البروفيسور د
ثعلب ٥٦
الجوهري ١٧٢
حازم علي كمال الدين الدكتور ٢٠٤، ٢٠٥
حماد بن سلمة ٥٤
الخليل بن أحمد ٣٠، ٣٥، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٨٣، ٨٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٤٢، ١٤٩، ١٩٢، ١٩٥
داود عبده الدكتور ١٩٢، ١٩٥، ٢١٤
ديزيزة سقال الدكتورة

ذو الرمة ٢٢٤
رجاء بن حيوة ٣٤
رجب عثمان محمد الدكتور ٣، ٢١٩
رمضان عبد التواب، الدكتور ٢٢٠، ٢٤٥
الزبيدي ٢٢٤
الزجاج إبراهيم السري ٦٨
الزجاجي ١، ٥، ٩، ١٠، ٥١، ٥٢، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ١٤٧، ١٦٠، ١٧٦، ٢٤٠ ١٧٧
الزمخشري ٣٢، ١٨٦
زهير بن أبي سلمى ٣
سليمان بن سالم السحيمي، الدكتور ١، ٥، ٣١، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٩٧، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٤، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٣٢، ٢٣٣
سيبويه ١١، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٢، ٢٣٩
السيوطي ٣
صباح عبد الله با فضل، الدكتورة ١٦٨
الصبان ١٨١، ١٨٨
طرفة ١٥، ١٧
عباس حسن د
عبد الحليم محمد حامد، البروفيسور د
عبد الرحمن عمر الماحي، البروفيسور ٣
عبد السميع شبانة، الشيخ ٩٤، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٤، ٢١٤، ٢١٨، ٢٣٦
عبد الصبور شاهين، الدكتور ٣١
عبد الله بن المقفع ٧٤
عالي بن عثمان بن جني

علاء بن عثمان بن جني ٧٤
علي بن عثمان بن جني ٧٤
علي عبد الواحد وافي، الدكتور ١٥٣
عمرو بن أبي ربيعة ١٨٤
عمرو بن كلثوم ١٨٦
عيسى بن عمر الثقفي ٥٤، ٥٥، ٦١
الغزالي حجة الإسلام ٣١
الفراء ٣٢، ٣٤، ١١١، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٦، ٢٠٣
فرديناند دي سوسير ٢٠٣
قطرب ٥٤
كمال محمد بشر، الدكتور ٨٤، ١٩٥
الكسائي ٥٤
المتنبي أحمد الجعفي ٧٤
محمد بن زكريا الرازي ٣١
مسلم الإمام ١٨٤، ١٨٥
نافع بن أبي نعيم ١٢٤
نصر بن علي ٥٤
هارون الرشيد ٥٤
هويتني ٢٤٤
يحيى البر مكي ٥٤
يعقوب بن إسحاق الكندي ٣١
يوسف شيخ سيبويه ٥٨
يونس بن حبيب ٥٤، ٥٨

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم

(٢) إبدال الحروف في اللهجات العربية ، د/سلمان بن سالم السحيمي، ط١ المدينة المنورة : مكتبة الغرباء الأثرية، ١٩٩٥م.

(٣) الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ، تحقيق عز الدين التنوخي، ط ٢ بيروت: دار صادر، ١٩٩٣م.

(٤) ابن جني عالم الصوتيات مقدمة للدراسات الصوتية واللسانية لدى العرب المسلمين الأوائل، ط١ لندن، ١٩٨٢م.

(٥) أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء ، تحقيق عبد الصبور شاهين، ط ١ القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٧م.

(٦) أخبار أبي القاسم الزجاجي ، تحقيق الدكتور/ عبد الحسين المبارك، دار الرشيد- العراق ١٩٨٠م.

(٧) أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد السيرافي، تحقيق طه محمد الزين، ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط ١، ١٩٥٥م.

(٨) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق مصطفى أحمد النماس، ط ١ مطبعة النشر الذهبي، ١٩٨٤م، د.م.

(٩) إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقي عبد المجيد اليماني، تحقيق الدكتور/ عبد المجيد دياب، ط ١ السعودية ، د ن، ١٩٨٦م.

(١٠) أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دكتور/ أحمد محمد قدور، ط ١ ، بيروت ــ لبنان: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨م.

(١١) الأصمعيات عبد الملك بن قريب أبو سعيد الأصمعي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة : دار المعارف.

(١٢) الأصوات اللغوية دكتور/ إبراهيم أنيس، ط ٤ مصر: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١م.

(١٣) الأصوات اللغوية دكتور/ إبراهيم أنيس، ط ٥ ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٥م.

(١٤) الأصوات اللغوية وتدريسها لغير الناطقين بها من الراشدين، دكتور/ سعد عبد الله الغريبي، مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي ١٩٨٦م.
(١٥) أصول النحو العربي، دكتور/ محمد خير الحلواني، ط ١ ، المغرب: أطلس الرباط، أطلس،١٩٨٣م.
(١٦) الإعلال والإبدال بين النظرية والتطبيق، دكتورة/ صباح عبد الله با فضل، ط١، السعودية: الدار السعودية للنشر والتوزيع ،١٩٩٧م،.
(١٧) الإغراب في جدل الإعراب، ابن الأنباري، تحقيق سعيد الأفغاني، ط ١، سوريا: الجامعة السورية، ١٩٥٧م.
(١٨) أمالي الزجاجي لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت،٣٤٠ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ١، المؤسسة المغربية الحديثة، ١٣٨٢هـ.
(١٩) إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، القاهرة: مكتبة دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.
(٢٠) الأيام والليالي للفراء، تحقيق إبراهيم الأنباري، ط ٤، القاهرة – مصر: الأميرية، ١٩٥٦م.
(٢١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ط،جديدة، مكة المكرمة: المكتبة التجارية، .
(٢٢) بحوث ومقالات في اللغة، دكتور/ رمضان عبد التواب، ط القاهرة:١٩٨٢م.
(٢٣) بغية الوعاة في طبقات الغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط ١، مصر: عيسى البابي الحلبي وشركاه ،١٩٦٥م،.
(٢٤) البلغة في أصول اللغة، محمد صديق حسن خان الخنوجي، تحقيق نذير محمد مكتبي، ط١، بيروت ــ لبنان : دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٨م.
(٢٥) البلغة في تاريخ أئمة اللغة لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق محمد المصري، دمشق: دار الفكر العربي ١٩٧٢م.
(٢٦) تثقيف اللسان وتنقيح الجنان ، ابن مكي الصقلي، مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
(٢٧) تحصيل عين الذهب للشنتمري، ط ٢، بيروت– لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٠م.

(٢٨) تصريف الأسماء، محمد طنطاوي ، ط٦، المدينة المنورة: ١٤٠٨هـ.
(٢٩) تصريف الأفعال ومقدمة الصرف، عبد الحميد عنتر، ط٢، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.
(٣٠) التطور اللغوي التاريخي، دكتور/ إبراهيم السامرائي، ط ٢، بيروت- لبنان: دار الأندلس ،١٩٨١م.
(٣١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، دكتور/ رمضان عبد التواب، ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٠م.
(٣٢) التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر، دكتور/ عبد المنعم محمد الكاروري، الخرطوم، ١٩٨٦م.
(٣٣) تقريب النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق إبراهيم عطوة، ط٢، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٢م.
(٣٤) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مصر: الدار المصرية، ١٩٦٤م.
(٣٥) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، دكتور/ سعد أحمد علي، ط ٢، دمشق: دار السؤال، ١٩٨١م.
(٣٦) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، مصر: دار إحياء الكتب العربية.
(٣٧) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية.
(٣٨) الحصن الرصين في علم التصريف، عبد الله بن فودي النيجيري، تحقيق وشرح قدامة محمد صالح، ط ١، بيرت- لبنان: دار الفكر، ١٩٨٤م.
(٣٩) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، مطبعة بولاق،١٨٨٢م. الموسوعة الشعرية الحاسوبية.
(٤٠) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب.
(٤١) الدراسات الصوتية عند علماء العربية، عبد الهادي بن إبراهيم الأصيبعي، ط ١، كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية الليبية، ١٩٩٢م،.

(٤٢) دراسات في علم الأصوات العربية، دكتور/ داوود عبده، الكويت.
(٤٣) دراسات في علم اللغة القسم الأول، دكتور/ كمال محمد بشر، مصر: دار المعارف، ١٩٧١م.
(٤٤) دراسات في فقه اللغة دكتور/ صبحي الصالح، ط٩، بيروت: ، دار العلم للملايين، ١٩٨١م.
(٤٥) دراسات في فقه اللغة، دكتور/ محمد الأنطاكي، ، ط٤، بيروت- لبنان: دار الشرق العربي .
(٤٦) دراسات لغوية القياس في الفصحى والدخيل في العامية، دكتور/ عبد الصبور شاهين ط٢، بيروت- لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.
(٤٧) دراسة الصوت اللغوي دكتور/ أحمد مختار عمر ، جامعة الكويت ١٩٧٦م.
(٤٨) دراسة الصوت اللغوي دكتور/ أحمد مختار عمر ، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩١م.
(٤٩) دراسة في علم الأصوات، دكتور/ حازم علي كمال الدين، ط١، القاهرة- مصر: مكتبة الآداب، ١٩٩٩م.
(٥٠) دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، مختار أحمد ديرة، ط١، بيروت – لبنان: دار قتيبة للطباعة، ١٩٩١م.
(٥١) الدراسة اللغوية عند ابن مالك، دكتور/ غنيم غانم عبد الكريم الينبعاوي، مكة المكرمة- السعودية: ١٤١٨هـ.
(٥٢) درة الغواص في أوهام الخواص، أبو محمد القاسم بن علي الحريري، بغداد_ العراق: مكتبة المثنى.
(٥٣) دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، لطيفة إبراهيم النجار، ط١، عمان – الأردن: دار البشير، ١٩٩٤م.
(٥٤) ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي، تصحيح كارليل هنري هيس مكارتني، بيروت: عالم الكتب.
(٥٥) ديوان عمرو بن أبي ربيعة المخزومي، تحقيق عبد الحميد، بيروت: دار الأندلس.

(٥٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبو الفضل شهاب الدين الألوسي ، ط٤، بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م.
(٥٧) زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي أبو إسحاق الحصري، إخراج الدكتور/ زكي مبارك، ١٩٢٥م. الموسوعة الشعرية الحاسوبية.
(٥٨) سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني ، دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداوي، ط٢، دمشق– سوريا: ١٩٩٣م.
(٥٩) السماع والقياس، أحمد تيمور باشا، ط١، مصر: دار الكتاب العربي، ١٩٥٥م.
(٦٠) سنن أبي داوود، لأبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت٢٧٥هـ)، بيروت: المكتبة العصرية.
(٦١) السنن الكبرى، الإمام المحدث الحافظ الجليل أبو بكر أحمد البيهقي، دار الفكر.
(٦٢) سيبويه إمام النحاة ، علي النجدي ناصف، مصر: لجنة البيان العربي.
(٦٣) سيبويه جامع النحو، دكتور/ فوزي مسعود، مصر: الهيئة المصرية العامة، ١٩٦٨م.
(٦٤) سيبويه حياته وكتابه، دكتور/ أحمد أحمد بدوي، ط٢، مصر:، مكتبة نهضة .
(٦٥) سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ونذير حمدان، ط٢، بيروت– لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
(٦٦) شراب الراح فيما يتوصل به للعزي والمزاح، الشيخ عمر الطرابيشي المدني، تحقيق الدكتور/ البد راوي زهران، ط٢، القاهرة: دار المعارف ، ١٩٨٩م.
(٦٧) شرح ألفية ابن مالك لبهاء الدين بن عقيل، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية .
(٦٨) شرح التصريح على التوضيح ، الشيخ خالد الأزهري، دار الفكر.
(٦٩) شرح ديوان الأعشى الكبير ميمون قيس، دكتور/ حنا نصر الحتي، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٤م.
(٧٠) شرح ديوان عمرو بن أبي ربيعة المخزومي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الأندلس.
(٧١) شرح السلم، شهاب الدين أحمد عبد الفتاح الشافعي القاهري الملوي، الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ،١٩٧٨م.

(٧٢) شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) تحقيق مجموعة، بيروت- لبنان: دار الفكر العربي ، ١٩٧٥م.
(٧٣) شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) تحقيق مجموعة: (محمد نور الحسن- محمد الزقراف- محمد مجي الدين عبد الحميد)، دار الكتب العلمية.
(٧٤) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم لفوائد مسلم، تحقيق د/ يحيى إسماعيل، ط١، دار الوفاء، ١٩٩٨م.
(٧٥) شرح مختصر التصريف العزي، في فن الصرف، سعد الدين التفتا زاني، تحقيق دكتور عبد العال سالم مكرم، الكويت: ١٩٨٢م.
(٧٦) شرح المعلقات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
(٧٧) شرح المفصل للشيخ العلامة موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) ، بيروت:عالم الكتب.
(٧٨) شرح المفصل للشيخ العلامة موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، القاهرة: مكتبة المتنبي .
(٧٩) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس، تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت – لبنان: بدران وشركاه، ١٩٦٤م.
(٨٠) صحيح البخاري للإمام البخاري، بيروت – لبنان: دار الجيل.
(٨١) الصرف وعلم الأصوات، دكتورة/ ديزيزة سقال، ط١، بيروت – لبنان: ١٩٩٦م.
(٨٢) ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية دكتور/ محمود سليمان ياقوت، مصر: دار المعرفة الجامعية ،١٩٨٥م.
(٨٣) ظاهرة الإعلال في العربية دراسة صوتية وصفية، دكتور/ رجب عثمان محمد، ط١، الجيزة- مصر: دار الرضي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
(٨٤) ظاهرة القلب المكاني في العربية عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها، دكتور/ عبد الفتاح الحموز، ط١، بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦م.

(٨٥) ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، دكتور/ البدراوي زهران، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٣م.
(٨٦) علم اللغة العام الأصوات، دكتور/ كمال محمد بشر، ط السابعة، القاهرة- مصر: دار المعارف،١٩٨٠م.
(٨٧) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دكتور/ محمود السعران، دار الفكر العربي.
(٨٨) علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، دكتور/ محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
(٨٩) علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دكتور/ عصام نور الدين، ط١، بيروت- لبنان: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٢م.
(٩٠) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ط١، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٨م.
(٩١) فقه اللغة، دكتور/ على عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، الفجالة ــ القاهرة ــ مصر.
(٩٢) فقه اللغة في الكتب العربية، دكتور/ عبده الراجحي، ط١، الإسكندرية – مصر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦ م.
(٩٣) فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ط٧، بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م.
(٩٤) الفلسفة اللغوية، جرجي زيدان، ط٢، بيروت – لبنان: دار الجيل، ١٩٠٤م.
(٩٥) فهارس كتاب سيبويه ودراسة له، محمد عبد الخالق عضيمة، ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٩٧٥م.
(٩٦) في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ط٢، سوريا: جامعة دمشق ٩٦٤م.
(٩٧) في اللغة ودراستها، دكتور/ محمد عيد، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٤م.
(٩٨) قطوف أدبية دراسات نقدية في التراث العربي، عبد السلام محمد هارون، ط١، القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٨م.
(٩٩) القلب والإبدال ليعقوب ابن السكيت ، تحقيق دكتور/ حسن محمد شرف، القاهرةــ مصر: ١٩٧٨م،.

(١٠٠)القواعد والتطبيقات في الإبدال والإعلال، الشيخ عبد السميع شبانة، مطبعة الفتوح، ط٤، ظاظا-مصر، ١٩٦٨م.
(١٠١)القياس في اللغة العربية، محمد الخضر حسين، ١٣٥٢هـ، القاهرة: المطبعة السلفية.
(١٠٢)كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، بيروت: دار الكتب العلية، ١٩٨٢م.
(١٠٣)الكشاف للإمام محمد بن عمر الزمخشري (٣ مجلدات)، ضبط وتصحيح مصطفى حسين أحمد، القاهرة: دار الريان للتراث.
(١٠٤)الكلام إنتاجه وتحليله، دكتور/ عبد الرحمن أيوب، الكويت: جامعة الكويت،١٩٨٤م.
(١٠٥)اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري ، تحقيق دكتور/ عبد الإله نبهان، ط١، بيروت: دار الفكر،١٩٩٥م.
(١٠٦)لحن العامة للزبيدي، مكتبة دار العروبة.
(١٠٧)اللغة العربية معناها ومبناها ، دكتور/ تمام حسان، الدار البيضاء- المغرب : دار الثقافة.
(١٠٨)لسان العرب الإمام العلامة جمال الدين بن منظور الإفريقي(ت٧١١هـ)، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، و محمد الصادق العبيدي، ط١، بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٥م، للطباعة، طبعة جديدة مصححة وملونة.
(١٠٩)لسان العرب الإمام العلامة جمال الدين بن منظور الإفريقي(ت٧١١هـ)، بيروت: دار صادر.
(١١٠)المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، ط٣، بيروت- لبنان: دار الشرق العربي.
(١١١)المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، دكتور/ عبد العال سالم مكرم، ط٢، القاهرة – مصر: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م.

(١١٢)المزهر في علوم اللغة وأنواعها، العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط٣، القاهرة: دار التراث.
(١١٣)معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دكتور/ محمود سليمان ياقوت، لإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م.
(١١٤)معجم الشعراء، محمد بن عمران أبو عبد الله المرزباني، إخراج الأستاذ/ عبد الستار فراج، ١٩٦٠م. الموسوعة الشعرية الحاسوبية.
(١١٥)المفصل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨)، تحقيق الدكتور/ علي بو ملحم، ط١، بيروت- لبنان: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م.
(١١٦)المقتضب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٣٨٦هـ
(١١٧)مقدمة تسهيل الفوائد، دكتور/ محمد كامل بركات
(١١٨)مقدمة لدراسة علم اللغة، دكتور/ حلمي خليل، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م.
(١١٩)الممتع في التصريف ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق دكتور/ فخر الدين قباوة، ط٥، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م،.
(١٢٠)الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق دكتور/ فخرالدين قباوة ط٣، بيروت – لبنان: دار الآفاق الجديدة.
(١٢١)مناهج البحث في اللغة، دكتور/ تمام حسان، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٩٠م
(١٢٢)المناهل الصافية إلى كشف معاني الشافية، لطف الله بن محمد بن الغياث، تحقيق عبد الرحمن محمد شاهين ، المنيرية- مصر: مكتبة الشباب .
(١٢٣)من الدراسات اللغوية في العراق، د/ عبد الجبار جعفر القزار، العراق: دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩م.
(١٢٤)المنصف شرح الإمام أبو الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق لجنة من أستاذين: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين،ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٤م،.

(١٢٥)المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، دكتور/ عبد الصبور شاهين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م.
(١٢٦)من أسرار اللغة، دكتور/ إبراهيم أنيس، ط٦، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٨م.
(١٢٧)الموسوعة الشعرية الحاسوبية، إعداد لجنة، تضم:٢٤٣٩٥٨٩ بيتا من الشعر، موزعين على:٢٣٠٠ شاعرا. نسخة عام ٢٠٠١م.
(١٢٨)موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، دكتورة/ خديجة الحديثي، ط١، العراق: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.
(١٢٩)الميسر في القراءات الأربع عشرة، محمد فهد خاروف، ط٣، دمشق- سوريا: دار ابن كثير ٢٠٠١م.
(١٣٠)النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، ط٧، كورنيش النيل- القاهرة: دار المعار.
(١٣١)نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين الأنباري، تحقيق دكتور/ إبراهيم السامرائي، ط٢، الزرقاء – الأردن، مكتبة المنار ١٩٨٥م.
(١٣٢)همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، مصر: المكتبة التوفيقية.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء.....	ج
شكر.....	د
مقدمة.....	١- ٦
الفصل الأول: مفاهيم وقضايا حول الإعلال والإبدال.....	**٧-٥٠**
المبحث الأول: الإعلال والإبدال عند اللغويين	٩- ٢١
١-مفهوم الإبدال عند القدماء.....	٩
الإبدال الصرفي.....	١٠
الإبدال اللغوي.....	١١
٢-مفهوم الإعلال والإبدال عند المحدثين.....	١٥
٣-العلاقة بين الإعلال والإبدال.....	١٩
القلب المكاني.....	٢٠
التعويض.....	٢٠
المبحث الثاني: الإعلال والإبدال وتطور أبنية الكلمات.....	٢٢- ٢٩
١- الإعلال وأثره في توالد الألفاظ.....	٢٣
٢- أثر الإعلال في التشكيل المقطعي.....	٢٥
تغيير الإعلال لشكل المقطع.....	٢٥
تقليل الإعلال لعدد المقاطع.....	٢٦
٣-أثر الإبدال اللفظي والمعنوي.....	٢٧
أثر الإبدال اللفظي.....	٢٧
أثر الإبدال المعنوي.....	٢٨
المبحث الثالث: الفلسفة والمنطق وتعليل الإعلال والإبدال.....	٣٠- ٣٧
١-صلة المنطق بالإعلال.....	٣١
أقسام القياس.....	٣٢

٢-أثر المنطق في التعليل للإعلال والإبدال..... ٣٤
المبحث الرابع: مبدأ الأصل عند اللغويين..... ٣٨- ٥٠
١- المقصود بالأصل عند اللغويين ٣٩
٢- أسباب التحول عن الأصل عند اللغويين..... ٤٠
أ-التعذر..... ٤١
ب-الاستثقال..... ٤١
ج-المجانسة الصوتية..... ٤١
٣- حجة الأصالة عند اللغويين..... ٤٢
٤-دلالة الأصل على المعنى..... ٤٥
٥- موقف المحدثين من مبدأ الأصل..... ٤٦
مناقشة رأي المحدثين..... ٤٧
الفصل الثاني: التعريف باللغويين ومناهجهم في الإعلال والإبدال..... ٥١-٨٠
المبحث الأول: سيبويه ودرسه للإعلال والإبدال..... ٥٣- ٦٨
١- ترجمة سيبويه..... ٥٣
٢- أصول سيبويه في درس الإعلال والإبدال..... ٥٥
النقل عن اللغويين..... ٥٥
النص القرآني..... ٥٩
السماع عن الأعراب..... ٦١
القياس..... ٦٢
٣-منهج سيبويه في الإعلال والإبدال..... ٦٤
تبويب الكتاب..... ٦٤
غزارة المعلومة..... ٦٤
التعليل الصوتي..... ٦٦
تغليط العرب..... ٦٧
المبحث الثاني: الزجاجي ودرسه للإعلال والإبدال..... ٦٨- ٧٣
١- ترجمة الزجاجي..... ٦٨

٢- منهج الزجاجي في درس الإعلال والإبدال..... ٦٩
تبويب الكتاب..... ٦٩
الإكثار من الشواهد..... ٧٠
الإيجاز في العرض..... ٧٠
التفسير الصوتي..... ٧١
المبحث الثالث: ابن جني ودرسه للإعلال والإبدال..... ٧٣ - ٨٠
١- ترجمة ابن جني..... ٧٣
٢- منهج ابن جني في درس الإعلال والإبدال..... ٧٥
تبويب الكتاب..... ٧٥
التفسير الصوتي..... ٧٦
إحاطته بالموضوع..... ٧٩
الاستطراد..... ٨٠
الفصل الثالث: وصف ظاهرة الإعلال..... ٨١- ١٤٥
المبحث الأول: وصف صوتي لأصوات العلة..... ٨١- ٩٥
١- صائتية أصوات العلة..... ٨٣
٢- خصائص أصوات العلة..... ٨٨
٣-علاقة الصائت القصير بالطويل..... ٩٠
٤- علاقة الهمزة بأحرف العلة..... ٩٥
المبحث الثاني: وصف الإعلال بنقل صوت العلة..... ٩٦- ١٠٦
١- الفعل الأجوف..... ٩٧
٢- الاسم الموافق للمضارع..... ١٠٠
٣- مصدر أفعل واستفعل..... ١٠٢
٤- وزن مفعول من الفعل الأجوف..... ١٠٤
المبحث الثالث: وصف الإعلال بحذف صوت العلة..... ١٠٧- ١١٧
١- حذف الصوت الزائد..... ١٠٨
٢- حذف فاء الفعل المثال..... ١١٠

٣- حذف عين الفعل الأجوف..... ١١٢
٤- حذف لام الناقص والمنقوص والمقصور..... ١١٤
المبحث الرابع: وصف الإعلال بقلب صوت العلة..... ١١٨- ١٤٥
١-قلب الواو والياء همزة..... ١١٩
٢- قلب الواو والياء ألفا..... ١٢٧
٣- قلب الواو ياء..... ١٣٠
٤- قلب الياء واوا..... ١٣٣
٥- قلب الألف ياء و واوا وهمزة..... ١٣٦
قلب الألف ياء..... ١٣٦
قلب الألف واوا..... ١٣٦
قلب الألف همزة..... ١٣٨
٦-قلب الهمزة ألفا وياء و واوا..... ١٤٠
قلب الهمزة ألفا..... ١٤٠
قلب الهمزة ياء..... ١٤٠
قلب الهمزة واوا..... ١٤٣
الفصل الرابع: وصف ظاهرة الإبدال..... ١٤٦-١٩٠
المبحث الأول: الاشتقاق والإبدال..... ١٤٩- ١٥٥
مفهوم الاشتقاق..... ١٥١
الاشتقاق الصغير..... ١٥١
الاشتقاق الكبير..... ١٥٢
الاشتقاق الأكبر..... ١٥٣
المبحث الثاني: حروف الإبدال..... ١٥٦- ١٥٩
وصف أصوات الإبدال..... ١٥٧
المبحث الثالث: شواهد الإبدال اللغوي..... ١٦٠- ١٨١
١- تبادل بين أصوات بداية المجرى..... ١٦١
٢- تبادل بين أصوات ما قبل وسط الفم..... ١٦٥

٣- تبادل بين أصوات وسط الفم..... ١٦٨
٤- تبادل بين أصوات نهاية الفم..... ١٧٧
المبحث الرابع: شواهد الإبدال الصرفي..... ١٨٢- ١٩٠
١- إبدال التاء..... ١٨٣
٢- إبدال الواو والياء..... ١٨٧
٣- إبدال النون..... ١٨٩
الفصل الخامس: تفسير ظاهرتي الإعلال والإبدال..... ١٩١- ٢٤٧
المبحث الأول: تفسير الإعلال بالنقل..... ١٩٤- ٢٠١
رأي المحدثين في الإعلال بالنقل..... ١٩٥
مناقشة رأي المحدثين..... ١٩٧
المبحث الثاني: تفسير الإعلال بالحذف..... ٢٠٢- ٢١٠
رفض فكرة سقوط صوت العلة..... ٢٠٢
موافقة المحدثين للمتقدمين في الحذف..... ٢٠٤
مناقشة رأي المحدثين..... ٢٠٥
المبحث الثالث: تفسير الإعلال بالقلب..... ٢١١- ٢٣٧
١- تفسير قلب الواو والياء همزة..... ٢١٢
٢- تفسير قلب الواو والياء ألفا..... ٢١٦
تفسير وصفي لقلب الواو والياء ألفا..... ٢١٨
تفسير تاريخي لقلب الواو والياء ألفا..... ٢٢٠
مراحل التطور التاريخي لقلب الواو والياء ألفا..... ٢٢٠
٣- تفسير قلب الواو ياء..... ٢٢٣
٤- تفسير قلب الياء واوا..... ٢٢٥
٥- تفسير فلب الألف ياء وواوا وهمزة..... ٢٢٧
٦- تفسير فلب الهمزة ألفا وياء وواوا..... ٢٣٢
المبحث الرابع: تفسير الإبدال..... ٢٣٨- ٢٤٧
١- تفسير اللغويين للإبدال..... ٢٣٩

٢- تفسير المحدثين للإبدال..... ٢٤٢
٣- مسوغات الإبدال..... ٢٤٣
الانسجام الصوتي..... ٢٤٣
التصحيف..... ٢٤٥
الداء النطقي..... ٢٤٦
التطور التاريخي..... ٢٤٦
الخاتمة..... ٢٤٨- ٢٥١
الفهارس..... ٢٥٢- ٢٨٢
١- فهرس الآيات القرآنية..... ٢٥٣- ٢٥٨
٢- فهرس الأحاديث النبوية..... ٢٥٩
٣- فهرس الشواهد الشعرية..... ٢٦٠- ٢٦٢
٤- فهرس الأعلام..... ٢٦٣- ٢٦٦
٥- المصادر والمراجع..... ٢٦٧- ٢٧٦
٦- فهرس المحتويات..... ٢٧٧- ٢٨٢